

كلمة العدد

الاستمرار على درب الأصالة

لم يفتأ العرش العلوي يواصل زخفه الاسلامي المقدس على بركة الله لبناء المغرب الجديد في أعقاب المسيرة الخضراء المظفرة التي كانت حدا فاصلا بين الحق والباطل وبداية لمهد مشرق وضاء التام فيه شمل الامة بعد فرقة وانقسام وتمزيق فرضه الاستعمار فرضا .

وإذا كان الالتحام العرش بالشعب أحد العوامل الأساسية التي عجلت بتحرير الصحراء المغربية ، فمن شأن هذا الالتحام المبارك أن يؤدي بنا الى ترسيخ قواعدها وتدعيمها وتسييج مكتسباتنا بسياج من الوحدة والتفاهم والتعاون المشترك تحت لواء العرش القائد الى ان نحقق لشعبنا أهدافه الجليلة ومقاصده النبيلة .

ولقد كانت المسيرة القرآنية المباركة تجسيما حيا لعبقرية العرش العلوي ، وجاءت في الوقت المناسب لتضع الاطار الكامل لكفاح العرش والشعب ، وتوجه بذلك الانتصار الباهر الذي اغاظ الجاحدين والمتنكرين لتحقيق الاشياء .

ومهما تفننت الاجيال المغربية بامجادها الخالدة ، فلن تلقى مثل المسيرة الخضراء رمزا للبطولة والاصالة والعراقة والمجد وعلو الشأن .

وكما يحدث دائما في المواقف الحاسمة التي يتخذها العرش لتمكين السيادة الوطنية ، كان القرآن الكريم ملهما لجلالة القائد الذي امتلأ قلبه بانواره الربانية ، فلم يعد يلقي بالا الا لكلمات ربه : تحرك وجدانه وتغش روحه وتدفع به الى خوض غمار المعركة في شجاعة وقوة وثقة وامل ورباطة جأش .

وكذلك كان شأن جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مع المسيرة الخضراء ، فمن القرآن الكريم استوحى فكرتها ، ومن مسيرة جده مصطفى صلى الله عليه وسلم استمد معانيها ، ومن تاريخ اسلافه المنعمين اقتبس واخذ ما وسعه الاقتباس والاخذ ، فكانت بهذا الاعتبار مسيرة قرآنية ، ردت الحق الى نصايه ، واعلت كلمة الله في ربوع صحرائنا المحرة يحميها ويرعاها سبط رسول الله مولانا أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني نصره الله .

ولقد حرص جلالتنا دائما على تأكيد ارادتنا في التمسك القوي بحقوقنا في مناطقنا الصحراوية واعلن حفظه الله ان لا تنازل ولا تقرب في شبر واحد من اراضيها المسترجعة . وبذلك تكون سياسة العاهل المغربي مستجيبة لتطلعات الشعب الذي هب في اواخر السنة الماضية للمشاركة في المسيرة الخضراء ، وها هو اليوم يسارع الى المشاركة في الاقتراض الوطني لتنمية الصحراء .

ولا يزال مولانا أمير المؤمنين أعز الله أمره يهيب بشعبه المؤمن الى التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والعص بالنواجذ على مقدساته وعقيدته ومقومات وجوده . وهي الدعوة التي ما فتى أعززه الله يصدع بها في قوة ووضوح وعزم منذ ان اختاره الله سبحانه وتعالى للاضطلاع بامانة الحكم على سنة الله ورسوله .

وهكذا ، لن تنال منا تحرشات أعداء الحق ، ولن تفت في عضدنا مناوشات خصومنا الذين يجهدون انفسهم ويستترفون امكانيات بلادهم لحملنا على التنازل والرضوخ لارادتهم الظالمة .

وليس من شيم هذا الشعب المسلم العربي ان يفرط في الحق او يضعف امام الباطل او يستكين للظفيان مهما عظم شأنه ، ومنذ ان اكرمنا الله تعالى بهذا الدين ونحن جنوده المخلصون نذود عن الحمى ونحرس الثغور ونقيم للاسلام في هذه الديار دولة وعرشا من المولى ادرى الاكبر رضي الله عنه الى جلالة الحسن الثاني ايده الله .

وتلك امانة المفرب المسلم ...

وذلك قبره ودوره ورسالته ..

واذا كانت مؤشرات السياسة الدولية تؤكد اضطراب الاوضاع في كثير من مناطق العالم بسبب تنازع المذاهب وتضارع الايديولوجيات وتداخل المصالح والنفوذ ، فاننا - ولله الحمد - في منأى عن ذلك كله بفضل اسلامنا وعرشنا ، وبجهد عاهلنا المؤمن الذي يعرف كيف يقود السفينة ، وسط الامواج الصاخبة فيسلك بها دائما طريق الامن والامان والسلامة والاطمئنان .

وتنهض المسيرة الخضراء مظفرة دليلا على استقامة خط سياسة بلادنا بما سبقها وتخللها وأعقبها من مواقف واختيارات وقرارات ومبادرات أكدت كلها تلك الصورة المشرقة للقيادة الرشيدة المدعومة بالرأي السديد والعزم الوطيد والنظر البعيد ، والممززة برجاحة العقل ، وقوة الإرادة والشجاعة والحكمة والتبصر وحسن التدبير ، الأمر الذي يعتبر بحق ضمانا قويا للقد ، ورصيда حضاريا لا ينقذ .

وتلك - بحق - هي الاسس الرئيسية لبناء مغرب قوي . يملك طاقة المواجهة وقدرة التحدي وإرادة الاصرار ، في عالم لا ينجو فيه من الهلاك والانهار الا الدول القوية القادرة على التأثير وقرض الوجود بما يضمن السلم والرخاء لشعبها .

وهذه هي رسالة الحسن الثاني سليل الملوك الاشراف : يؤمن بها ، ويرى فيها وسيلة لتحقيق ارادة شعبه ، ويستشعرها في كل موقف او مبادرة او خطوة يخطوها لصالح المغرب العظيم .

وهو ايمان تجلى - كاشرق ما يكون التجلي - في المسيرة الخضراء ، وهو اليوم يتجلى في مسيرة الخير والنماء على هدى من الله ورضوان .

وعرض الحق

خطاب العرش

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حافلة بالفضائل من التفكير والتدبير والوفاء من الإخلاص والقطاف وتناهت أحقادها المجيدة مكللة باستيفاء حق طالما تعلقت به القلوب واسترجاع جزء عزيز من التراب الوطني شد ما ترامت إليه المقامح والآمال .

وإن قطعنا فائزين لهذه المرحلة وتذللنا لما لقيناه عبرها من عقبات وأحزاننا لما أحرزناه خلالها من جني الثمرات وتحقيقنا لما حققناه من اجتماع للشمل بالصحراء ووحدة لتراب المملكة أن هذا كله لمن شأنه أن يضاعف المسيرة باحتفالنا اليوم ويضفي على هذا الاحتفال مظهرا وحلة أكثر بهاء وأعظم رواء من سالف الحل وسباق المظاهر .

مسلك جديد وسير حثيث

إنك تعلم شعبي العزيز الكثير مما يسر الله طوال هذه المرحلة المطوية من جلائل الأعمال وما هبنا من ناهج المتساعي وحشد في رحابك من خير بوائك لتعلم بالإضافة إلى هذا أن كل خطوة خطوناها وكل هدف إدركناه وكل تقدم حققناه في جميع المجالات التي تولتها العناية واحاط بها الاهتمام تعلم أن كل

أخاطبك شعبي العزيز وانت حيثما أنت من شمالك الجديد وجنوبك الجديد تحتفل وإيانا بالذكرى الخامسة عشرة لذلك اليوم الذي استخلفنا الله فيه على عرش أسلافنا المقدسين والقي البنا برعام أمرك وبقاليد الحكم لاسعادك واعلاء شأن وطنك بين الأمم والاقطار .

أخاطبك شعبي العزيز وقلوبنا المجتمعة المؤتلفة مترعة بالمسرة ممثلة بالاعتزاز طافحة بحمد الله الذي أناب السعي فأجزل الثواب . جياشنة بالأمل أن تتواصل خطانا موفقة بتأييد الله وتسدسده مؤزدة بحوله وظوله .

إن الذكرى التي نحتفل بها اليوم احتفال التشارك بسوابغ النعم والآلاء الراغب في استحقاق المزيد من الانعام والأفضال لتوافي محفوفة ببشائر البصر وظوابع السعد وقد من الله على البلاد بتأهيلها لطي مرحلة استقلال بعد احتلال تلاحت أعوامها العشرون

من آمالين المطالبة وضروب الاقتضاء وساورتنا الخشية ذات يوم أن يضع حق ثابت من حقوقنا ويضل بحكم تدبير الفرادي بين الأطماع المتطاولة والشهوات المتاجعة ارتث انتقل اليها على مدى أزمان متعاقبة ووديعه من ودائع تاريخنا المجيد تداولها أمانة مستحفظة كابرا عن كابر وخلفا عن سلف .

اتفضحت لنا معالم الطريق

وكان من آثار هذه الخشية أن حاولنا محاولة من صنف جديد واتخذنا سببا آخر غير ما تقدم اتخذه من وسائل وأسباب مؤملين أن ينتهي الأمر بالقرار لحقوقنا والاعتراف بأن أرض الصحراء المحتلة جزء لا يتجزأ من ترابنا فاقترحنا على منظمة الأمم المتحدة أن تحيل قضية صحرائنا على المحكمة الدولية للعدل فلما صدر قرار المنظمة الأممية مستجيبا لرغبتنا انتظرت كما انتظرنا بتطلع واستشراق كلمة القضاء الدولي وقد نيط الأمل بعدله وانصافه . وصدعت المحكمة الدولية بحكمها واضحة حدا للنزاع كاشفة عن الحق القناع معلنة ما بين عاهلك ووطنك وبين أرض الصحراء وأخوتك في الصحراء من روابط الرحم والنسب وأواصر البيعة والقانون فاتفضحت لنا آنذا معالم الطريق واستبان لنا وجه الصواب ولم يبق إلا أن نلبي دعوة الواجب الأوكذ ونقوم بإداء الفرض المفروض فسارعنا إلى مخاطبتك محليين شارحين مهيين بالأخذ والأنزاع بأسطين لوسيلة الاسترداد والاسترجاع ، وما كدنا نفرغ من خطابتنا الذي أذاع النداء ورفع السحف عن المسيرة الخضراء حتى تعالت من حماسك الأصوات وتجاوبت في تلبيةك الإصداء واحتشدت بعد ذلك جماهيرك على أسواق مكاتب التسجيل رافعة عقيرتها بطلب المشاركة جاهرة بحرصها على نيل شرف الإسهام وانطلقت أفواجا متدفقة مندفعة تعج بها المدن والقرى وتسيل بها الأنحاء والأرجاء . وقد تفجر الفرح عارما في القلوب وطمأ الاعتراز مستقيضا في النفوس وسرى اليقين مسرى النور في حشدك وجمعك بأن الله قد أتاح للمغرب أن يكتب صفحة جديدة رائعة من أروع صفحات تاريخه الحفيل وتطايير نيا المسيرة الخضراء في الأفاق فتلقاه الأشقاء والأصدقاء نيا سعيدا بحادث سعيد وبذلوا لعزمك الوطيد ومشارك العثيد الواننا من التشجيع والتأييد وأشكالا من المساعدة والمساندة وتلفقت إليك الأنظار وأغرى بك الاهتمام واستفاقت على أربك وهزيمك الأئدة والاحلام .

ربح من هذه الأرباح من لنا مسلكا جديدا وحتم سيرا حثيثا وولد مظمعا ارتقلت نحوه الهمة واشتد عليه الحرص لأننا وإياك لا تقع لوطنا بالقليل ولا يرضينا من التطوير والتحويل والتجديد والتشييد والإبداع والابتكار إلا ما يؤمن لك وللدريتك الحاضر الذي يصح به الاعتماد والمستقبل الذي تطمئن إليه نفسك ونفوس الأجيال الصاعدة وترتاح .

وإن نظرة فاحصة تلقينا على محفوظاتنا ما سلف منها وما هو رهن التنفيذ والتحقيق وتحول بها خلال المشاريع الموضوعة المنجزة والمشاريع التي يتناولها الإنجاز كل يوم وتتولاها العناية كل حين لخليفة بأن تدلك على أن التنمية المطلوبة حقيقة ملموسة بطرد مفعولها ويتسع ويتكاثر وتتواصل فوائدها وتتلاحق وتتوافر وإنك قاصد لا تجوز عن مسالك الأمن والأمان وبالغ شاكك الموعود . وأذكر ما أقلق منذ زمن يسير اقتصاد بعض الاقطار من نواب وحل به من مكروه وتامل فيما تكايد بعض الدول من شدائد وتواجه من أزمات وقارن بين أحوالك المعظمة الأمنة السلمية وبين غيرها من الأحوال المضطربة المسيرة ، فانك إن قابلت ووازنت شاكرا لله ما أولاك وأعطاك وأهمك فهذا .

ولم يكن انصراف وطنك شعبي العزيز إلى توطيد أركانه في داخل البلاد وخارجها ولا اهتمامه بشؤون الاقتصاد والاجتماع ولا عنايته بما يعني الفرد بالمكسب بعد المكسب وبصور المجتمع ضورا متتابعات يقضي الحسن منها إلى الحسن والفاضل إلى الأفضل . لم يكن كل هذا شعبي العزيز بهتينا قضية من قضايا الكبري أوليناها منذ فجر استقلالنا ما هي خليفة به من الرعاية قيمة به من الاستغال تلك هي قضية أراضينا التي لم يشملها الاتفاق فظلت رهينة الاحتلال بعدما نعم الله على أراضينا الأخرى بنعمة التحرر من الأرهاق والأغلال فعالجنا هذه القضية بما كان يجب أن تعالج به من المطالبة التي لا تكل ولا تسام والصبر الذي لا يتكس ولا يتعزم والمسايرة التي لا تفرط في الحق ولا تستهين ما التعلق والأسرار بالحفاظ على أواصر الصداقة التقليدية وأزمة الجوار ، وأنت طريقة المخادنة والخوار أولى ثماراتها المرجوة فلحق إقليم طرفاية بغيره من أقاليم المملكة ثم انسلكت بعد أعوام منطقة سيدي افني في سلك الأجزاء المجرة ، نيد أن صحرائنا التي يتفثل فيها جزء كبير من ترابنا الوطني تعبر استرجاعنا على ما وصلناه في سبيلها

توثقت الصلات وتآخت القلوب

النفس البشرية من أحساس حتى تبلغ الصبح ووضع الحق المبين وترعرع بعد الشك اليقين وبنان الناظرين ان مسيرتك صحيحة غير زائفة وانك جاد غير هازل وصادق غير كاذب قرد الله اليك الصحراء ويسر بينك وبين اقربائك وأهلك التواصل واللقاء وأسبغ عليك وعلينهم المنة والنعماء .

فالحمد لله الذي أظهرنا من ولائك وإخلاصك وتعلقك والتفافك ووعيك وأدراكك على ما أقر العين مرة أخرى وشرح الصدر وأشاع المصرة والارتياح وأطلعنا توكيدا بعد توكيد على المألوف في عادتك وإخلاصك والمعهود من دابك وأعرافك وله الشكر والحمد على ما هيا لنا من صداقة الاصدقاء وأخاء الاخوة الاشقاء الذين ساندوا وآزرنا ونصروا وعزروا يوم دعوناهم فاستجابوا خفايا واستنصناهم قنصوا سراعا وان تنس قلن تنسى أبدا كريم مظاهرهم وجميل مناصرتهم .

وهكذا شعبي العزيز يتوج الله مرحلة الاستقلال بعد الاحتلال بهذا الحادث الابن الاخير الذي ينبتوا مكان الوساطة من العقد وبهذا المكسب الذي يسمو الى الذروة من شامت المكاسب وهذه المنية التي تضعي على البلاد من قشيب الاردية وقاخر الانشواب ما تلقفت به في سالف الأزمان وغابر الاحقاب .

وهكذا شعبي العزيز تحمل هذه الذكرى الخامسة عشرة متألقة متوهجة تحيط بها هالة المجد الموصول الطريف بالتليد المستقر طوال الاجيال والعصور على قرار شديد من الالفة والمحبة والاخلاص والوفاء .

مملكة جديدة

حاولنا شعبي العزيز ان نطلعك بايجاز واختصار على ما تلاحق من جهودنا في متعدد الإنحاء ومتباين المجالات خلال العقدين الاخيرين اللذين اضطلعنا فيهما بالمسؤولية الكاملة لتدبير شؤوننا ، واذا كنا قد وفقنا بفضل هذه الجهود الى اجتياز عقبات وقطع مسافات وبلوغ حظ مشهود من المقاصد والغايات فان ما علينا ان نبدله من جهود بعد تحرير صحرائنا واستكمال وحدة وطننا واتساع آفاق العمل وانسداد رحاب الاهتمام والاعتناء ليهيب بنا ان ننطلق عزيزتنا اقوى شبابا واند نفسا لمواجهة ما

وكان من ادمى الاشياء الى الاهتمام ان تيسر للفرد الضخم من رجالك ونسائك وكهولك وشبابك أسباب الوصول الهتية الرضوية الى المكان الذي اتخذناه ملتقى ومجتمعاً للواقدين من جميع النحاء المملكة فعبانا كل ما أمكن تعبته من وسائل النقل وانطنا بالمدنيين والعسكريين ان يسهروا باشرافنا على احكام التنقل والمسير وارضاء الحاجات والمنطلقات المادية والادبية لنتهيا احسن الظروف لنجاح المسيرة الخضراء ، وهكذا تنقلت مدة ايام عبر الاقاليم تقلت العزبات وتحملت الشاحنات وتوفر لك امکانات بالنظام والترتيب اللذين افضيا بك فرجا جلدان الى محط الرحال ومجتمع الاقواج في رحاب طرافية على عتية الصحراء . وانتظرت بضعة ايام تعرف في اثنائها انسان الى انسان وفوج الى فوج وتوثقت خلالها الصلات وتآخت القلوب ، فلما حان الوقت ودقت الساعة التاريخية وجهنا نداءنا بالانطلاق عبر الحدود واماطة الحواجز والسدود فتحررت مسيرتك الخضراء قاصدة ارض الصحراء هاتفة بالتهليل والتكبير يوزفرف عليها لواءك والوية الاشقاء والاصدقاء زاهية الالوان مزهوية بالحادث الداعي الى الاحتشاد والانتخاد الموعود بالنصر الممكن والفتح المبين وسارت اقدامك وأقدام انصارك ومحبيك ثابتة فوق الرمال والكثبان يحيط بها لطف الله الذي لا يعدمه من أخلص الايمان وتحف بها رعاية الباري الذي لا يخيب رجاء من اعتصم بخيله ولا يخيس بذمة من لاذ بكرمه وفضله وقطعتم اشواط بعد الفئور نصف مرسوم وجاش رابط وقلب مطمئن لم يبد منكم تردد ولا تكوص ولم يداخلكم جزع ولا وجل وتقدمتم رافعين لكتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مزودين ب زاد اليقين الذي يستغنى عن كل زاد سواه ، شاعرين بانكم تبشرون للمجد صرحا وتصنعون مصيرا وتدشنون عهدا جديدا مشهودا ، وسرى بسرائكم الخشوع في الصفوف فاتجهتم الى الله شاكرين لما آتم عليكم من نعمة وآتاكم من فضل حامدين ما يسر لكم من تجربة وخولكم دون غيركم من حظ وسن على ايديكم من فصح .

ورد الله اليك الصحراء

ولم ينض - شعبي العزيز - على مسيرتك الا ايام قليلة احسست طيلتها بأروغ ما يمكن ان يخامر

صار لزاما علينا ان نواجهه فيما أصبح شمالا لمملكتنا وجنوبا .

نفزع الى وسيلة من وسائل العنف ولا الى ذريعة من ذرائع النهب والاختطاف .

لقد قاومتنا الدولة الاسبانية زمنا ما وسعتنا المفاوضة وحاورناها ما تيسرت لنا سبل المحاوراة فلما تعذر الوصول الى الفاية المنشودة اجتمعت كلمتنا وكلمة شقيقتنا موريطانيا على الاحتكام الى ائتموري محكمة دولية وجاء الحكم بعد الاحالة من لدن منظمة الامم المتحدة مؤيدا لوجهة نظرنا ووجهة نظر شريكتنا في المطالبة شقيقتنا الدولة الموريطانية. فسرنا عندئذ الى اخذ ما ثبت لنا من حق مسيرتنا السلمية الميمونة الرائعة التي اسفرت عن ابرام الاتفاق مع جارتنا وصديقتنا الدولة الاسبانية. وتم بعد ذلك اقرار الاتفاق من لدن منظمة الامم المتحدة ومن لدن رعاياتنا الاوفياء قى الصحراء الذين اعلنوا بيعتهم لنا بوصفهم الممثلين بصورة لا تقبل النزاع والخلاف بجميع سكان الصحراء والنائبين عن هؤلاء في التعهد والالتزام .

قواتنا المسلحة الملكية واقفة بالمرصاد

ان الذين يمارسون المضايقات ويسلورون بالاعتداءات ويحتجون بالحجج الواهيات ويقهملون انفسهم في شؤون غير شؤونهم ويرتمون الى ديار غير ديارهم قد اقتضح امرهم وتعرت اطماعهم وشهواتهم واهواؤهم وان اجتهدوا في التلبس والتدليس وجدوا في الاختلاق والافتراء .

اننا نعد كل اعتداء يخل بأمن وطننا وبسلامته افتيانا على حقوقنا وتعديا لسيادتنا يستوجبان منا الصرامة التي لا مجال معها للمهادنة والمهادنة اذا كنا امة مهادنة مسالمة كارهة للحرب وما تحملته الحرب في طياتها من فجائع ورزايا فاننا غير مستعدين لاداء ثمن حرصنا على السلم واستنكافنا عما يترتب عن المواجهة العنيفة من شنيع الأضرار بالتنازل عن حق من حقوقنا والتفاسي عن امتنان حرمة من حرماننا .

تحية تنويه وتقدير ورضى لقواتنا المسلحة

ان قواتنا المسلحة الملكية التي تقوم الى جانب سلطتنا الادارية وجميع موظفينا باسعاف رعاياتنا في الصحراء ومساعدتهم ضروريا في المساعدة والامعاف لواقعة بالمرصاد لكل من تسول له نفسه من الطامعين

ان مسيرتك الخضراء شعبي العزيز ودخولك الصحراء ارض الامهات والاباء واستقرارك فوق هذا التراب المبارك بحكم ما لك من حق ثابت ونيادة متاملة كل هذا جعل من مفريك مملكة جديدة وفرض علينا فروض الحذب والرعاية والنظر الذي لا يتعقب البقص والخصاص ويتفرغ لتلافي ما يجب تلافيه وتجديده ما يتعين تجديده وتشبيده ما يبدو تشبيده ضرورة لا مفاضل منها . اننا نذرع ارض الصحراء منذ شهور ونزرعها حبا واما وسلاما ونوليها الكثير من فيض القلوب والوفور من محض العقول ونزدها بمطمنة بالثقة عامرة بالآمال ناضرة بالاحضار جمة فيحاء وارفة الظلال ، وارادتنا هذه تقتضي ان ننصرف الى مجالات شتى وميادين مختلفة ونباشر التلقيف والتكوين والعلاج والتجهيز والتنقيب والاستثمار وكل ما من شأنه ان يبدل الصورة ويغير الملامح حتى تصبح هذه الارض الخبيبة امتدادا للشمال وترتدي من مطارف البهاء والجمال وملابس الرفاهية والازدهار ما يجذب الاقئدة والايصار ويسعد رعاياتنا الأبرار .

وقد شرعنا في تنفيذ ما استقام عليه الرأي واستقر عليه العزم واخذنا نضع الخطط ونعد المشاريع تستثيرنا الرغبة في الاصلاح وتستجيبنا العزم على بلوغ ما نتوخاه لارض الصحراء ورعاياتنا في الصحراء من مقاصد واغراض .

لن يعوقنا عائق من مكابرة وعناد

واذا كانت هناك محاولات مصدورها ما يستعري في بعض النفوس من حسد وطمع لشغلنا عما نرمي اليه وابتغية وصدنا عن تحقيق ما نرغبه للصحراء من نهاء وزخاء فان عزما قوي على احباط كل تدبير يراد به تشييط الهمم وشمل العزائم ولن يصرفنا عن مساعيها الموقوفة على الخير ولا عن اعمالنا الضامنة للاسعاد صارف من تطاول وعدوان وان يعوقنا عن مواصلة الاعداد بعد الاعداد ومتابعة الانجاز تلو الانجاز عائق من مكابرة وعناد واعتفاف وانتزاء وسنظل متمسكين بحماية ترابنا مدافعين عن حوزة بلادنا مناضلين وقاية وتحصينا لمكتسباتنا . ان الصحراء صحراؤنا لم نفتصبها اقتصابا ولم نستلبها استلبا وانما هي جزء من وطننا كان محتلا فخلصناه . وعقيدا فاطلقناه ، لم

المتهافتين الاجتراء على ترابنا الوطني بالترافسي والانتهاك وقد برهنت قواتنا المسلحة الملكية غير ما مرة عن وفائها لشعارها وناضلت تضاملا مستعيتا دفاعا عن حوزة الوطن وصدا لعلوان المعتدين بالشجاعة التي تناقلتها الاخبار والبطولة التي شيد لها الاعجاب والاكبار فالى الله العلي القدير يتضرع قائدنا الاعلى بالدعاء ان يؤيد بلادها الجميل بعونه وقوفه وكافا اخلاصها لمصالح البلاد ومثلها العليا باحسن ما يكافؤ به العمل المصروف لوجهه ، الموقف على مرضاته ، والى قواتنا المسلحة الملكية وقواتنا المساعدة وقوات الدرك والشرطة توجه في هذا العيد الوطني الاغر معربين عن مشاعرنا ومشاعر الامة باجمعها تحياتنا الخالصة مشفوعة بالتبويه والتقدير مقررة بالرضى والارتياح والاعتزاز والانتخار .

- الجزائر وموقف الجزائر من صحرائنا لا يستندان الى مشروعية ولا يقومان على اساس يمكن تبريره والتماس الغدر له بوجه من الوجوه . وان الجزائر بما تسلكه من مسالك وتنكر له من قيم وعبادي وتخفقه من ذمم وتنقضه من عهود وتعرض عنه من وفاة بالوعود لتفتح بابا عن اخطر الابواب وتسن طريقا من اشنع الطرق في مضمار التعامل الدولي والعلاقات بين الامم والشعوب . ان حرمات اسلامية تنتهك وارضى عربية ما زالت سليمة مفضوبة تطالب بالنجدة وتستغيث فلا تغاث فيما احرانا ان نصرف جهودنا ومقدرتنا الى حمايتها وانتشالها :

كلل الله الجهود وتوج المساعي بالتام وحدة التراب

تعلم شعبي العزيز وانت من الذاكرين للبيد البيضاء الشاكرين للصنيع ما كان يعالج في قلب عاهلنا الراحل بطل التحرير ، وشهد الكفاح المبرر والدنا جلالة الملك محمد الخامس رضى الله عنه وارضا من طموح كبير الى ارداف المكاسب بالمكاسب ، واتباع الظفر بالظفر ، والحق بالمنطمح المحقق بالمطمح الذي يحيط به القلب من كل جانب ويتعلق به الحزن فلا يهله ولا يزايله ، وقد كان من مطالبه ومطامحه رحمه الله ان تسترجع البلاد ما كان ملدة حياته منقوصا من اطرافها ، مقطوعا من اجزائها ، ولحق بالرفيق الاعلى والوطن يحن الى المفصول من جوارحه واعضائه فكان علينا ان نخلفه عندما خلفناه على عرشه فيما ابتغاه وتمناه ، وتركب الوعر والسهل لراب ما كان متصلا من وحدة ، ولم ما كان متفرقا من تراث ، وهاتن اليوم وقد كلل الله الجهود وتوج المساعي بالتام وحدة التراب ، واتم علينا النعمة باجتماع الشمل ، فلذكر الراحل الراحل الذي دلنا على المحجة البيضاء ، وهادانا على مهج السؤدد والكرامة ، الى اقوم سبيل ، واشرف قضد ، بقلوب مستنارة بذكراه ، عامرة بما أجرى فيها من عيون ، خاشعة متهيلة الى الله سبحانه ان يكافئه على ما اوسع من عطاء ، واخلص لوطنه من حب ووفاء ، ويجازيه احسن الجزاء ، ويوفي له الرحمة والغفران ، ويكرم مثواه في حنة النعم ومقام الرضوان .

واذا كان من بواجب مسرتنا وابتهاجنا ان نشوه ونشيد بمواقفها البطولية وبما كتب الله ويكتب لها من نصر فان ما علينا من واجب النصح لها والارشاد لغيري علينا ان نسترعي بالها الى ان كل انتصار انا ما كانت صفاته وابعاده يستدعي ان يبقى لهيب الحماسة متوقدا في نفوسها ويظل الاحتراس والاحتياط سمتين لازمتين من سمات اعمال الليل والنهار وشملة متوهجة في الاثدة لا تنطفئ ولا تخبو .

موقف الجزائر من صحرائنا لا يستند الى مشروعية

واخلق بنا بعد هذا كله ان نلفت نظر الجزائر الى ان تدخلها السافر في شؤون صحرائنا لا يعني الا شيئا واحدا وهو انها بتكلفتها ما تتكفله وتجسمها ما تتجسم تضيق وتنا لميننا فيما لا غناء فيه ولا خير من وزائه واحسن لها واحدى ان تصرفه فيما يعود عليها بالربح المحقق والقائدة الظاهرة ، ان المغرب سيمقى في الصحراء كلف ما كلف بقاؤه من ثمن وتضحيات .

بيند اننا نناشد الجزائر ما نبينا وبين شعب الجزائر من تسب وقراية ورحم ان تجتنب من المبادرات والاعمال ما تسيل به ذماء الاقرباء والاشقاء وتتولد به المشحناء والبغضاء ، ونقول للجزائر ان الان الذي ترتكبه بالتسبب في اراقة الدماء وازهاق الادواح وفسج المجال للكرائية والبغضاء والمرارة والالم لتوء وحدها باوزاره وتبعاته . ان تصرف

عاهدتك - شعبي العزيز - يوم القي الله الذي زمام امرك ، واناط بي تدبير امورك ، على ان اجتهد

فلا اني ، واسعى فلا امل السعي ، وابلى كل بلاء
 حسن ، واركب كل سبيل محمود ، درءا للمكازة ،
 وجلبا للمنافع ، وطلباً لجميل الاحدوة ، حتى تسير
 قدماك ثابتة لا يتوبها المسير ، راسخة لا تكسر ولا
 تزل ، فيسر الله لاجتهادنا ما يسر من جميل الآثار ،
 وبلغ سعينا ما بلغ من سنى الاغراض والاورار ، وكتب
 لكلمتك ان تشيع ولشائك ان يرتفع ويندفع ، ولجأهك
 ان يتسع ويستطيل ، ولوطنك ان تشرئب اليه الاعناق ،
 وتمتد اليه الابصار . وها نحن وياك بعد خمسة
 عشر عاماً تجربت احقادها مليئة باتفاق مشيئتنا
 ومشيتك ، واشترك عزيمتنا وعزيمتك ، واجتماع
 ارادتنا وارادتك ، على حركة لا يعترها فتور ولا
 يمسا لغوب ، نرتو الى المستقبل باعين طامحة ،
 وقلوب غضة الشباب ، مكنة العزم ، صادية الى
 المزيد من الانتحار ، غرقى الى ارتقاء يعقبه ارتقاء ،
 وظفر يتلوّه قلب واعتلاء .

من انتصار الى انتصار وفتح الى فتح

ان الله الذي جمع قلوبنا على الالفه والواهم ،
 ووحد جهودنا بالاتفاق والانسجام ، وقاد خطانا في
 مختلف الظروف والاحوال من انتصار الى انتصار ،
 وفتح الى فتح ، وتقدم الى تقدم ، لقادز على ان يهزم
 لنا غداً من اسباب الفوز بمكاسب جديدة ما يقسم
 دليلاً على اننا وياك ، كدائنا بالاسى ، وكدائنا اليوم ،
 سائرون ان شاء الله متأزدين متطافرين ، في طريق
 لا يتشعب ولا يتعدد ، دائبون بعون الله على العمل
 الذي يكفل للوطن اشراقاً بعد اشراق ، ووسامة بعد
 وسامة ، وبهاء بعد بهاء ، وعزا بعد عز .

لقد ادركت - شعبي العزيز - ان احرص ما
 نحرص عليه ان يتوالى لك الامن والهناء ، ويتواصل
 ليومك وغدك الرفاه والرخاء ، ويتلاحق لك ولائناك

وابناء ابنائك ، اجل واوسع واقيوى ما تشيع به
 الطفانية ، ويستحكم به الازدهار ، وتنتشر به
 السعادة . وسيظل هذا الحرص دعامة وثيقة من دعائم
 سياستنا . ومنطلقاً متيناً تنطلق منه العزيمة المتجددة ،
 ويبلغ به الشاؤ البعيد .

لقد كنت - شعبي العزيز - باستمرار واتصال
 مناظا للثقة ومعقداً للآمال ، فما اكثر ما صدقت الرجاء ،
 واثبتت الصدر ، بما أدليت به من براهين متعاقبة ،
 على انك جدير بالثقة المطلقة ، خليك بأن تتعلق بك
 النفس ، وتملأ من احلك اطلاق العقل والوجدان .
 وشاء الله ان تتوشج بيني وبينك الثقة والآمال ،
 ويتمتع الوطن بثمار هذا الائتلاف وهذا الاتحاد .

اللهم ادم الأسرة الجامعة بيني وبين شعبي
 وثيقة العرى لا تنبت ولا تنقسم ويسر لي ولشعبي
 طرق الاهتداء ، الى ما يرضيك ، وسبل الوصول الى
 ما نستحق به فضلك وانعامك . اللهم وفقني ووفق
 شعبي الى الصالح من الاعمال والأقوال ، وأعني وأمن
 شعبي على تحقيق ما اعلقته بنفوسنا من واسع الآمال .
 اللهم اكلاً وطني وشعبي بحياطنك ورعانتك ، واجعلهما
 اللهم بكرمك ومنك ، في طليعة الشعوب والاوطان
 التي افضت عليها خيراً كثيراً ، واعطيتها من السؤدد
 وبهاة الشأن حظاً وقيراً .

اللهم ايدني بتصرّك ، واهدني الى التهج الامثل
 بتسديدك وارشادك ، وتولني بتعزيزك واستنادك ،
 اللهم اني معتصم بحبك ، متمسك بكتابك وسنة نبيك ،
 لآلئ بجاهك وكرمك ، قاعصمني من الزلل وقني نوائب
 السام والملل ، وقوني بقوتك ، واعل كلمتي بجودك
 ومنتك ، وادم على لساني قولك المبين : « ان وليي
 الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » صدق الله
 العظيم . والسلام عليكم ورحمة الله .

العناصر الضرورية للصالحة

لاستمرار حضارتنا الإسلامية

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الربيعة

إن تصرف في وجهتها الصالحة ولهذا يجب علينا قبل التفكير في استعمال الطاقة أن نفكر في الأهداف التي سنواجه طاقتنا إليها لتكون مجهوداتنا ايجابية ولتكون أعمالنا غير ضائعة لا فرق في ذلك بين أعمال الفرد وأعمال الجماعة .

وهذه الأهداف ينبغي أن تكون متباعدة عن كياننا غير متفصلة عن وجودنا لئلا تكون غرباء عنها فنقتضي المستمرة في مشاهدات مظلمة تقول بنا إلى الضياع وتحول بيننا وبين الرفاهية والرخاء .

ولهذا أرى أن التخطيط ضروري لبناء المستقبل ولكنه تخطيط يجعل في حيابه الرصيد الحضاري الذي عشناه منذ مشاركتنا في السلسلة الحضارية الإنسانية غير ناسين الحقبة الإسلامية التي هي غير المبع الخفيف في تاريخنا المجيد وغير متجاهلين تعاليم الإسلام التي قضت على كثير من الرواسخ وهدت الإنسان الحائر وفتحت أمامه مجالات البحث والتفكير فصار يسيرا ميلا إلى الخير داعية اليه وأصبح يفضلها رافيا في الوحدة الإيجابية التي تجعل المؤمنين أخوة لا فرق بين غربي وعجمي إلا بالقوى .

ومن هنا يجب أن يكون التخطيط متكاملًا لا يفرق بين الجانب الروحي والجانب المادي بل في خلق فلسفة اقتصادية ممتزجة بفلسفة أخلاقية يعيش الإنسان مطمئنًا فلا يتسرع بفراغ في روحه ولا يفراغ في معنائه ويقيم إلى الكسب المادي جنبًا

إلى السلبية الثقافية عقيم مبيت يقضي على الفكر ويتلاشى معه الحضارات وتعلم فيه طفرات التقدم .

ومفهوم السلبية في الثقافة مختلف باختلاف الأحوال والازمنة والظروف التي تعيشها بعض الدول المتأخرة . وليس أخير على الدول النامية من هذه السلبية التي تجعل بعض المسؤولين عن التوجيه وإبراز الحقائق مكتفين بالعيش المادي في أبحس مسود دون أن يتحملوا المسؤولية الملقاة على عاتقهم كمثقفين وعامة .

ونحن في المغرب لا نستطيع أن نتفصل أبداً عن هذه الحقيقة التي تدفعنا إلى دعي ذاتي لخروج به من السلبية المهيئة إلى الإيجابية المبنية على الحركة عملية التطور إلى العصر المشرق البراق .

إن الإنسان في تطور مستمر وحركة دائمة ولكن المشكلة ليس بشكل التطور أو شكل الحركة وإنما هو شكل الزمام الذي نتحكم في مسار الحركة وشكل الفكر الذي توجه الإرادة نحو الخير والعدالة .

إن كثيرا من الناس نواجه في أعمالهم دائبين يواظلون الليل بالنهار ولكنهم رغم ذلك يظلون متعطلين فما السبب في ذلك ؟

السبب في ذلك يرجعه إلى أن الحركة عتية أو متائرة في غير هدفها السليم فتتبدد القوى دون

أخلاقيا يترفعه عن الإبتذال والانتقاد إلى الشهوات إلى أبعد الحدود .

وأول العناصر في هذا التخليط يجب أن يستفاد وجوده من طبيعة الإنسان المسالة إلى الإيمان بقوة فوق قوته وطاقة تتجاوز حدود إمكاناته .

وهنا يجب أن يكون لنا الاختيار بين وجهات الإيمان لتحديد لنا معالم الطريق وتنضج لنا أسرار الوجود .

فتنا هي هذه الوجهات ؟

خل في الإيمان بمظاهر الطبيعة دون تعليل لها ودون إبراز نسبيتها إلا ما يتجلى فيها من القوة والتأثير ؟

هل هي إيمان بالقوى الغيبية من غير تجديدها في خالق أولي لا نهاية له ؟

أم هي إيمان بالله عادل ليس كمثله شيء يتصرف في الطبيعة ومظاهرها ويتصرف فيما وراء الطبيعة له الملك في الدنيا وله الملك في الآخرة ؟

إننا حين ندرس بعض الفلسفات المادية نجدنا ترجيح الإنجاه الأول الذي يؤمن بالطبيعة وحدتها ويكتفئ بإخلاقها ، وخذ النهضة العلمية التجريبية المتعلقة بربط الأشياء المحسوسة بالتصديق والخبرة متسلطة على النفوس خصوصا بعد أن صادفت تلك النهضة في أوربا تخلفا دينيا كاد يحول بين الدول الأوروبية وتطلعها إلى ذلك التقدم الصناعي الباهر .

وحيث أن الفكر العربي اتصل بأوربا أثناء الأنتزاج الذي فرضته على الأمم الغربية حينما من الدهر غرضا عسكريا ثم غزوا فكريا فإننا نرى أن كثيرا من هذه الآراء تسربت إلى فكرنا العربي واستقرت جذورها في عقول البعض منا حتى ظنوها حقيقة ثابتة لا تبدل بتبدل الأحوال مع أنهم لو علموا بزمانها ومكانها أو قارنوا بينها وبين الاتجاهات الدينية التي أحملت حين إصدار الحكم لكان لهم رأي آخر يخالف ما سار عليه هؤلاء الطبيعيون .

ومن المعلوم أن هؤلاء الماديين في عقيدتهم الطبيعية يرتبطون في العصر الحاضر بين آرائهم وبين

السلطة التجريبية التي بلغوا إليها عن طريق الإيمان بالمادة وقيام التجارب حولها . وكانهم بذلك يرفعون أن يقولوا بحتمية النقي لأن الإله الذي لا يستطيعون أن يروه وأن يلمسوه يشي عندهم أن يبتذوه ويرفضوه .

ومن المؤسف أن هذه الأفكار اكتسحت عددا كبيرا من الشباب وجعلت بمقتضهم عرضة للإلحاد والاستخفاف بالقيم الدينية وجعلت آخرين حاليين لا يدرون الحقيقة لأنهم ما زالوا يحتون عنها وعساه أن يجدوا في أبحاث المفكرين الإسلاميين سبيلا إلى الهداية وطريقا إلى الرشاد .

وبعد في العصر الحاضر المفكر الإسلامي المراحل غلبت محمود العقاد رحمة الله عن التهور العلماء الذين استطاعوا أن يبرزوا هبة هذه الفكرة وأن يصوروا ما فيها من خلل منطقي يجعلها بعيدة كل البعد عن الصواب .

ولقد ألف كتابا في تاريخ العقيدة سماه « إله » تعرض فيه للمراحل التي مرت على البشرية منذ بداية شعورها الديني إلى التمثال وعيا الإنسان وبيان فيه ضعف الحجة عند الماديين حينما أرادوا البرهنة على الحادهم وعنادهم .

قال رحمه الله (1) :

« ويحيى الماديون في الزمن الأخير فيخسبون أنهم جماعة تقدم وأصلاح للعقول وتقوية للعبادىء التفكير . والواقع أنهم في ابتكارهم كل ما عدا المادة يرجعون القهقري إلى أقرب العنصر في القدم ليقولوا للناس مرة أخرى أن الموجود هو المحسوس وأن المعلوم في الانتظار والاسماع مغموم كذلك في ظاهر الوجود وخالفه وكل ما بينهم وبين همج البداهة من الفرق في هذا الخطأ أن حسيم الحديث يلبس الانتظار على عتبه ويضع المسامع على أذنيه ويخسبون على هذا أنهم يلتزمون حدود العلم الأميين حين يلتزمون حدود النقي ويصرون عليه في مسألة السائل الكبرى وهي مسألة الوجود بل مسألة الأبد التي لا يتقطع الكشف عن حقائقها في مئات من السنين ولا ألوف من السنين ولا ملايين السنين .

لا ... إلى آخر الزمان في هذه المسألة الكبرى ... ونحن لا نستطيع أن نقول لا إلى آخر الزمان في

(1) « إله » للعقائد صفحـة 56 .

عسالة من مسائل الحجرة أو المصادف أو الاعتكاف
أو مسائل البيطرة وعلاج الأجسام ... »

ومن هنا يتطرق العقد في الربط بين حقيقة
الإنسان وحقيقة وجوده لينصل إلى أنه ليس من المتطابق
مع شيء أن يتكرر الإنسان انكاراً بآثار وليس من حقيقة
العلم الإحراز على الشيء لأن هذا الموقف في حد
ذاته يعتبر تنكراً لحقيقة البحث العلمي .

وعليه فهل الإنكار يعتمد على حجة وإمعة أو أنه يدخل
في باب من السذاجة أقل مما يقال فيه أنه لا يتسجم
مع الرأي المفكر ولا مع الإنجاز المنطقي السديدة ؟ .

إن الحقيقة أقرب إلى القول بأن رأي الماديين
هذا لا يستند على حجة ولا يرتكز على قانون لأن
الانكار المذموم في عالم والشيء المذموم ليس ظاهرة
طبيعية من ظواهر الكون تشبه بها الإنسان في
المواقف المجهولة لديه لأن جهله بها ليس بعناء عدم
وجودها فتعلق الشيء لا يمكنه منده أي شخص أن
يكون أبدياً لأن ذلك يناقض الحقيقة ويخالفها كما يناقض
الواقع ويخالفه .

وهذا الاستنتاج يكاد يكون من البديهيات التي
تحدث عنها المفكرون كثيراً ولقد قارن هؤلاء بين
ارتباط حياة الإنسان بالزمن والرباطة باستيعابه
الانكار وخلص النتائج فراءوا أن عقله محدود وأن
الموجود الذي تحدث عنه وجود كامل ليس له
حدود فكيف يعطى الصلاحية للحكم لعقل محدود في
موجود لا حدود له ؟ !

إننا ان قلنا ذلك فنتكون النتيجة منطوية
ونصل إلى النتائج العكسية التي ردها الدهريون
قديماً وردد مداهي المحذرون فكانت صورة طبق
الأصل لمشكلة أدخلت قلقاً كبيراً على حياتنا
المعاصرة في حين أنها لا تستحق هذا الاضطراب
نظراً لوضوحها وتخليها في النفوس الواسية .

فمشكلة الإيمان مشكلة شعورية يحس بها
الإنسان ويعبها وعلى أساس هذا الشعور وهذا الوعي
يتبعي أن نعترف بالله وأن نقر به الأقرار اللائق بجلاله .

إذا افترضنا أن هؤلاء المتكررين لا يستطيعون
البرهنة على انكارهم وأن هؤلاء الملحدين لا يؤيدهم
برهان أو دليل فما علينا إلا أن نعتز بوعينا الذي دفعنا

إلى الإيمان وجعلنا اسمي من أن نقاد لمن لا حجة له
أو نقاد من لا يستحق التقليد .

وإن هذا الإيمان سيكون مركز الانطلاق إلى
العقل البقاء وسيعيننا على الابتعاد عن القلق والقوى
والشقاق ولنجعلنا بسببها لكثير من التفسيرات
القائمة التي يضيق بها صدورنا ويتكرر بها صقارنا .

وإن محاربة القلق وما يشاء منه شيء نحتاج
إليه في بداية الطريق لنزول الأشواق ولبعد المسالك
حسبنا وإن القلق أصبح سمة من سمات العصر في
شئنا المظاهر أنه قلق على المستقبل وقلق على النفس
وقلق من الواقع وبين أنواع القلق بين الشقاق وجوده
وفرض ذاته وأصبح اليأس والألم والضياع نقصات
جزية في كيان الإنسان الحاضر .

ولو درى هذا الإنسان حقيقة نفسه لاستطاع
أن يستخلص من أعماقه طريق الخلاص وأن يشور على
هذا الكاوس الحاتم الذي جعل سعادته شقاء ونعته
بلاء .

إن الإنسان حينما بقي نفسه ويربط بين هذا
الوعي والتدبير الإلهي تخف أعباءه ولحل مشاكله
وتتراجع اضطراباته ويتساقطوا إلى مخاض الحياة
فيراها براءة لأمعة وضاءة وتقف بارادته ضد مظاهر
اليأس والخيرمان فلا يعتد بها ولا يبالي بتصرفاتها .

وهذا الوعي أصبح ضرورياً في علاج هذا المصاب
ويتبعي أن يتفرد الإنسان عليه عن طريق التربية
والممارسة وعن طريق تنمية المبادئ الأخلاقية التي
تجعل من الوجود انطلاقاً إلى تحقيق المثل العليا
الهادفة إلى تحقيق سعادة الفرد وسعادة البشرية .

وخير سبيل إلى تركيزه في النفس الإيمان بالله
وبواسطة هذا الإيمان لا يقع أي تناقض بين الإرادة
الإنسانية وبين الاستجابة لها من طرف القوة العالية
المديرة للكون والمتصرفة فيه .

ومن هنا تكون قد رفضنا الاتجاه المادي لأمريين :

أولاً : لأنه لا يستند على حجة مقبولة .

ثانياً : لأنه لا يحقق السعادة التي نشعر بها ونحن
مؤمنون .

وبناء على ما تقدم نرى أن أي تخطيط يهمل الإيمان سيكون منفصلا عما لا ينتمي إلى فطرتنا ولا إلى أمانتنا.

ولكن إذا كان الإيمان يعد أول عناصر التخطيط لتحقيق حضارتنا فما هو العنصر الثاني ؟

إنه الوعي الحضاري

والمراد به الشعور بدورنا في تاريخ الحضارات البشرية لئلا نعيش كالأنعام بين عمالة الفكر الماسر.

وهذا الوعي الحضاري يجعلنا ننظر إلى الامم في اتجاهنا البناء وننظر إلى الوراء لتطلع على المجهودات الجبارة التي قام بها أجدادنا في كل المجالات وليس من الغيب أن يكون لنا نصيب ولكن الغيب أن تقتصر عليه وأن نجعله الوحيد في مجال الاختراع حتى نضدع بلواذع قارحة تسبح في عقول أجداننا ثم نتداولها ونستهلكها بينما في سخرية أشد من سخرية الأعداء فكّم مرة سمعت من بعض الأفراد قولهم أن العرب اخترعوا الصقر ولكنهم ظنوا فيه بلهجة تدل على التشفي والاحتقار والذلة والافتقار مما دعاني مرارا إلى أن أكتب هؤلاء بأن مواقفهم هاته لا تخدشهم في شيء وانما هي ترداد لمواقف الأعداء وأنهم ينبغي لهم حين يسمعون مثل هذه الأقوال أن يجعلوها سبلا لتغيير ما بهم لا سبلا للباس والاستسلام وأن يدفعهم ذلك إلى تقصي الجقائق ودولة التاريخ الإسلامي في مختلف الأغراض .

ولذا أرى أن الانفصال عن أمانتنا والاستخفاف بدورنا في الوجود يعد حثالة كبرى ما أجدرنا أن نتنبه منها .

أن من أكد ما يجب أن يتخلى به الفرد في بلادنا ضدق شعوره بوقاحة مناهيه ونضاهة حضارانية ليستطيع بذلك أن يزيل هذا الاضطراب النفسي الذي أصيب به كثير من شبابنا حينما أصبحوا بعداء على تصور حضارتهم قرياء من تصديق كثير من الأفكار

المهادنة المادقة التي منحو الشخصية الإسلامية من الوجود .

اليس من العار أن يردد كثير من طلبة إلى الآن أفكارا لبعض المتمسكين من الفلاسفة الأوربيين ضد العرب والاسلام في الوقت الذي التفت من الأوربيين والأمريكيين وغيرهم من يفضح تعصب هؤلاء المنحرفين فإذا كان ريتان مثلا (1823 - 1892) يقول : (2) أن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية « فهو في هذا متعصب جدا لأنه يعطل الوجود الإنساني الحضاري الذي شارك فيه العرب في التطور البشري في مختلف المجالات خصوصا إذا علمنا أن الفلسفة لم تكن منفصلة عن العلوم أيام ازدهارها عند الإغريق وعند العلماء العرب الذين كان يتحدث عنهم فهو بذلك إذن يحاول أن يفخرو بالوجود العربي في المجال الفكري والعلمي وهذا حكم لا يوافق عليه النقد التزيه ولا يؤيده التاريخ (3) الذي اعترف بفضل العرب في الميدان العلمي والثقافي عامة ولقد اعترفت هيئة الأونسكي وهي المؤسسة الدولية في المجال الفكري والثقافي والعلمي بقيمة الحضارة العربية في التطور كما اعترفت بفضل العرب على أوربا نفسها حينما خلعتها من ظلمات الجهل وزودتها بأصول الفكر وأضاءتها بنور العلم (3) ولقد اختتم البروفيسور كويلر يونج (Cusler Young) رئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها بجامعة برنستون بالولايات المتحدة بحثا له عن أثر الثقافة الإسلامية في الغرب المسيحي بتذكير مسيحي أوربا المعاصرة بالدين الثقافي العظيم الذي عليهم من قبل العرب والمسلمين الذين كانوا يرودونهم بالعلوم والفنون وفلسفة الحياة .

ونحن حينما نتحدث عن الرصيد الفكري في الثقافة العربية لا نفرق بينه وبين الرصيد الفكري في الثقافة الإسلامية ولا نفرق أيضا بين أي موقع من المواقع ولا أي بلد من البلدان لانا نعتبر الثقافة العربية الإسلامية رصيда مشتركا له دور فعال في

(2) في كتاب العرب والفلسفة اليونانية للدكتور عمر فروخ لطبق على رأي ريتان هذا جيمه بقوله إذا

كنا لا نستطيع أن نكون فلاسفة فلا أقل من أن نكتبه عند البحث في الفلسفة بالفلسفة صفحة 18

(3) ما نقلناه عن كويلر يونج مأخوذ من فقره استدلل بها الاستاذ توفيق الطويل في بحث له عن عناصر

التفكير العلمي بين تراث العرب وتراث الفريين نشرت بمجلة عالم الفكر المجلد الثالث العدد الرابع

يناير - فبراير - مارس 1973 ، صفحة 1125

ربط سمورنا بالماضي وفي تحديد سلوكنا في الحاضر
وفي فتح مجال التخطيط لبناء المستقبل .

ويكفي دليلا على ضعف نظرية ريتان انه بناها
على أساس حسيق حيثما ربط الاتجاه الفلسفي بالنتيج
الاغريقي في التفكير دون أن يعبر منهج الفلاسفة
الاسلاميين الذين حققوا وجودهم على أساس فكري
يكاد يكون مستقلا عن الأساس الاغريقي : فالاصوليون
المتكلمون والاصوليون الفقهاء حطوا لانفسهم مجالات
منطقية معينة على عينية خاصة في أغلبها تعتمد على
المنطق الاستقرائي لا على المنطق الصوري زيادة على
ان القراني جعل مراحل المعرفة تتجاوز الدلالة
العقلية فزاد ان الحواس تغدع العقل أحيانا ولذلك
إبطال العقل كما لاحظ ان العقل الذي إبطال الحواس
هو نفسه قد يكون سببا في التخليط ولذا لا ينبغي
الاعتماد عليه اعتمادا كليا خصوصا في الإلهيات فاعترف
سبب ذلك بالجسد والكشف وجعل ذلك عقدا من
مبادئ المعرفة بحيث لا يمكن للإنسان أن يحصر
معارفه عن طريق الحواس أو عن طريق العقل بل قد
يصل إلى المعرفة عن طريق أخرى شعر بها في أعماقه
دون أن تكون واضحة لتجربة الحاسة أو لتجربة
العقل .

وشخصية أخرى كافية في إبطال رأي ريتان
أنها شخصية ابن خلدون الذي بعد أن علم الاجتماع
باغتراف رجال الفكر واساطينه ولقد استطاع أن يثور
نورة عارمة على المنطق الصوري ، ويتبع الجزئيات
العمرانية ليستخلص منها علما قارأ عرف فيما بعد
بعلوم الاجتماع ،

ويكفي فخرا تلك القدرة الفكرية التي ظهرت
منهجيتها في مقدمة كتابه العبر ودعوته إلى التجري
في قبول الأحكام وفي الربط بين الخير والاحوال
الطبيعية والاحوال الاجتماعية فما جاء منها مناقضا
ليأته الاحوال إبطالها وما جاء غير مناقض لم تستعجل
في قبوله أو رفضه وإنما يجب أن نؤكد ان تنقده نقدا
دقيقا نزيها مثلا يقول تأويلا فاسدا أو يؤخذ عن
شخص مغفل لم يميز في نقله للخبر بين صورته
وأبعاده .

ولنح لا نستطيع ان نتحدث في هذه النقطة
دون ان نعود بنا الذكريات إلى الحفاظ المفكر الذي
لا يقتصر في كتابه على عرض أفكاره وإنما يدعو إلى
تأملها وإلى محاولة استخدام الطريقة الاستنباطية

التي استعملها في حل أبحاثه ودراساته وأنا شخصيا
لا أقرأ كتابه البيان والتبيين دون أن تستوقفني هذه
الملاحظة التي سجلها بعد أن روى عن محمد بن علي
ابن عبد الله بن عباس أنه ذكر بلاغة بعض أهل العلم فقال
أني لا أكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه
كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا عن مقدار عقله .

فقد قال الجاحظ بعد ذلك : « وهذا كلام شريفا
ناعم فاحفظوا أظهروا وتدبروا معناه » .

وكأنني أشتاق إلى قول ما السر في ان الجاحظ
يأمر بحفظ هذا القول واستيعابه ؟

الظاهر انه فعل ذلك للأسباب الآتية :

أولا : انه يدعو إلى عدم الاكثار من الكلام دون
علم ودراسة ولو كان ذلك الكلام في صورته الشكلية
جدا لان العبرة بمضمونه لا بشكله .

ثانيا : انه يرى ان العلم وحده غير كاف اذا لم
يكن معه تدبر وابتداع ، قاله العالم الذي لا يستخدم فكرة
أنما هو صورة طبق الأصل لغيره لا تستفيد منه
العضارة شيئا ، أما أحسن جواب ذلك الذي رأى
شخصيا يتناول بحفظه لكتاب علمي واستظهاره لما فيه
نقال الناهي نسخة زيدت في البلد .

ثالثا : ان الجاحظ باستعمانه لهذا القول
وحثه على حفظه واستيعابه يدعو إلى الاستخدام
الفكري وإلى ربط هذا الاستخدام بالمعلومات العامة
التي يضل إليها الإنسان فهو لا ينكر فضل العلم ولكنه
يكره ان يكون مقدار العلم عند الفرد فاضلا على مقدار
العقل لان العلم ميزان لكسب المعارف ، أما العقل
فهو الوسيلة لكسب الملكة وفرق كبير بين كسب
المعارف وكسب الملكة .

فالتعكير إذن وليد الاستعداد وهذا الاستعداد
يأتي عن طريق المعارف ويتغير بعد ذلك عند الدخول
في مرحلته المباشرة أن يتصف المفكر بالتروبي
والأناة وهي المرحلة المعروفة بمرحلة الاختبار .

وفي هذه المرحلة يكون هناك انتظار لخطوات
الاستشارة والائتيان وفيها يتوصل الإنسان إلى الحل
فاذا بلغ اليه عرضه على محك النقد والامتحان فيقبله
حينئذ أو يرفضه وهذه المراحل التفكيرية هي التي
تجعل الإنسان مبدعا وتخرجه من إطار التقليد وهي

مراخل أربعة ، أبان قنيتها في العصر الحاضر العالم
النسائي والاضى (Wallis) في كتابه فن التفكير .

وتحق لو قارنا بينها وبين ما كان يدعو اليه
الجاحظ لرايناها صورة شبيهة بمتناهية خصوصيا
إذا علمنا ان الجاحظ يتصح المفكرين باجتناح الرأي
القطير ويدعوهم الى التأمل في المعركة والى
استخدامها في سائر أغوار الحياة .

وأجمل بنا ان نردد امام اولئك الذين يتبرمون
من بعض الآراء التي لا تتسجم مع آرائهم في العصر
الحاضر قول الجاحظ في كتابه الحيوان زادا على
بعض السابقين والملحقين حين اتكبروا ان تكون
للملائكة أجنحة ثلاثة يدوي فقدان التوازن وانعدام
التعديل (4) : « قد يجوز ان يكون موقع الجناح
الثالث بين الجناحين فيكون الثالث للثاني كالثاني
للاول وتكون كل واحدة من ريشه عاملة في التسي
ليا من ذلك الجسم فتستوي في القوى وفي
الحنس ، ولعل الجناح الذي أنكره الملحد لضيق
الطن ان يكون مركز قوامه في حاق الصليب ولعل
ذلك الجناح ان تكون الريشة الاولى منه معينة للجناح
الايمن والثانية معينة للجناح الايسر وهذا مما لا
يضيّق عليه الفهم ولا يعجز عنه الجواب فاذا كان ذلك
ممكنا في معرفة العبد بما اماره الرب جل وعز كان
ذلك في قدرة الله أجور وما أكثر من يضيّق صدره
لقلة علمه » .

فالجاحظ هنا يدعو الى عدم الاستعجال في
الرفض والى وجوب استخدام العقل في الحكم والى
الاطلاع على المعارف اطلاقا لا يقتصر على صورها
المجردة بل يتصل بصورها الانجابية المبدعة .

ان امثال الجاحظ والفزالي وابن خلدون في
تاريخنا الحضاري كثير زيادة على الاهتمامات الاخرى
المتعلقة بالعلوم التجريبية عند عدد كبير من علمائنا .

وهذا الرصيد الزاخر بالامجاد يجب ان يكون
زادا لوعينا الحضاري وان يكون دائما لنا لربط هذا
الماضي بالحاضر وبالمستقبل .

وان تكون قائمة من ذكر هؤلاء المفكرين ان لم
تجمل ذلك وسيلة عملية لتطوير افكارنا من التمسك
وخلق عالم من الافكار يبعثنا عن الجمود والتقليد .

وهذه هي النقطة الثالثة في مخططنا وهي
متبعة من فلسفة المرحوم مالك ابن نبي الذي يقول
ان المجتمع الاسلامي فقير الافكار في الوقت الذي
اصبح فيه الافكار ذات مفعول في توجيه العالم
الحاضر .

والافكار هنا يجب ان تكون بناء تهدف الى
خلق عدالة اجتماعية تتجلى فيها تكافؤ الفرص وتبني
على الاخلاص في العمل وتدعو الى تطوير النفس من
الضيق وتيسر للجهاز الاجتماعي تمكينا يواجه به
كل انواع الاستغلال .

وفي هذه المرحلة يجب مخاربة الفرو الفكرية
الاجنبية الذي كان يجعل افكارنا مشلولة لا تستطيع
حركة او مقاومة .

وكثير هي الافكار التي محت وجودنا وجعلنا
في مؤخر الطريق .

ومن اهم هذه الافكار فتكما ياتي :

1 - فكرة الاستخفاف بالوجود الحضاري للأمم
العربية الإسلامية

2 - فكرة الخشوع للدعوات الهداية للعقيدة والايقان

3 - فكرة الاستسلام للطغيان المادي

4 - فكرة ربط التقدمية بالاطار التقني دون مراعاة
الجانب الخلفي

5 - فكرة الاستغناء عن اللغة العربية في التعبير
العلمي والادبي

6 - فكرة البحث بالقيم الدينية .

ان وضع هذه الافكار في محك النقد وربطها
بالانقاذ الايجابي في البحث عن الحقيقة سيساعدنا

(4) هذا النص مأخوذ من كتاب الحيوان الجزء الثالث صفحة 72 من الطبعة الحميدية المصرية ويشعق
بالرد على بعض الملحدون الذين طعنوا في أجنحة الملائكة في قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السموات
والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء » .

على التقلب على أكثرها بالين والافتناع لأن أكثرها
اتصل بنا عن طريق التقليد الأعمى ، فإذا استخدم
العقل في تجنبها وفي فهم أضرارها استنقاع أن
يحرر منها .

إن الإنسان العربي حينما يستطيع أن يهتم
بعالم الأفكار وحينما يستطيع أن يركز عقده العقلية
في تفهدها ويميز طيها من خبثها سيقدر حتما على
تغيير واقعها وعلى التوجه إلى ما هو أحسن له كفرد
وكمجموعة .

وهذه الدعوة التي اقتبسناها من المفكر المرحوم
مالك بن نبي التي ستخلق تغييرا جذريا في مفاهيم
الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأنها هي
التي ستعلمنا أن التسابق على الماديات في شكلها
السلبى لا يقين وأن الاستجداء للدول الكبرى في حين
أن رعييد الغير بأيدنا لا ينفع فلتتوجه إرادة الدول
الإسلامية إلى استقلال خيراتها وإلى فرض سيادتها
من جديد لتحرر من كل أنواع الاستعمار وأنها قادرة
على ذلك أن شاء الله .

والبر دليل على ذلك موقف العرب من الحرب
البرتغالية ضد الغول التي كانت تثرف خيراتهم ومع
ذلك كانت توجه الطعنات لهم سرا وعلاية .

إن موقفهم هذا يعبر فكرة إيجابية حققت للعرب
كيانهم في الايطار الدولي وأن الأفكار البناءة إذا بما
تكرر استيعابها وتطبيقها ستغير من وضعنا العام
ولا شك في جميع الاتجاهات .

إن الانحراف الفكري خطير جدا وأمة لا تكسبه
رعييدا من الأفكار الضاللة أمة فقيرة جدا مآلها
الانحياز . وأننى لأدري أن أهم الأفكار التي يجب أن
نملكها لبي الفكرة التي توضح لنا المسيل رئيس لنا
الكرامة في الحال والمآل . .

وإن العصر الذي نعيش فيه ليس عصر علم
وثقنية ولا يمكننا أن نعيش عصرنا إن لم يكن لنا
اهتمام بالعلم والعمل وهذه نقطة رابعة لا بد من
مراعاتها في التخطيط الإيجابي لتركيبة حضارتنا ، فإذا
كان الوعي الحضاري يمنحنا قوة كياننا وكانت الفكرة
الضاللة تهددنا فإن المشاركة العلمية لتجعلنا في
ركاب الحضارة غير متفصلين عنها .

إن الاهتمام العلمي حسب ما أرى يجب أن يكون
رعييدا للامة كليا وليس من المعقول في شيء أن
تجد عددا من العلماء يتجرون بشهاداتهم العلمية
ويخبراتهم على حساب المصلحة العامة فيجعلون
العلم وسيلة للاستقلال لا وسيلة للنفع والافادة .

إن التسابق على العلم في صفوف بعض الطلبة
يكاد يكون في الغالب مجردا عن التوعية الوطنية
ولكنه تسابق عادي محض فالشعب العلمية عندهم
أحسن لأنها توفر الربح أكثر . والشعب الأدبية أو
الأصيلة قولها لأن منافذ الرزق فيها ضيقة ومالك
الافتناع غشيلة . وهذا تقدير ما كان ينبغي أن يكون .

ولذا أرى أن نقطة خاصة يجب أن تضاف إلى
التخطيط لهذا الوعي العقلي ، أن هذا الوعي يجب أن
يرمي في الشخص منذ البداية وأن تشارك في تكوينه
جميع مناهج التربية سواء كانت دينية أو خلقية أو
وطنية .

إن هذه الحصانة التربوية إذا انعكست ضاعبت
الامة وأصابها ضرر عظيم ولعلك كانت المناهات
بالتربية واجبة وضرورية لا مناهات منها لمن أراد
الخلاص من التخلف والانحطاط .

تصور أنها القارىء أن وعينا بالمسؤولية الوطنية
والدينية والإخلاقية العدم في جملة من الطلبة علمتهم
الدولة ودفعت اليهم المنح وأرسلتهم إلى أوروبا حتى
إذا اكتمل لتجهيزهم وظهور نبوغهم رفضوا الرجوع إلى
بلادهم وشاءوا في استقلال تلك المعطيات لأنفسهم
أو للدول أخرى قد تكون من الدول التي تحمل عداوة
لنا أو تسعى في عرقلة مسيرتنا .

إن التقدم هذا الوعي في بعض دول العالم
الثالث هو الذي جعل كثيرا من المؤهوبين في مختلف
العلوم يبعون أدمغتهم ومعارفهم لغير دولهم وهذا
أمر قد يدخل في باب الخيانات وأن كان أولئك الذين
يقومون به يدخلونه في إطار التعاون الفكري العالمي
إن التقدم في العصر الحاضر يحتاج إلى
المهارات العلمية المختلفة سواء في الجواز الطبيعي
أو في الجواز الاقتصادي ويمتداز ما تملك الدول من
الإدخلة المتلوذة علما وكفاءة يكون وزنها الحضاري .
ولذا كان التسابق على المعرفة سلاحا عبقيا تحاول
به كل دولة إثبات وجودها وفرض سيطرتها .

وليس هناك من سبيل لاستقلال الدول الثامنة
استقلالاً تاماً إلا أن تعطل بكل حزم على أعلاء شأن
العلم وعلى تأسيس المراكز العلمية المختلفة سواء
كانت مراكز نظرية أو مراكز تطبيقية .

وبهذه الوسيلة تستطيع بلادها واستقلال
موادها الخام واستكشاف ثرواتها الطبيعية ، وهذا
هدفها أصبح الآن واضحاً جلياً أمام الرأي العام
العربي وبوجهة أصبحت الدول العربية تسعى سعيها
حقيقاً لتحقيقه وتنفيذه ، ويظهر ذلك في مخططاتها
وتصميماتها ، لكن يجب أن نصيف إلى هذا الهدف
خلق وعي شامل في نفوس العلماء الذين يجب عليهم
أن يضيفوا إلى تكوينهم العلمي شعوراً بالضرورة
وتقديرًا للواجب ، أما إذا كانت المعرفة تستغل
للجانب الفردي فهذا ما لا يرضيه من مستعلمين
لأنهم إذا تلقوا الوعي ربما ياتوا أدفعهم ومواجبههم
لأعدائهم وجعلوها ملكاً لغيرهم فلا تنفيذ منهم
أمرهم شيئاً .

إن الوعي الأخلاقي يجب أن لا يغفل عن
الاهتمام العظمي نظراً للترابط الإيجابي بينهما وينبغي
أن يضاف إلى ذلك وعي بالجمال ليكون المواطن ذا
تربية ذوقية تسمي به عن المبادئ وتبعده عن الرذائل
وهذه نقطة مادية ضرورية في مخططنا هذا .

إن تربية الذوق اخذي الدعائم التي تقوم عليها
الحضارة الانسانية ، والدولة التي لا تعني بهذا الجانب
تبقى متخلفة بعيدة عن الإزدهار والرفاهية رغم ما
تجاول أن تتظاهر به من مظاهر الحضارات الأخرى .

ولهذا كانت العناية بالذوق داخلة في تصميم
التكوين الأخلاقي والتكوين الفني وإذا فقدت أمة
هذين العنصرين فقد فقدت المميزات الحضارية الكبرى
التي تجعل الإنسان الخليفة الصالح لتسيير شؤون
هذه الحياة الدنيا .

وإذا كان العلم مظهرًا من مظاهر التقدم وكانت
الثقافة طابعا للحضارة المعاصرة فإنها معا لا يكفلان

للإنسان الحياة السعيدة إذا لم يحن بالذوق السليم
الذي يرفع من قيمة الجمال والحق ويعتني بالقيم
الإنسانية والتهذيب النفوس .

إن العناية بالذوق تعجل في كل مرافق الحياة
فهي تطبع الأخلاق بالفضيلة ، الإنسان بالسلوك الصالح
والحكومات بالمعالة ، والشعوب بالتفاقة والفكر
بالمهنية والعواطف بالنضارة إلى غير ذلك من
المقارنات بين كل الأشياء وما فيها من عناصر الفن
والجمال .

إن هذه النقاط التي تجلينا عنها نراها ضرورية
في تحديد العناصر للحضارة الإسلامية ويجب أن
تجعل في مخطط دقيق قابل للتطبيق والتنفيذ لأن
المسلم الحقيقي لا يتفصل عنها ولا يبعد عنها فهو في
حاجة إلى سلامة العقيدة وحسن التقيد بأصول الدين
وأنواع العبادات وإلى الاهتمام بالعلم والأخلاق .

وينبغي للقارئ أن يعلم أن هذه النقاط ليست
حصراً لكل ما يجب أن يكون مظهراً لإبراز الاتجاه
الإيجابي في حضارتنا التي نريد لها الاستمرار ولكنها
تمثل فقط أهم العناصر التي لا نستطيع تكميل
شخصيتنا دون وجودها فنحن بواسطتها نربط بين
الامالة والمعاصرة ونحو سيطرة الفزو الفكري
الأجنبي عنا إذا كان متحرراً ونخلق تجاوباً بين الفرد
والجماعة وبين القادة والشعوب وبين القول والعمل
وبين الصورة والمادة وبين الفكرة والواقع ، فلا يبقى
ذلك التصدع الذي نحس به في شخصيتنا متسلطاً
ولا يبقى ذلك القلق الذي نعر به متعلباً فنبذل
حيزتنا إيماناً وقلقنا سكونا وتساؤمنا وجاء ، وننطلق
حينئذ إلى الامام قدما لا نلتصق إلا الغبطة والسعادة
والمجد والرخاء والعزة والتعبر . ونصبح من جديده
ملقنين مبادئنا إلى العالم المتعطش لها ، ونأشرون
دعوتنا بشرا يبعث الماضي المجيد وينير المستقبل
للإنسان الحائر المحتاج إلى أسس هذه المبادئ
إلى أصولها .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ



فتح الباري

للمؤلف: تاج الدين محمد بن عبد الرحمن بن حجر



- 2 -

23 - أبو عبد الملك عروان بن علي البونسي .
أخيه من قرطبة . استوطن بونة ياغربية . وكان
جافلا . تأقدا في الفقه والحديث . توفي قبل سنة
440 هـ (42) .

له شرح كبير على موطأ مالك . ينقل عنه ابن
حجر .

24 - أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك
بن يظال . من أهل قرطبة . وعرف بابن النجم . عالم
بالفقه والحديث . (ت 449 هـ (43) .

له شرح على صحيح البخاري في عدة أسفار .
تلفي عليه الصفة الفقهية . ولابن المنير حم المسمى
عليه . استقى منه ابن حجر كثيرا .

25 - أبو محمد علي بن أحمد بن محمد بن
حرم الظاهري . الإمام الحافظ يروي عن أبيه الفضل

22 - أبو الفاسد المهاب بن أبي صفرة التميمي .
الفقيه المحدث . سكن المرو . من العلماء
الراشدين . والمعتمدين في الفقه والحديث . له
حيا كتاب البخاري بالاندلس . لأنه قرأه تفقها . استقام
حياته . وشرحه واختصره (ت 436 (41) هـ .

من مؤلفاته :

شرح البخاري . ينقل عنه ابن التين . وابن
بطل . وهؤلاء الثلاثة هم شراح البخاري الذين اشتهروا
ذكرهم على عهد ابن خلدون . وقال في مقدمته (80) :
انهم - مع ذلك - لم يؤلفوا حلة من الشرح لراجعه .
وما انطوت عليه من فقه وتكات حديثية . . وقد استقى
ابن حجر من شرح المهاب كثيرا . وتأقده في بعض
استدلالاته للمالكية . ودفاعه عن وجهة نظرهم .
وللهيب اختصار الصحيح . ثم كتاب التتميم .
فع تعلق عليه . وربما أقاد منه ابن حجر .

41 - جذوة اليقيني 330 . ترتيب المدارك 751/4 . الصلة 592 . الدياج 448 . شجرة النور
114/1 .

42 - الجذوة 321 . ترتيب المدارك 709/4 . الصلة 581/2 . معجم البلدان 512/1 شجرة النور
114/1 .

43 - الصلة 394 . الدياج 204 . تذكرة الحفاظ 1127 . شذرات الذهب 283/3 . هدية العارفين
688/1 .

من مؤلفاته :

« التعديل والتجريح » لمن خرج عنه البخاري
في الصحيح « - ينقل عنه ابن حجر .

28 - أبو عبد الله محمد بن خلف بن سعيد بن
المرازمي . فاض المعرفة وعالمها . من أهل الرواية
والفتن في العلوم (ت 485 هـ) (48) .

له شرح على البخاري . اختصر فيه شرح
استاذة الموهل بن أبي صفرة ، وأضاف إليه إضافات ،
انقل عنه ابن حجر .

29 - أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميري
الميموني ، حافظ ثبت . رحل إلى المشرق وسمع
بمصر وسكة والشام والعراق . واستوطن بغداد ،
ورعا ثقة ، إمام في الحديث وعلمه ورواه .
(ت 388 هـ) (49) .

من مؤلفاته « النجيع بين الصحيحين » ينقل عنه
ابن حجر .

30 - أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد
الجبالي ، إمام المحدثين في وقته ، (ت 498 هـ)
(50) من مؤلفاته « تقييد القمطر » وتمييز المشكل «
- فريد في بابه . عاد إليه ابن حجر كثيرا .
اختلاف الروايات ، وصحيف أسماء شيوخ
الصحيحين .

أنه أجمع عنده بخط ابنه نحو (400) مجلد . تشمل
على قريب من ثمانين ألف ورقة . (ت 456 هـ) (44) .

ومن مؤلفاته ابن حزم التي عاد إليها ابن حجر :

المظني ، والإيصال ، والفصل في الملل
والنحل ، وجمهرة أنساب العرب . والأجوبة عن
البخاري ، وتاليف في أسماء الله الحسنى ، قال
الغزالي فيه : أنه يدل على عظيم حفظه وسيلان
ذهنه (45) .

26 - أبو عبد الله يوسف بن عبد الله بن محمد بن
عبد البر القزويني ، حافظ المغرب ، قال فيه الحميدي :
فقيه حافظ مكثر . عالم بالتراجم والخلاف .
ويعلل الحديث . وبالرجال (ت 463) (46)
وقد اعتمد ابن حجر من مؤلفاته :

التمهيد ، الاستدكار ، التقصي ، الاستيعاب ،
الإنباه في قبائل الرواة ، جامع بيان العلم .

27 - أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد
التجيني الباجي ، إمام حافظ . رحل إلى المشرق
وحج أربع حجج . طوَّف على كثير من البلدان ،
وسمع الحجة . قضى بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاما ،
جاز الرئاسة بالاندلس ، وسمع منه خلق كثير . وما
يقتضيه أنه روى عنه حافظا المشرق والمغرب : أبو
يكر الخليلي ، وابن عبد البر . (ت 474 هـ) (47) .

44 - جذوة المقتبس 390 ، الصلوة 395/2 ، تذكرة الحفاظ 1146/3 ، العبر 239/3 ، تاريخ

الحكماء 232/1 ، الوفيات 13/3 ، شذرات الذهب 299/3 ، دائرة المعارف الإسلامية 136/1 .

45 - العبر 239/3 ، التذكرة 1147/3 .

46 - جذوة المقتبس 344 ، الصلوة 640/2 ، ترتيب المذاريك 808/4 ، المغرب في حلل المغرب

407/2 ، الوفيات 44/6 ، الفهر 255/3 ، تذكرة الحفاظ 1128/3 ، الديباج 357 ، شذرات

الذهب 314/3 ، معجم المطبوعات 159 .

47 - الصلة 197/1 ، الوفيات 142/2 ، تذكرة الحفاظ 1178/3 ، الديباج 120 ، النفع 67/2 ،

شجرة النور 120/1 .

48 - الصلة 527/2 ، الديباج 273 ، شذرات الذهب 375/3 ، شجرة النور 122/1 .

49 - الصلة 530/2 ، تذكرة الحفاظ 1218/3 ، الرسالة المستغرقة 173 ، شجرة النور 122/1 .

50 - بغية المنعم 29 ، الصلة 144/1 ، معجم ابن الأثير 77 ، تذكرة الحفاظ 1233/4 ، أذهار

الرياض 149/3 ، هدية الفاروق 311/1 ، شجرة النور 123/1 .

34 - أبو عبد الله محمد بن علي المازري ،
 إمام أهل إفريقية في الفقه والحديث ، (ت 536 هـ)
 (55) . من مؤلفاته « المعلم بفوائد مسلم » ينقل
 عنه ابن حجر .

35 - أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن ورد
 التميمي ، من أهل البرية ، فقيه حافظ متفطن .
 (ت 540 هـ (56))

له شرح علي البخاري واسع جدا ، ظهر
 علمه فيه ، أفادته ابن حجر .

36 - أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي
 المغاربي ، الإمام الحافظ المتبحر (ت 543 هـ) (56) .

خلف أربعين مصنفا أو تزيد ، اعتمد ابن
 حجر منها : أحكام القرآن ، كتاب التبرين في
 الصيغين : القيس في شرح موطأ مالك بن انس ،
 غارضة الاموي (الاحوي) ، علي صحيح الترمذي ،
 سراج البريدين - ترتيب الرحلة .

37 - أبو الفضل عياض بن موسى البصري
 السبتي عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث في وقته .
 (ت 544 هـ) (57) . ومن مؤلفاته التي عاد إليها
 ابن حجر : المشارق ، الإكمال الاماع ، الشفاء .

38 - أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن قرقول ،

31 - أبو عبد الله محمد بن غسني بن حنين
 التميمي السبتي ، من شيوخ عياض ، فقيه
 محدث ، حافظ راوية ، إمام المغرب في عصره .
 (ت 505 هـ) (51) .

له شرح علي البخاري ، انتهى فيه شرح عالم
 يذكره الخطابي ، مع التبيه علي أوجاهه .

32 - أبو علي حنين بن محمد بن قيس
 الضدفي ، القاضي الشيعي ، المعروف بابن سكرة .
 كان عارفا بالحديث ، قالها به ، حافظا لاسماء
 الرجال ، عارفا بقويهم وضعيفهم . . . كانت له رحلة
 إلى المشرق وسعة ، ألف عياض معجمها في أخبار
 وشيوخه ، ولأبن الأبار معجم قسي لأخباره ،
 (ت 514 هـ) (52) .

من الأصول التي اعتقدها ابن حجر من شرحه
 « الفتح » - أهل ابن علي الضدفي - الذي كتبه
 بخط يده ، ووثق عليه خواشي ، وهي جد مهمة ،
 أفاد منها ابن حجر (53) .

33 - أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بسين
 خلف الطرطوشي ، ويعرف بابن أبي نندقة ، إمام
 فقيه حافظ . رحل إلى المشرق وحج . ودخل بغداد
 والبصرة والقيام . استوطن الاسكندرية ، وبها نشر
 علمه (ت 520 هـ) (54) .

ومن مؤلفاته : « البدع والحوادث » - ينقل
 عنه ابن حجر .

51 - الصلة 572/2 - ازهار الرياض 159/3 - شجرة النور : 1249 . وانظر الفتح 186/11 وارشاد
 الساري 41/1 ، وكشف الظنون 545/1 .

52 - الصلة 143/1 . تهذيب ابن عساكر 359/4 ، تذكرة الحفاظ 1253 ، ازهار الرياض 151/3 ،
 الفتح 90/2 ، شذرات الذهب 43/4 .

53 - الفتح 105/4 - 106 . 284/15 . وانظر مجلة دعوة الحق العدد الاول ، السنة 17 - ص 87 .

54 - الصلة 545 ، الوفيات 393/3 ، بقية المئتمن 125 ، الديباج 276 ، المغرب في حلى المغرب
 24/2 ، النجوم الزاهرة 231/5 ، ازهار الرياض 162/3 ، الفتح 85/1 ، هدية العارفين 85/2 ،
 شجرة النور (1/24) ، دائرة المعارف الاسلامية 77/1 .

55 - لحظ الاخطأ 73 ، الوفيات 413/3 ، الديباج 279 ، ازهار الرياض 165/3 ، شجرة
 النور 127/1 .

56 - ارشاد السادي 41/1 ، كشف الظنون 546/1 ، هدية العارفين 84/1 ، شجرة النور 134/1

57 - ازهدد وليد أبو عبد الله بالترجمة في الرسالة سماها « التعريف » . وجمع أبو العباس
 المقرئ في سيرته وأخباره كتابه « ازهار الرياض » وانظر : الصلة 429/2 ، القلائد 222 ،
 معجم ابن الأبار 294 . تضاع الاندلس 101 ، بقية المئتمن 425 ، فتاح السعادة 19/2 ، تذكرة الحفاظ
 1304/4 - جذوة المقيمين 277 ، الديباج 168 ، شذرات الذهب 138/4 ، شجرة النور
 140/1 .

من أهل المروية ، كان رجلاً في طاب العلم ، خزينياً على لقاء الشيوخ ، حافظاً ، بصيراً بالحديث ورجاله . (ت 569 هـ) (58) .

من مؤلفاته : « مطالع الانوار » ، لصاح الانار « اختصر فيه مشاريح عياض ، ينقل عنه ابن حجر

39 - أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى ، ويعرف بابن الخراط ، كان فقيهاً حافظاً ، عارفاً بالحديث ورجاله ، موصوفاً بالزهد والورع وملازمة السنة . (ت 581 هـ) (59) .

من مؤلفاته : « الاحكام الشرعية الكبرى » ، والجمع بين الصحيحين ، والواقية - فى التلخيص - افاد منها جميعها ابن حجر .

40 - أبو محمد عبد الواحد بن النضر البغدادي ، محدث راوية ، مقبر مشيخ . (ت 611 هـ) (60) ، له شرح على البحارى . اسمه :

« المخير الفصيح فى شرح البخارى الصحيح » استقى منه ابن حجر كثيراً ، وناقشه فى مسائل (61) ، وفى مقدمتها انه تشافى بعض الأبحاث للفظية عن المقصود الأهم للخصف (62) .

41 - أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكنائى القاسى ، المعروف بابن القطان ، من حفاظ الحديث ونقذته . (ت 628 هـ) (63) .

من مؤلفاته : « بيان الزهيم والايهام ، الواقفين فى كتاب الاحكام » - انتقده عبد الحق الاشبيلى فى

كتابته « الاحكام » - فى الحديث ، يدل على قوة حفظه ، ودقة فهمه ، لكنه - كما يقول الذهبي - نعتت فى احوال رجاله ، وقد لبه على اوهامه قسب مؤلفات خاص . افاد ابن حجر من كتاب الزهيم والايهام لابن القطان .

32 - أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحيمة الكنى السمنى ، كان بصيراً بالحديث ، فقيهاً بتقيد . معروف بالقبض . (ت 633 هـ) (64) .

له تاليف مفرد فى الاسماء النبوية - ينقل عنه ابن حجر .

43 - أبو العباس احمد بن عيسى الانصارى القرطبي ، من رجال الحديث ، رحل الى المشرق وتولى الاسكندرية ، وكان له تاليف فى علوم المروية . (ت 656 هـ) (65) .

من مؤلفاته : « المفهم » فى شرح مسلم « استقى منه ابن حجر كثيراً ، وعاد كذلك الى كتابه : التذكرة ، ومختصر صحيح البخارى .

44 - أبو بكر محمد بن يوسف الاسدي ، المعروف بابن ملى القرناطى ، من حفاظ الاندلس . (ت 663 هـ) (66) .

له المستند القريب ، افاد منه ابن حجر .

45 - أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجبائى ، أحد الأئمة فى علوم العربية . (ت 672 هـ) (67) .

58 - التكملة 151/1 ، الوفيات 45/1 ، جدوة المقيس 86 ، الرسالة المستطرفة 118 .

59 - تهذيب الاسماء واللغات 292/1 ، فوات الوفيات 248/1 ، عنوان الدراية 20 ، التكملة 647 ، تلخيص معريط ، التذكرة 1350 ، هدية العارفين 503/1 ، شجرة النور 155/1 .

60 - هدية العارفين 635/1 ، شجرة النور 168/1 .

61 - انظر مثلا : الفتح 62/2 ، 278/11 ، 258/14 .

62 - انظر الفتح 292/17 .

63 - تذكرة الحفاظ 1407 ، جدوة الاختصاص 298 ، شذرات الذهب 128/5 ، هدية العارفين 706/1 ، الرسالة المستطرفة 133 .

64 - التكملة 659 ، صلة الصلة 73 ، الوفيات 121/3 ، التذكرة 1430 ، عنوان الدراية 159 ، النفع 99/2 .

65 - البداية والنهاية 213/13 ، هدية العارفين 95/1 .

66 - تذكرة الحفاظ 1488 ، لسان التميزان 437/5 ، النفع 112/2 ، الرسالة المستطرفة 62 .

67 - بقية الوعاة 53 ، فوات الوفيات 227/2 ، غاية النهاية 180/2 . الوائى بالوقفيات 359/3 ، النفع 222 ، دائرة المعارف الاسلامية 272/1 .

من مؤلفاته : « شواهد التوضيح » على الجامع الصحيح » ينقل عنه ابن حجر .

46 - أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أبي جرة ، الشيخ القدوة ، الحافظ المحدث الراوية الزاهد الورع . لا يذكره ابن حجر إلا بالتبعية والاحترام . (ت 699 هـ) (68) .

له مختصر صحيح البخاري ووضعه عليه شرحاً : أسماء « بيجة القوس » أفاد عنه ابن حجر كثيراً .

47 - أبو جعفر أحمد بن الزبير الشرنطلي ، تولى حلب . (ت 708 هـ) (69) .

له حواشي على نسخته من صحيح البخاري ينقل عنها ابن حجر .

48 - أبو عبد الله محمد بن منصور بن حمادة السجلناسي (70) .

له فلك أعراف البخاري الفهية ، في المجتمع بين الحديث والترجمة . - ذكر فيه نحو مائة ترجمة ، أفاد عنه ابن حجر .

49 - ليياشي أحد الحفاظ المقاريبي . له الاحكام الكبرى جميعها عن الثوري . (71) ينقل عنها ابن حجر .

50 - أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي ، الامام الحافظ ، المحدث الراوية . (ت 721 هـ) (72) .

51 - أبو عبد الله محمد بن محمد العبدي الفاسي ، المعروف بابن الحاج ، تولى مصر ، عن اعلام السنة الراشدين (ت 737 هـ) (73) .

من مؤلفاته : « مدخل المخرج الشريف » كشف فيه عن غريب ويدعي فعلها التماس ، ويصنعون فيها ، واعتراها مما يتكرر . أفاد عنه ابن حجر .

في التاريخ والأنساب واسماء البلدان والأماكن :

52 - أبو القاسم سلمة (74) بن قاسم بن ابراهيم القرطبي ، من أقران الدارقطني ، ومن أئمة الجرح والتعديل . كان أحد المكثرين في الرواية والحديث ، سمع الكثير بقرطبة ، ثم رحل إلى الشرق وطوف على كثير من البلدان ، فسمع الحلة من الشيخ . وعاد إلى بلدة بقم بم . (ت 353 هـ) (75)

من تأليفه التاريخ الكبير ، جعله ذيلاً على تاريخ البخاري في الرجال . وذكر ما أغفله البخاري ، ينقل عنه ابن حجر .

53 - أبو محمد عبد الله بن علي النخعي الممرى ، المعروف بالرشاطي ، عالم بالأنساب والحديث عن أهل الزاوية ، استشهد عند تغلب الروم على القرية سنة 642 هـ (76) .

من مؤلفاته : « اقتباس الأنوار » والتماس الأذهار . - في الأنساب : أفادته ابن حجر .

54 - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، من أهل شلطي : سكن قرطبة كان من أهل الفقه والأدب الواسعة . والمعرفة بعماني الأسفار والغريب ، والأنساب والأخبار ، ضابطاً لها كتب . (ت 487 هـ) (77) .

من أشهر مؤلفاته : « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع » - ينقل عنه ابن حجر .

(68) - البداية والنهاية 346/13 ، فعدل الانتهاج 140 ، هدية العارفين 462/1 ، شجرة النور 199/1

(69) - الأجللة 72/1 ، الدور الكامنة 84/1 ، البدن الطالع 33/1 ، شذرات الذهب 16/6

(70) - لم أفق علي من ذكر ترجمته .

(71) - انظر مقدمة الفتح 243/1 .

(72) - الدور الكامنة 111/4 ، جذوة الاقتباس 180 ، بنية الوعاة 85 ، ذيل طيقات الحفاظ للسيوطي

255 ، اذهار الرياض 147/2 ، الرسالة المستطرفة 134 .

(73) - الدور الكامنة 237/4 ، الديباج 327 ، شجرة النور 218/1 .

(74) - في مقدمة الفتح 24/1 - مسلم بن قاسم ، وله تصحيح .

(75) - تاريخ علماء الاندلس 128/2 ، جذوة القسيس 324 ، لسان الميزان 35/6 ، مفتاح السنة 151 .

(76) - الصلة 285/1 ، معجم اصحاب الصدفى 217 .

(77) - الصلة 277 ، طبقات الأطباء 52/2 ، بنية الوعاة 285 ، دائرة المعارف الإسلامية 48/4

نسبة إلى تيفان من قرى قفصية بأقريطية - ولد فيها
وتعلم بحسب - ولي القضاء ببلده - ثم عاد إلى القاهرة
وبياتوفى سنة (65) هـ (79) .

له عفرقة بالأحجار الكريمة : ومن مؤلفاته :
« ازهار الافكار » - « في جواهر الاحجار » .

نطوان سعيد اشعراي

55 - أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز اللخمي ،
من أهل اندرة نزل مرسية ، ويعرف بابن الديباغ محدث
الاندلس في وقته - مات 546 178 .

له « طبقات المحدثين والفقهاء » ينقل عنه
ابن حجر .

56 - أبو العباس أحمد بن يوسف التيفانسي

-
- (78) - الحلة 644/2 ، شذرات الذهب 442/4 ، حنية الغارقين 552/2 ، فهرس القيارس 308/1 .
(79) - الديباغ 74 ، شجرة النور 170 ، معجم المطبوعات 651 .



يا علي

والله ما هذا بملك

للهكتور عبد المنعم نجف جيت

- 1 -

خا هو ذا علي بن حاتم الطائي في طريقه من الشام الى المدينة ، في يوم من ايام شهر شعبان من العام العاشر من الهجرة ، يقصد رسول الله ليبيعه على الاسلام ، بعد ان قرأ في كتابه على الاسلام .

وكان علي سدا في قومه من بني طيء ، ترفعا في بلاده ، من ارض حائل ، وكان ملكا في قومه ، يصرون عن رايه ، ويسرون خلف رايته . ويتسمون له في القتال ، ويؤثرونه بالربع جهدا ، على ما كانت العرب تصنع لملوكها .

وكانت بلاده لقرىها من الشام ، حيث حكم قصير ، وحيث النصرانية دائمة ، قد ذاعت بين اهله النصرانية قبل الاسلام ، فكان علي نصرانيا وكوسيا ، أي ذو دين يجمع من شعائر المسيحية ، ووثنية الصابئة ، ما يجمع ، شيئا من هنا ، وشيء من هناك ، تسم بسمه الدين ، فعلى عليها ملثوم بها .

وجاء الاسلام بنوره الوضاء ، واهتزت الحجرة بدعوته السمحاء ، وذاع لبؤها في كل مكان من جزيرة العرب ، وعلم علي كل ما كان في مكة والمدينة من أحداث جسام .

وكان دين علي ، ووثنية العرب من حوله يحولان بينه وبين ان يقتضى لثناء السماء فكره الرسول ، وكرد الاسلام كرها شديدا .

وقالت التصارات الاسلام : بلين ، خير ، فتح مكة ، حنين يوما بعد يوم ، وعاما اثر عام ، وطيء على ماهي عليه من ضلالها وبهاثها وعذى على ما انفلوت عليه نفسه من كراهية للاسلام ، وحقد على الرسول .

واخذ يفكر في الامر مليا ، وجيوش محمد في كل مكان ، ورايات المسلمين تحقق فوق كبل يقصه ، وتصارات جنود محمد من حوله تدوي بذكرها ارض العرب وقبائلهم والامم من حولهم كائنات الشمس لا تحصى في أي مكان .

- ان محمد لن يتركنا .

- وان جيوشه لابد ان تقدم علينا في يوم قريب .

- لقد هدم المسلمون الاصنام في كل مكان ، فل يبقوا على اصنام طيء وحدها . . . لا ، لن يكون ذلك .

بهذا كان علي يحدث نفسه .

واخذ يفكر في الامر : ماذا لو انقضت المسلمين على بلادنا هنا وما يكون المصير ؟ انا الذي سوف يجرى عليه الدور في يوم من الايام .

وسار عدي إلى الشام عن طريق النجاشية ،
وهي موضع بين نجد والشام . ونجا بنفسه من القتل
أو الأسر . أو هكذا كان يتصور أنه نجا بنفسه .

وأقام في الشام في بلاد القباينة . مع أهل
دينه . ولكنه عاش ذليلاً حيران نادياً على ما فرط في
حب الله .

وعادت خيول المسلمين وفرسانهم بالخبر
والغنائم والأسرى . ومعهم ثلاثة أسبان كانت في
خزان عدي وكذلك ثلاثة أدرع له . وعلى الأسرى أبو
قحادة . وعلى الأبل عبد الله بن عبيك . وقسم على
الغنائم في الطريق ووزل نصيب رسول الله . ولم
يقسم الأسرى من آل حاتم حتى قدم بهم المدينة .

ودخل الجيش الظافر المدينة . وبلغ على رسول
الله بالنضر والبشرى فوضعت الأسرى عن النساء في
بيت تجاه باب المسجد كانت أوسع فيه السبايا .

وسار رسول الله إلى السبايا . يري ويضع ما
يكون من مظلمة لهم . ومعهم على بن أبي طالب .

فمر رسول الله بأخت عدي فقامت إليه .
وكانت امرأة جرلة . فقالت :

يا رسول الله . هلك الوالد . وغاب الوافد .
فأمن على من الله عليك .

فقال لها صلوات الله عليه : ومن وأفندك ؟
قالت : عدي بن حاتم .

قال لها خاتوات الله عليه : القار من الله
ورسوله .

فبككت ابنة حاتم . ومضى رسول الله قسي
طريقه وتركها .

وفي القد ذهب رسول الله إلى هؤلاء الأسيرات
يزري ويسمع أيضاً مطالبهم . ومعهم على .

فنهضت أخت عدي . فقالت له ما قالته
بالأمس . وقال لها رسول الله مثل ما قاله بالأمس .
ومضى وتركها .

وقال على لقلام له : كان واعياً لبله : أعاد إلى
أبلا صغايا شداداً : تكون قريباً مني أبداً . وعلى
استعداد للمسير في أي وقت ، فإذا سمعت بجيش
لمحمد قد قدم إلى بلادنا فأتيني على عجل . ولا
تتوان في إعلامي بذلك .

ولقد غلامه كل ما أمر به . . . وأخذ ينتظر قدوم
خيول المسلمين وحيوثهم . أن قدمت إلى بلاد
مائل : في يوم من الأيام ، ليخبره بذلك مولاه ،
وليلته أول شيء بالبا ، لعله يجد من الخلفين
مخلصاً .

ولم تلبث الأحداث أن صدقت ظنون عدي ،
فها هو ذا علي ابن أبي طالب يخرج من المدينة في
كثيرة من كتائب الإسلام . فيها مائة وخمسون
مجاهداً . مائة منهم على بعير ، وخمسون على
خمس فرسا يتقدمهم على ومعهم راية سوداء : ولواء
أبيض .

والكثيرة سالرة مجدة ، في طريقها إلى بلاد حائل
لتوأم بيت أصنامها الأكبر ، الذي بنته على . وأتجهت
إليه فعبده من دون الله .

وفي سحر يوم من الأيام جاء غلام عدي إليه يقول
له :

يا عدي : ما كنت صانعا إذا غيبتك خيول
محمدة . فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات . فالت
عشا ، فقالوا : هذه جيوش محمد .

فقال له عدي : قرب إلى أجلي .

فقربا الغلام ، فركب عدي هو وأهله وولده . وما
خف من ماله وسار بها في الصحراء . وقال : الحق
بأهل ديني من التصاري بالشام وأصغلته المفاجأة عن
أن يأخذ احتال له نفسه .

وشئت كثيرة المسلمين الفارة على محبسة آل
حاتم مع الفجر ، فهدموا بيت أصنامهم : وأخذوا من
الغنائم والأسرى ما أخذوا . وفي الأسرى أخت
عدي . وكان عدي قد نجا بنفسه وأهله وولده .

وفي اليوم التالي ذهب كذلك رسول الله بنفسه
اليهم ، فسار وخلفه علي فمر بها ، وقد نمت فيه ،
فصمت فاستار اليها علي : ان قومي فكلمني رسول
الله فقامت اليه فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد
وعتاب الواعد ، فافمن علي من الله عليك .

فرد عليها رسول الله في صوت جليل : كل له
رنة اليسرى في نفس هذه امرأة اللذيمة .

« قد فعلت » فلا تفعلين بخروجي حتى تجدي من
قوعك من يكون ذلك ثقة ، حتى يبلغك السي بلادك .
ثم انشأ . . . »

فأقامت أخت عدي عني وعد كريم . وأمل جد
عظيم وهي تقول لنفسها :

أي ملاك كريم هذا الرجل لأولي أنسان عظيم -
قد أشريت نفسه الانسانية في ارفع قبيلها - هذا
الإنسان .

وجاءني الصديقة ركب من الصحار من يسي أو
قضاة ، فمررت في - نفسها أن تخرج الى اخيها
ببلاد الشام .

فجاءت الى رسول الله ، فقالت : يا رسول الله
قد قدم ربهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ فكلمها
رسول الله ، واعطاهم ثقة ، ووجها راجلة تركها .

وخرجت ابنة حاتم معهم ، حتى قدمت علي
اخيها في الشام .

وأوجيء عدي بابل تؤمه ، وعلى أجداده أخته
تنزل من هودجها ، فإذا هي هي .

ونزلت أخت عدي لتقول له في سخط شديد ،
وغضب قوي : وعتاب مزير ، وهي توجهه كلامها
اليه :

القاطع ، الظالم : احببتك بأهلك ووليدك ،
فرحلت بهم وتركنتي ، تركت بقية والدك ، عورتك
وعرضك .

فلن يجد عدي ما يرد به علي أخته : الا ان ذل لها :
أي أخت ظلي بن خيرا ، ولا تقولن إلا خيرا ، فوالله
مالي من عذر ، لقد صنعت كل ما ذكرت وأغررت
ميتاء بالدموع ، ونزلت أخته لتجد ما هو فيه من هوان

وذلة بعد العز المبكين ، والشرف الكبير ، فصمتت
وتركت بقية اليوم في طوايا نفسها .

وأقام عدي وأقامت أخته معه ، وقصت عليه
ما لقيه من محمد وأصحابه من كرم ونبل وخير .

وفي يوم من الأيام : أخذ عدي يستشير أخته ،
وكانت امرأة حازمة ذات عقل رصين ، فقال لها :

أي أختي ماذا تريد في امر هذا الرجل لا فردت
عليه :

يا عدي ، أرى والله ان تلحق به سريعا ، فان يكن
الرجل نبيا فليسابق اليه فضله ، وان يكن ملكا فحسن
نذل في عز اليمن - وقبيلة طي يمنية من كنان - علي
ما نعلم - واسترسلت أخت عدي تقول له : وانت
أنت .

ورد عليها عدي : والله ان هذا للراي ، وانني
لأرجو ان يجعل الله يده في يدي .

وخرج عدي في اهله وولده وبقية ماله ، حتى
قدم المدينة ، سائرا مقدا يقصد رسول الله .

وأناح برؤاحه امام المسجد النبوي ، ودخل علي
رسول الله وهو في مسجده جالس بين أصحابه .

- 5 -

هاهو ذا عدي يقف بين يدي رسول الله ، يردد :
يا محمد .

فيرد عليه الرسول : من الرجل ؟

فيفرد الجواب الى رسول الله : عدي بن حاتم ،
ويكرم رسول الله عديا ، ويقوم اليه بصاحقه ، ويتعلق
به الي بيته ، ويقول يا عدي ، جئت بغير امان ولا
كتاب .

وفي الطريق ، طريق الرسول الى بيته ، وسعه
خفيفه عدي بن حاتم تلقاه امرأة كبيرة خفيفة ،
فتوقف رسول الله ، لتقف لها طويلا ، تكلمه
في حاجتها ، وستمع اليها ويطيل الاستماع .

وتتخبط عدي . ويقول في نفسه : والله ما
هذا ملك .

ويستضي رسول الله بفتيحه عدى ، حتى يدخل
في بيته . ويتناول ويأخذ من اقم بمحسرة ليلا .
فيرمى بها الى عدى ، قائلا له : اجلس على هذه
ويرد عدى : بل انت فاجلس عليها . فيقول لسه
الرسول : بل انت ، فيجلس عدى عليها ، ويجلس
رسول الله الارض .

والمشي عجيبة عذري من أمر محمد إلى عائشة :
يقول في نفسه والله ما هذا بأمر منك .

تم التفت اليه وسأله الله وقال له:

— يا عدي : اجل تعظيم من الله عز وجل

— فاجاب عدي : لا : يا رسول الله .

وَعَادَ الرُّسُولُ صُلَاحَتِ اللَّهِ عَلَيْهِ : يَقْبُولُ

— یا تبارک! کہل تعلم فیما اکبر من اللہ ؟

وَيُحْيِيهِمْ عَلَى رِجْلَيْهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : أَن لَا

وَقَوْلُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
الْحَدِيثِ :

ف. ن. غنای

ان اليهود مفسدون عليهم : وان النصارى
خالسون .

— روستای علی :

« يَا عِزِّي : اسلم : تليهم : » .

— وَيَقُولُ عَبْدِي لِرَبِّهِمُوعِلَى اللَّهِ حَمْدُكَ يَا اللَّهُ عَلَيْهِ :
إِنَّ لِي ذَنْبًا .

وَبِمَاكِ التَّعَجُّبُ مِنْ عَدَى كُلِّ أَقْطَارٍ نَفْسُهُ فَيَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ اسْتَظِرَّ بِهِنَّ شَدِيدَةً
كَسْبَرِي بْنِ هَرَمَةَ .

ترجمہ رسول فی حدیثہ اہدی :

— الإصابة بالأم حجب —

وأخذ جدي يقول في نفسه : يا الله ، ماذا
 اسمع ؟ ما هذا الصوت الجليل الذي يردد : يا عدي .
 يا عدي ، يا عدي ، كيف يصنع محمد بي كل ما يصنع ، يكرم
 أختي وأنا غدير ، ويكرمني وأنا خصم له ، ويرحب بي
 في بيته . وقلبي يتمنى له الهلاك ، ويجلس على
 الأرض اجامى ، وأنا من أتائه : فريد شريد قليل . . .
 فإذا اسمع : يا عدي يا عدي ، يا عدي ، ما هو ذا الله
 بذلك : أن هو إلا نبي أرسل . . .

ولا يملك عدي إلا أن يقول وهو فسيح عجب
 عنده : وقد أفاق من غيبوبة الطويلة ، وتساؤله
 الملح : ما هذا الدين ، أي دين هو . أي تربية
 تلك : أي عقيدة السائفة كانت تلك العقيدة . ومنذ
 يديه لتعشق يد محمد ، وهو يقول :

أشهد أن لا اله الا الله .

وأشهد أن محمداً رسول الله (2) .

3 . محمد عبد المنعم خفاجة

(2) مصادر المقال :

- 1 - تاريخ الطبري ، الجزء الثاني في أخبار الورد ، عام 9 هـ . ومعنى ذلك أن هذه الوفاة كانت في العام التاسع . لكن في كتاب « الإصابة » لابن حجر (المتوفى عام 856 هـ) أنها كانت في شعبان من العام العاشر .
- 2 - سيرة ابن هشام الجزء الرابع في أخبار الورد ، في العام التاسع أيضا .
- 3 - الإصابة الجزء الثاني ص 461 .
- 4 - الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الإصابة ص 42 الجزء الثالث .
- 5 - مختصر سيرة الرسول لعبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص 388 - وقد توفي جدي بن
 خاتم عام 68 هـ . عن مائة سنة كما يذكر ابن حجر ، أو عام 67 هـ . كما يذكر ابن عبد البر في
 الاستيعاب . وأغلب الروايات على أنه عاش مائة وعشرين سنة فيكون ميلاده عام 53 قبل الهجرة ،
 أي أنه ولد في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام الفيل . سنة
 571 م .

إشارات وأعلام

حول تاريخ الأتراك في الإسلام

للمستاذ محمد العزيب الشاوش

وشازك السلاجقة في الحروب الصليبية واستردوا بعض المراكز الإسلامية من يد الصليبيين . وغزوا آسيا الصغرى واستولوا على معظمها بعد انتصارهم على روم البيزنطة في القرن الثاني عشر الميلادي .

ثم تقلص نفوذ السلاجقة فانكمشوا في آسيا الصغرى بعد سقوط بغداد في يد التتر بقيادة هولاكو سنة 656 هـ - 1258 م . وانتقلت الخلافة العباسية إلى مصر التي كانت نفوذ المماليك الذين آووا بني العباس واعترفوا بخلافتهم اعترافاً روحانياً فقط ، وبقي الأمر كذلك إلى أن انتقلت الخلافة الإسلامية إلى العثمانيين .

الأتراك العثمانيون :

والعثمانيون أنفسهم قبيلة تركية أسيوية فرت برعاية قائلها أرطغرل من وحشية التتر وطفانهم : واستقرت في آسيا الصغرى - التي هي اليوم تركيا - نسبة إلى الشعب التركي - تحت حماية أبناء عمومهم السلاجقة الذين منحهم أرضاً أطلقوا عليها : «تولطوني» أي مقدمة السلطان ، وأمرؤا عليها الرقيم أرطغرل أكراماً لشجاعته وقادته . ولما مات تولى الإدارة بعده ولده عثمان ، وذلك في مستهل القرن الرابع عشر ، وإلى عثمان هذا ينسب العثمانيون . فهو مؤسس سلالة الخلفاء العثمانيين فيما بعد ، وعقيد بيت آل عثمان .

حضرت الدولة التركية مؤتمر القمة الإسلامي بالاهور في شهر فبراير سنة 1974 وذلك لأول مرة في تاريخها الحديث . ولعل شعور الفرج والابتهاج يعمقونها قد تم الدول الإسلامية ، لما عرفت به تركيا من ماضٍ مجيد في خدمة الإسلام ، وزعامته الأمة الإسلامية أكثر من أربعة قرون كانت فيها قبلة انظار المسلمين قاطبة .

ظهور الأتراك :

فمنذ القرن الثامن الميلادي ابتدأ ظهور الأتراك في المجتمع الإسلامي كمسلمين سنيين مبادئهم بعد أن فتح قتيبة بن مسلم قبائلهم في آسيا . ثم كان لهم نشاط سياسي خطير في الدولة الإسلامية من منتصف القرن التاسع الميلادي إلى منتصف القرن العاشر حتى عرفت تلك الفترة بعض نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية .

الأتراك السلاجقة :

ثم تجدد نفوذهم بطريقة أقوى واشمل في القرن الحادي عشر الميلادي باسم السلاجقة ، نسبة إلى سلاجوق زعيم القبائل التركية الأسيوية في القرنين العاشر الميلادي . وظهرت كفاءة السلاجقة حتى اعترف الخلفاء بهم ، واعتمدوا عليهم ، ومنحهم سلطة واسعة ، وأطلقوا على قادتهم لقب سلطان .

قيام الخلافة العثمانية :

العثماني نفسه ، فكاتب هذه الرحلة الشريفة سيا في تدهور الأوضاع الثقافية والاجتماعية ، وما يحتاج ذلك من آثار نفسية عميقة أدت إلى ركون الناس إلى حياة الزهد والقناعة ، أو إلى الانغماس في حياة اللهو والعبث بسبب القلق والرعب الذي يورثه الابتلاء عن الآباء والاجداد نتيجة للإبلاء التي خلفها ذلك الغزو الوحشي العتيق . وكل ذلك جعل الخلافة العثمانية تتجاز أزمة ركود فكري وأدبي خطير لا ناقة للخلفاء فيه ولا حيل ، بل أن الخلفاء العثمانيين بدلوا جهودا مبكورة في إعادة الثقة والاطمئنان إلى النفوس ، وترميم وتشديد ما تصدع أو تدمر من أركان الحضارة الإسلامية العتيقة .

نعم أن الخلافة العثمانية عملت على نشر الثقافة التركية إلى جبال الثقافة العربية ، ولكنها حافظت على الأصالة الإسلامية والعربية كذلك ، ولجعت في عصرها أسماء رجال التروا الحضارة الإسلامية والخزانة العربية يأتناهم القزير ، تذكو من بينهم على سبيل المثال : عفي الدين الحلي أمير الشعراء في عصره ، وجمال الدين بن نباتة صاحب « الديوان الصفي » و « شرح القيون في شرح رسالة ابن زيدون » ، وجمال الدين ابن منظور صاحب « لسان العرب » ، وبقى الدين ابن تيمية صاحب « الفتاوى » و « السياسة الشرعية » ، وابن قيم الجوزية صاحب « زاد المعاد » ، وجمال الدين ابن هشام صاحب « معقب اللبيب » ، وشمس الدين البغوي صاحب « تاريخ الإسلام » ، وابن خلدون صاحب « المقدمة » ، والفيروربادي صاحب « القاموس » ، والمقريزي صاحب « الخطط والآثار » ، والقلقشندي صاحب « صبح الاشمس » ، وشهاب الدين القسطلاني شارح البخاري ، وجمال الدين السيوطي صاحب التلخيص في اللغة والتفسير والحديث ، وغير هؤلاء كثير من الاقطاب الذين يمثلون العصر العثماني وكانوا اساتذة لأمة النهضة العربية الحديثة . وانك لتجد من يبين شعراء النهضة من مدح الدولة العثمانية والتمسح بامجادها كحافظ وشوقي رحمه الله الجميع .

ضعف الخلافة العثمانية :

ولت الخلافة العثمانية محفظة سيادتها ، وهروية الجالب ، زافعة لواء الاسلام ، إلى أوائل القرن الثامن عشر حيث بدأ الضعف يتسرب إلى أجهزة الدولة بركون بعض الخلفاء إلى حياة اللهو

فيغد أن دب الخلاف والضعف في دولة السلاجقة ابتدا آل عثمان يسلطون نفوذهم على آسيا الصغرى وما جاورها حتى تم لهم الأمر ، ثم ابتدا طموحهم للخلافة الإسلامية بعد ذلك ، ثم تآلق نجمهم بعد فتح القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية (بزانطة) على يد محمد الفاتح سابع امراء العثمانيين في منتصف القرن الخامس عشر ، قسم أعلنوا « الخلافة العثمانية السنية » في أوائل القرن السادس عشر على عهد السلطان خليم الأول السدي يعتبر أول « خليفة » عثماني ، لأن من سبقوه من عهد الامير عثمان الاول إلى بايزيد الثاني بن محمد الفاتح كانوا يحملون لقب امير .

وقد تقل امير المؤمنين سليم الاول عاصمته خلافته إلى القسطنطينية وأطلق عليها اسم « اسلامبول » وتعرف كذلك باسم « الاستانة » و « استانبول » وهذا الأخير هو اسمها التاريخي الاصيل وبه تعرف الآن .

وتم للخلافة العثمانية الاستيلاء على الشرق الأوسط ، وطى شمال أفريقيا إلى حدود المكنة المغربية التي احتفظت باستقلالها التام ، وكانت علاقتها مع الخلافة العثمانية علاقة حسنة في ظل النظام الإسلامي .

وصار خطباء المساجد يدعون الخليفة العثماني باعتباره امير المؤمنين ، مالك الحرمين والبحرين ، وخادم الحرمين الشريفين . وكان سلاط الخليفة يعرف باسم الباب العالي .

وخلافا لبعض مؤرخي الادب العربي الذين وصفوا العصر العثماني بعصر الانحطاط الادبي والفكري بسبب تفسير الخلفاء العثمانيين في تشجيع وتنشيط الحركة الأدبية والفكرية ، يمكننا أن نقول بأن اللامة في ذلك لا تقع على العثمانيين ، فقد أعلن هؤلاء الخلافة العثمانية والعالم الإسلامي في حالة تمزق وتدهور نتيجة الغزو المغولي الذي أطاح بالخلافة العباسية وحطم معالم الحضارة الإسلامية بإجرائي الكتب وتدمير المنشآت العمرانية والمؤسسات العلمية ، وبإزهاق أرواح الإنبياء من العلماء والأدباء والمثقفين على يد جنكيز خان وحفيده هولاكو ثم تيمورلنك الذي لم ينج من بطنه حتى الخليفة

والشراف من جهة : ومن جهة أخرى بالدعائس
الاستعمارية الضالكية المثالفة على العالم الإسلامي
من أجل تحطيم وحدته واغترابها سيادته .

ظهور القوميات العربية :

وما إن حل القرن التاسع عشر حتى كان الزمام
على وشك الإفلات من يد الخلافة ، ولم يعد في وسعها
مقاومة المد الاستعماري الجارف ، ولا الوقوف في
وجه القوميات العربية والإسلامية المتولدة . فاستغل
عن الخلافة من استغل ، ووقع في قبضة الاستعمار
الغربي من وقع ، فقد احتلت فرنسا الجزائر سنة
1830 ثم قرضت جبايتها على تونس سنة 1880 ثم
خضعت سوريا ولبنان للانتداب الفرنسي أيضا ، كما
خضع العراق والأردن وفلسطين وإقليم عربية
وإسلامية أخرى للنفوذ الإنجليزي ، ولم تنج مصر
كذلك من الاحتلال الإنجليزي سنة 1882 رغم
استقلالها عن الخلافة بقيادة محمد علي باشا بعد
الغزو الفرنسي لها بقيادة نابليون بونابرت
1798 - 1801 وأشير هذا التاريخ مبدأ للعصر
الحديث .

ومن أجل اعتراف فرنسا بسيطرة إنجلترا على
الأراضي المصرية : أعطت لندن الحق لباريس في
السيطرة على المغرب طبقا لاتفاقية 1904 ، وهكذا
مهدت فرنسا لغرض حمايتها على المغرب سنة 1912
بالاتفاق مع إسبانيا وفقا لمؤتمر الجزيرة الخضراء
سنة 1906 . كما احتلت إيطاليا ليبيا بمقتضى معاهدة
لوزان سنة 1912 . وكان من نتائج هذا الاحتلال
الغربي للعالم العربي والإسلامي ظهور القوميات
العربية الرامية إلى التحرر والاستقلال .

قيام الجمهورية التركية :

وبهذا وجدت الخلافة العثمانية نفسها في
مطلع القرن العشرين عميقة شر مضيق ، وحار
تجهها على وشك الأفول ، وأصبح مهد الأتراك ومقر
الخلافة نفسها مهددا بالفيزو من طرف خصومه
الغربيين ، لولا أن تدارك الله تركيا على يد نخبة من
رجالها الأحرار بزعامة أتاتورك مصطفى كمال البدي
أطاح بنظام الخلافة في عهد السلطان محمد السادس
آخر خلفاء آل عثمان ، وأعلن الجمهورية التركية سنة
1923 وتولى رئاستها بولت غاضمها إلى الآن .

جامعة الدول العربية :

أما الاقطار العربية التي خضعت كرها للاحتلال
الغربي فقد كافحت من أجل الحصول على استقلالها
وسياستها حتى تحررت واحدة تلو الأخرى ، ثم
انضمت المحررة منها في منظمة خاصة هي جامعة
الدول العربية ، وذلك في سنة 1945 ثم انضمت إليها
الدول التي تحررت بعد ذلك التاريخ بفترات متفاوتة .
ولم يبق خارجا عن هذا المقعد العربي إلا فلسطين
الجويزة العربية المقتضية مع طرف الضالفة بمقتضى
وعد بلفور 2 - 11 - 1917 من جهة وبتواطؤ
الاستعمار الأمريكي وإشباعه مع المقتضيين من جهة
أخرى . ولنسوف تعزذ فلسطين إلى مكانها اللاتقة بين
الدول العربية والإسلامية بأذن الله .

تكتل الدول الإسلامية :

وكما تكتلت الدول العربية لشعورها بالحاجة
إلى هذا التكتل - والتكتل قوة ومظهر من مظاهر
التطور والنضوج الفكري والاجتماعي - كذلك تكتلت
الدول الإسلامية عربية كانت أو غير عربية ، لا فضل
لعربي على عجمي إلا بالتقوى . المسلم أخو المسلم ،
وتكونت عروفة ونفى لا انفصام لها ، متعاونة على البر
والتقوى عاملة بقول الله عز وجل « واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا » .

حياد الجمهورية التركية :

لكن الجمهورية التركية في عهد رئيسها مصطفى
كمال (1923 - 1938) اتجهت اتجاها غربيا لا دينيا
خالصا بتوجيهات كمال الذي يبدو أنه كان متأثرا
بأفكار غربية خطيرة حينما أقدم على تحويل تركيا
من دولة إسلامية شرقية أصيلة إلى دولة علمانية
غربية مخضبة ، معززة عن أمجادها التاريخية الخالدة ،
وعن حضارتها الإسلامية الشرقية العريقة . وبذلك
أصبحت تركيا تنزعلة عن العالم الإسلامي ، ووقفت
من قضايا الهامة مواقف سلبية مؤسفة . وتأسف
الضمير الإسلامي تأسفا بالغا من الوضعية التي آل
إليها الأتراك بعد أن عاشوا في ظل الإسلام اثني عشر
قرنا ، ثم جاءت العاصفة الجوجاء لتحويلهم رغم
إرادتهم عن الطريق المستقيم الذي سار عليه الآباء
والأجداد ، ولهم فيه عدد من المفاهيم والأمجاد !

ولكن نجم الاسلام لم يافل من سماء تركيا . بل ان الروح الاسلامية ظلت كمنيرة في قلب الامة التركية . غير ان الوضعية الثورية التي عاشتها تحت رئاسته كمال جعلت المظاهر الاسلامية تختفي كاختفاء الشمس وراء سحب كثيفة متليدة !

وخلف كمال في الرئاسة عصمت انور سنية 1938 . فكان اهم ما ظهر في عهده هو الفساد نظام الحزب الوحيد الذي فرضه سلفه ، وهكذا تالفت عدة احزاب زبادة على حزب الشعب الحاكم ، وكان الحزب الديمقراطي الذي الفه جلال بايار هو ابرز واغوى الاحزاب الناشئة .

ظهور فجر الاسلام :

وفي سنة 1950 سطر الحزب الديمقراطي على الحكم ، وتولى جلال بايار رئاسة الجمهورية التركية ، وكان من أبرز مظاهر عهده اطلاق الحزبية الدينية والسماح للامة التركية باظهار شعائرها الاسلامية ، فكانت بشارة عظمى حيث طلع فجر الاسلام من جديد على الديار التركية الحبيبة ، مؤذنا بعودة الدولة الى احياء تاريخها الاسلامي المجيد ، وانتظامها في ملك اخواتها الدول الاسلامية العتدة .

وقامت جمعيات وهيئات تبشر بالاسلام وتعمل على نشره بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتبرز مواقف العاملين في هذا السبيل بظهور حزب السلام الذي يعد من الهيئات المنادية بعودة الدولة رسميا الى الاسلام ، وقد حققت هذه الهيئات تقدما بارزا في هذا الميدان .

وما الخطوة المباركة التي اقدمت عليها الحكومة التركية حين قررت حضور مؤتمن القمة الاسلامي بلاهور الاخيرة صادقة على حسن نية الاتراك حكومية وشعبية من اجل تجديد اواصر الاخوة التاريخية الاصيلة وروابط المودة الراسخة مع العالم الاسلامي الناعض المتحرر من رواسب الرجعية والجهود وتمرة الجاهلية .

واذا رايت من الهلال نبوءة

أيقنت أن سيصير دنيا كاملا

فهناك الحقيقة تركيا بهضتها الاسلامية المباركة ، وهنا للعالم الاسلامي المتفتح بالتسامح شمله وتوحيد كلمته ، وصدق الله العظيم اذ قال : « لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم » .

تطوان : محمد العربي الشاوش



حول المدلول التاريخي والانساني

لعالمية المدنية الاسلامية

للدكتور الميرزا البرهان

لمحات
جد
عابرة

ومع هذا : فقد اتسعت الروح التي قامت عليها حضارة المسلمين لامتصاص مثل هذه التناقضات وتمثيلها ، وامكن بقول ذلك : بلورة كيان حضاري فريد ، يضم مفارقات الخصائص الاجتماعية والفكرية والثقافية عبر القارات : الا ان الطابع المعنوي العام المتميز به هذا الكيان ، طابع مشترك ، تبدو سماته في اقصى المشرق ، كما في اقصى الغرب ، لا اختلاف جوهريا من هذا المعنى ، فيما يوجد هنا ، او هناك

ولا يفهم من هذا : ان مظاهر الحضارة فنية مختلفة الآفاق الاسلامية هي ، بحث لانحد من خلالها فروقا بين طبيعة الحياة وانماها في المشرق الاقصى الاسلامي مثلا ، وبين مثل ذلك في اواسط افريقيا الزنجرية الاسلامية ، او بين هذه المناطق وبين غيرها في ناحية خليج البنغال ، او على شواطئ المشرق الاقريقي .

ان مثل هذا الفهم للاشياء ، غير وارد بطبيعة الحال ، ولهذا قيدنا القول حول تشابه وجود الطابع الحضاري الاسلامي بكون هذا التشابه واقعا خاصة في النطاق المنسوي ، اي في دائرة المفهوم الحضاري الاعتيادي ، المتمثل فيما يختص من قسم ومثاليات معنوية ، وما يتطبع به الفكر العام في تكيّفه بموجبه مثل هذه التناقضات ، ثم ما يرتد من ذلك على الاخلاق والشاؤك في عمومياته ، وما يتعكس منه في مظاهر العادات والتقاليد ، يومية او موسمية ، ونحو ذلك

جميعت الحضارة الاسلامية بين ثلاث قارات ، هي كل العالم القديم الذي كان معروفا أثناء القرون الوسطى قبل اكتشاف اليابسة فيما بين المحيطين ، الاطلسي والهادي .

لقد نبعت اصول هذه الحضارة من آسيا ، ثم تعرضت فيما بعد ، بين هذه القارة وبين افريقيا ، وبينهما عبر البحر المتوسط وبين اوروبا ، فسي اطراف مختلفة منها بالغرب والشرق

ومن ثم ، اتخذت الحضارة الاسلامية ، صفة « العالمية » باعتبار انها وسعت معظم العالم المعروف في عهد تقوينا ، وبكل ما يعني هذا الشمول من تعدد شاسع في العناصر ، وتوزع في الحالات بين ان هذا التعدد والتنوع - وهذه مائة الحضارة الاسلامية - كانا واقعيتين في اطار من التلاحم والتكامل ، جعل من هذه الحضارة ، مصهرا حقيقيا للشعوب التي شاركت فيها ، ونسمة حاسمة في تاريخ التطور الانساني ككله

لقد استوعبت الحضارة الاسلامية اوسع مجوفة بشرية متكاملة عرقها التاريخ : شعوب شتى متنوعة الالوان والاعراق ، لغات بكل حرف ولحن . مزجتها جماعية وبيئات اجتماعية وطبقية ، والفاظ حياة ، ومجاري تاريخ على درجة بالغة من اختلاف الوجة وتعدد المتاحي ، بقدر تنامي جينات المحيط الاسلامي وكثافة الحوائث المنبئة بين آفاقه

كما يتصل بالبيئة الحياتية الاجتماعية . وكثير من أوضاع الحياة بشكل عام :

إن هذه المجالات نفسها ، لا تعرض بالضرورة حالة ثباته تام على صعيد المجتمع الإسلامي ففى إطلاقه ، إلا أن هناك فى هذا التلاق قدرا واسعا من التماثل فى الأحوال - تبررها وحدة التبع الروحي والثقافي - القائمة به الصفة الإسلامية أساسا عند المسلمين وتجانس الشروط والمعايير التي مآقتى يتم بها تطورهم المجتمعي ، ضمن تلاق من المؤثرات من بينها انتشارا المؤثر الديني وملائماته ، وهذا قاسم مشترك ، ذو فاعلية مهمة فى ربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض على الصعيد المعنوي للحضارة ، كما يتضح أن ذلك فى حياة هذه الشعوب العقلية والاجتماعية ، وفى روح التراث المتخلف لها من تاريخها الإسلامي على امتداد أبعادها .

وحتى على المستوى المادى للحضارة ، فإننا سنجد أن صورة الحياة الإسلامية - إذا ما ذهبنا تبينها من هذه الزاوية - تعرض علينا كثيرا من القسومات المتشابهة فيما بينها على مناح متعددة ، خاصة ما يتصل من ذلك بالطرز المعماري الديني ومراقبه ، ثم ما يدخل فى باب الألبسة التقليدية ، ومنه الأسواق وسوى ذلك .

إن الحضارة الإسلامية ظاهرة وحيدة ، مختلفة اختلافا كبيرا عن الحضارات غيرها ، وتتميز - من حيث إبعادها المادية - بطاقة شمول واستيعاب جد واسعة ، والملاحظ أن حرية المدينة الإسلامية بهذه الصورة ، لا تختص بعصر دون آخر ، فبذو الحيوية ، لم تنحصر فى عهد ازدهار نفوذ المسلمين السياسى - كما أنها لم تراجع عندما جزر عد سلطانهم ، وآل بعد توسعه الدائق إلى لشرب ، لقد احتفظت الحضارة الإسلامية بديناميتها هذه ، حتى عندما تهاوت الأوطان الإسلامية ، تحت غمرة السطوة الأوربية أثناء القرون الأخيرة وهذا أعليا خلال الحقبة ، عراضين لعبليات التحول المراد منها خلطة رموز أصالهم الحضارية ، وأكثر من هذا ، فإن جاذبية القيمة العليا للفكر الإسلامى وهي العقيدة ، قد انتشرت خلال فترات تدجون المسلمين على حال سواء من الفاعلية والتمياط . مثلما كان جالها إبان مؤددهم ، ومن ثم بقي الأفق أمام الدعوة ومتوجها لأكتساب مزيد من المراقب . وتجدى الجمالات الشيسيرية المتغلغلة

والواقعة فى الكثير من الحالات ، تحت أشرف القوات الاستعمارية نفسها ، وبقدرة ذلك التالى المستمر فى جاذبية الدعوة - رغم قيود الظروف ومليباته - كان تألق مضمونها الثقافي وملائماته الحضارية تمثل ذلك فى تجدد مقدورها على إعادة جياشة مفاهيم أولئك الذين يعتنقونها ، وتحوير ملاحظتهم بانفسهم وبالناس ، وتطعيم حصيلهم من المعرفة - بغض من المعاني والدلالات الجديدة ، تنعكس على نظريتهم للحياة . ومسلكتهم فيها ، أن مثل هذه التأثيرات ، لتشكل فاعلة مبدئية لحالة خصبة بإمكانات التطور الحضاري . مثلما يحدث دائما بالنسبة لمن يأخذون بمبدأها ، فيجدون فيه مورد فكر وثقافة ونهج فى الحياة ويرسم لهم بذلك سبل للمراجعة موقعهم فى مضمار الحضارة . وتطور ممارستهم الحضارية على ضوء هذه المراجعة .

إن الانتشار الذى مآقتى الإسلام يحققه ففى أنحاء إفريقيا وغيرها من مناطق العالم فى عصرنا . لينطوي فى محتواه على بذور تحولات حضارية من هذا البعس . تتناول فى المبدى القريب ، وجبهة التفكير والتقييم عند الجفافات التي يتخذ الإسلام بين ظهورها مراكزه . وتنفذ - عبر ذلك - من منظور الأمد البعيد - إلى تغير الصورة الحضارية لهذه الجماعات . وفقا لمحتويات الثقافة التي تحضلت لها بتعريفها على مصادر الفكر الإسلامى الذى اعتنقه وما انتهى لها من ذلك أيضا ، عن طريق التفاعل الفكرى ، مع بقية العالم الإسلامى . فى ارتباطها به .

ومن ثم ، فالبعروض ، أماننا باستمرار ، عن الظاهرة الحضارية الإسلامية ، هو توالى قوة الدفع الإيجابي فى صلب هذه الحضارة ، خلال عصورنا ، مثلما توفر لها من طاقة على هذا النحو البناء الخفيف الماضيه . وليس هناك ، إلا ما يؤذن بأن هذه الطاقة موفولة الفعل فى حقيل الأزمنة ، متجددة الأثر أكثر ، نتيجة لقرب المفهوم الإسلامى من ذهنية المجتمعات التي تتعرف على هذا المفهوم وتعتنقه ، ولما يقدمه هذا المفهوم من حلول لقضايا هذه المجتمعات ، ونسق لمعالجتها ومواقفها . فى اتجاه البحث عن تعايش عالمي أفضل . واستكشاف سبل ثقافة إنسانية سمحة ومحررة .

وفى الرجوع للأصول التاريخية تعرفنا على عوامل الشمول والاستيعاب فى الكيان الحضاري

الإسلامي - نرى أن الظواهر الإنسانية لتلك الحضارة ؛ كقل لها ، على مدى الدهر الطويل - سعة القابلية التي توفرت لها كمصهور متالي لعقريات الشعوب ؛ ومحور استقطاب ملأه هذه العقريات

لقد قامت الحضارة الإسلامية - فيما يخص النظرة إلى العلاقات بين الناس - على مبدأ التماثل بين الأشخاص في القيمة ، فلا تفاوت فطري بين عرق وآخر من الأعراق ؛ ولا اعتبار لاختلاف الألسان واللحن والخصائص الجسمية بين السلاسل ؛ ومن ذلك ؛ كان انصهار الشعوب بسهولة في بوتقة هذه الحضارة ؛ وكان منه بالتالي ؛ صفتها غير القارية ؛ التي شملت العالم القديم في جل أطرافه .

والى هذه السماحة في روح الحضارة الإسلامية ؛ مما ساعد على سهولة الاندماج السلافي في حظيرتها ؛ فقد هيأت مثالية العلم ، التي سادت تلك الحضارة ؛ المتاح المناسب لكافة العناصر المتساكنة ؛ كي تدلي بها لديها من تراث عملي ؛ في تسييد البناء الحضاري الذي كان آخذ في التكامل .

ومن مجموع المساهمات هذه ، تبلورت - كما يعلم - قيمة حضارية عالمية الوجهة ، غنية من حيث محتواها الفكري والثقافي ؛ هي هذه القيمة المدعوة بالحضارة الإسلامية ؛ والتي ملأت الفراغ الحضاري في العالم كله ؛ أثناء الحقبة الطويلة بين أوائل العصر الوسيط إلى مشارف العصور الحديثة .

ولا مجال للمقارنة هنا بين عالمية الموضوع الحضاري في إطاره الإسلامي ؛ وبين عالمية المدنية الحديثة التي تسيطر عليها على العالم الآن .

فالمدينة التي ترعرعت في حظيرة العالم الإسلامي ؛ والتي تعطلح على دعوتها بالمدنية الإسلامية ؛ تتسبب التمايز ضميمها إلى المسلمين عامة ؛ وتستند كثير من مواضعها - من خصائصهم وعقرياتهم القويمة - في تفاعل دقيق بين المفهوم الإسلامي الذي أخذوا به ؛ وبين عطاءات هذه الخصائص والعقريات .

وجيئة أن المسلمين كانوا يعبرون حيناً كثيراً من العالم القديم ؛ ويؤثرون بثقوتهم واشتغالهم على منا حولهم من القطاعات الأخرى من الأرض - إنسان الحضارة التي تفتقت عن طرفهم ؛ كانت تبدو بحكم هذا الاعتبار ؛ كأبرز نموذج يطبع وتسميته العالم الحضارية في ذلك حين .

والأمر بالنسبة للمدينة الحديثة ؛ يختلف عن هذه الصورة بفارق أساسي .

ذلك أن الحضارة الحديثة ؛ وإن كانت تؤثر بفاعلية حقا ؛ في تشكيل جوانب من صورة الحياة عند مختلف الشعوب المعاصرة ؛ بما فيها - بطبيعة الحال - الشعوب الإسلامية ؛ فإن هذه الحضارة لا ترقى مع ذلك ؛ إلى مستوى الحلول محل القيس الحضارية الخاضعة عند هؤلاء أو الآخرين .

ومن ثم ؛ تبقى المدينة الحديثة ؛ مدينة عالمية في نطاق قيم محددة الصفة ؛ محدود بحدود معينة .

أما المدينة الإسلامية ؛ فيمكن - على درجة من المناقضة لذلك - أضفاء صفة العالمية عليها ؛ بالنسبة لنظريتها التاريخي ؛ وذلك ضمن مفهوم أكثر اتساقاً ؛ وبالتالي ؛ أوفى شمولاً .

المهدي البرجالي

من وحي البعثات العسكرية

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في الشام

للمستاذ الحاج أحمد البوعيا شعي

وبذلك : فإن حرب الفرس للروم : كانت حرباً عقائدية ، تنصب بإيادى المسيحية من الشرق ، واستبدالها بسيادة الشمس - وهي معبود الفرس - ويبدل على ذلك : جواب كنسرى الفرس « خسرو الأول » : للإمبراطور هرقل . لما عرض هذا على الأول الصلح ، فاجابه « خسرو الأول » : إن قيصر الروم تأخر وعبد آبق ، ولن أمتحه سلاماً حتى يتوب عبادة العليب ، ويعبد الشمس .

وقد أثار هذا الجواب حمية الروم حكومية وشعبية ، فتحققوا لاسترجاع أقطار إمبراطوريتهم ، بإلقاء درس على الفرس ، وأشعارهم بأن الروم لم يمت ، فأشغل هرقل حرباً لا هيادة فيها ، وجميع قواته قاتل صوب حلب ، واحتل مدينة قنسرين وهي مدينة شمالي سورية ، وكانت مركزاً لأجناس الروم ، وسار شرقاً إلى الفرات ، وقد أحدث رد الفعل هذا في نفوس الفرس فرحاً ، فتجهقروا إلى داخل بلادهم ، مكثفين بالدفاع عنها وتحصنوا في العراق الذي لم يكن على أي حال من أقطار الروم .

وقد جرى كل هذا في أول البعثة الإسلامية ، وهنا نجد ، أن القرآن اعتنى بهذه الحرب بين الوثنيين والمسيحيين أصحاب كتاب سماوي ، فالأولى يحاربها الإسلام أساساً لأنها لا تقول بوجود الإله ولا تعترف بالرسالات السماوية وهي عقيدة فتنها التي يحاربها في المشركين الذين يفدون الانضمام وفي الوقت نفسه ، كانت شوكة المشركين من حرب الجزيرة العربية وبالأخص عرب قرين لم تخضع بعد فأحدث الجدال بين المشركين والمسلمين الذين

في حصة التنافس المتكالب بين الفرس والروم . وفي هذا العهد كان يحكم أقطار الشام إمبراطور روماني ، يعرف عند العرب بهرقل ، وكانت له سيطرة على مجموعة من بلدان البحر المتوسط ، وهو الذي خاطبه صلى الله عليه وسلم بكتاب يدعو إلى الإسلام في السنة السادسة للهجرة أي في سنة 628 م . ويحمل الرسالة دحية بن خليفة الكلبي ، وكان كثير الردد على الشام للتجارة ، ويعرف أقطارها بدقة ، فسلم الكتاب إليه ، وهو في رحلة له من حمص إلى بيت المقدس . وكانت تدعى دولة هذا الإمبراطور « دولة الروم الغربية » وكانت هناك إمبراطورية أخرى تدعى « دولة الروم الشرقية » ، غاصبتها القسطنطينية ، يحكمها إمبراطور روماني آخر يدعى « فوكاس » ، وفي هذا الأوان نشبت بين الإمبراطورين حرب خسوس ، تقلب فيها الأول ، واحتل أقطار الدولة الشرقية ، ولكن كان من عواقب هذه الحرب - كما هي سنة الحرب - أن قامت فوجس في الإمبراطورية ، وبالأخص في الشام ، فيها جعل جارتها الوثنية ، أي دولة الفرس ، تهلبها قررة ، وحي بطبيعة عقيدتها الوثنية تعادي المسيحية ، فقامت بغزو الروم في غزى أقطار الشام ، فاستولت عليها ، واحتلت مدينتي القدس ودمشق ، وأترعت من القدس الصندوق المقدس ، الذي يحتوي على الخشبة التي يقال بأن السيد المسيح صلب عليها . وكانت تحتفظ بها كنيسة القيامة في بيت المقدس ، كما كانت تحتفظ بصندوق آخر ، يقال أنه يحتوي على الأبرار الذي سجي فيه المسيح بعد موته ، وقد عمدت إلى ذلك تكاية للروم في عقيدتهم .

يعطون على المسيحيين لأنهم أهل الكتاب . فقال
المسيكون في جداتهم للعالمين ، لو كان أهل الكتاب
من أتباع الحق والهدى كما تقولون لما كنتموا لاخرى
من الشياطين وعصر فرد المسلمون عليهم بأن ينتظروا
أن الانتصار سيكون للروم لأنهم أهل الكتاب ، فنزل
أن هذا اللجاج قوله تعالى « ألم غلبت الروم في أدنى
الأرض وهم من بعد قليل سيظفون في بضع سنين ،
لله الأمر من قبل ومن بعد » يورثه يفرح المؤمنون
ببصر الله .

وإذا قد علمنا أن الإسلام في أول نشأته كان
يناصر أهل الكتاب ، فإنه يجدر بنا أن نشير هنا
إشارة خاطفة ، إلى أنه كان يوجد في الجزيرة العربية
كما في أقطار الشام وبلاد ماوراء النهر
المسيحية والموسوية أو بعارة النصارى واليهودية .
وقد بقي الإسلام وفيها لكل الديانتين معا إلا أنه مما
سجل تاريخيا أنه بالنسبة للنصارى فإنه لم يعثر أن
وقعت قطيعة بين المسلمين ونصارى الحجاز في
المراحل الأولى للإسلام ، كما أن المسيحيين الذين
كانوا يتواجدون بمكة بكثرة يمتنعون مختلف الحرف
والصنائع كما كانوا يوجدون في قبائل بني كنانة
مواطنين مثل نجران وغيرها ، لم يقاتلوا المسلمين ولم
يقاتلهم ، بل احتفظوا بالعبادة ، فلم يتدخلوا لصالح
أعداء المسلمين كما لم يؤم هؤلاء نفس الخطأ ، تصاتي
المسيحيون في أحضان دولة الإسلام عيشة الهناء
والطمأنينة ، حتى أن نصارى نجران ، وهو عوقب مع
بالمن لجئوا إلى المدينة المنورة فقبلهم النبي
على الله عليه وسلم على دينهم ، على أن يعطوا الجزية
فيما يحسن بعضهم وأسلم البعض الآخر ، ولم يكن
يقبل النبي صلى الله عليه وسلم من الوثنيين إلا
الإسلام .

وتجلى أيضا عاطفة التسامح بين المسلمين
والمسلمين بما لقيه هؤلاء من الشجاشبي ، حينما
هاجرت طائفة منهم إلى الحبشة ، إذ قوبلوا بالترحاب
هناك ، فردا فردا ممن كانوا على الشرك في ذلك
الوقت ردا خائبا لما قليلوا منه تسليم أخوانهم الذين
أشبهوهم آتقين كما يرضون .

الفدائية في الإسلام :

أما أهل الكتاب الآخرون وهم اليهود الذين كانت
أرض الحجاز تزخر بهم يفعل هجراتهم من الشام

لأضطهادهم من قبل الروم المحتلين ، فإنهم لم يكن
سبعهم مع الإسلام فسمع المسيحيين ، بل خاضوا
وخاضوا ضد النبي صلى الله عليه وسلم وشنوا الإسلام
كفيدة سماوية نزل بها كتاب مقدس وهو القرآن .
كما نزل من قبله كتاب آخر مقدس وهو التوراة . ولم
يتروا أية ذميمة إلا وركبوا منها للنيل من النبي
شخصيا وأقبا . ودرت فيهم حركة غذائية مفاخرة
ومخاللة شيطانية أفلت بال النبي صلى الله عليه
وسلم .

ولما لم يجد فيهم الصبر الذي قابلهم فإنه عمل
على رد كيدهم أحيانا بالفتنات العلانية التي كان
يتمها للأقارعة على تجمعاتهم ، وكثيرا ما كان يتغافل
إذا سمع كلمة تقتضي التنازل فيقول خربت خبير
مثلا ، والفتنات العلانية كثيرة ومهروفة في كتب
السيرة ، ولكن أريد هنا أن لا نمرير الكرام على أعمال
أخرى فردية كان يأسر بها النبي صلى الله عليه وسلم
للقضاء على رؤوس الفتنة في ديارهم وعلى طريقة
الكتمان وهي التي ذهبت الآن بالأعمال الفدائية .

وبهذا الاعتبار ، فإن أول ما عرفه الإسلام من
الفدائية هي التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم
وبذلك تسيير عملا تشريعا إسلاميا للأعمال الفدائية
التي يقوم بها المسلمون في الأنظار التي تحرق من
الاستعمار والصهيونية فالعوني منهم يسجلون شهداء
للله والوطن ، ومن الأجداد أن يسرد هنا حرفيا بعض
تلك الأعمال لطرافة تلك القصص الخالدة :

نجا ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله أن
النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من كتب بين
الأنف - وهو من رؤساء اليهود شمالي الحجاز -
فأنه استعطي بقاءا وثنا وهجائنا وقد خرج إلى
المشركين يجمعهم على قتالنا وقد أخبرني الله بذلك .
ثم قرأ على المسلمين « ألم نر إلى الذين أوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالحب والطفوت ويعولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين عامنوا سبيلا ، أولئك
الذين لعنهم الله ، ومن لعن الله قلن تجد له نصيرا »
قال محمد ابن مسلمة يا رسول الله اتحب إن
أثله ، قال نعم .

أما كيفية انجاز العملية فلنستمع إلى بعض
أسواق يروي لنا هذه القصة ، قال : فرجع محمد
ابن مسلمة لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه

فذكر ذلك لرسول الله فدعاه ، فقال له لم تركت
الطعام والشراب ، فقال يا رسول الله قلت لك قولا
لا ادري اذني به ام لا ، قال عليك الجنة ، قال سم
مضى عنهم الى بيته وهو في ليلة مقمرة واقبلوا
- يعني محمد ابن مسلمة وعشيرته وهم ابو نائلة
اخو كعب بن الاشرف من الرخامة وعبد بن يسير
والحارث بن معاذ - حتى انتهوا الى حصته (اي كعبه)
وكان حديث عهد بعرس فتهافت به ابو نائلة فوثب من
مليفته فاخذته امرأته لتأخنها وقالت انك امرؤ
تخارب وان اصحاب الحروب لا يزلون في مثل هذه
الساعة ، قال انه ابو نائلة لو وجدني بالثأما ليقطنني
قالت والله اني لاعرف البشر في صوتك - فنزل
فتحدث معهم وقالوا هل لك يا ابن الاشرف ان تمشي
الى شعب العجوز فتحدث فيه بقية ليلتنا ، فقال ان
شئتم فخرجوا يتماشون ساعة ثم ان ابو نائلة شام
يده في فود راسه - وهو الشعر الذي على جانب
الراس مما يلي الاذنين الى الامام - يومئذ شام يده
اي ادخلها للشم - ثم شم يده ، فقال ما رايت
كالليلة طيبا امطر ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثليها حتى
اطمان ثم اخذ براسه وقال امسروا عبود الله فقتلوه
فاختلقت عليه اسيافه فلم تعي شيئا فاخذته وقاد
عاج عبود الله ضيعة لم يبق حولنا حسن الا واوقدت
فيه النار فتذكرت عفولا - القول هو النصل الطويل
حيث رايت اسيافا لا تقني فاخذته ووضعته في
ثنية ثم تحاملت عليه حتى عانته فوقع عبود الله ثم
لما رجعوا كبروا فعرف رسول الله انهم قتلوه فقال
اغلجت الوجوه فقالوا وجهك يا رسول الله .

ومنها ما رواه البخاري ايضا عن اسرائيل بن
ابي اسحاق عن البراء بن عازب قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ابي رافع اليهودي رجلا من
الانصار وامر عليهم عبد الله بن جنيك وكان ابو رافع
يؤذي رسول الله ويغيب عليه وكان في حصن له فلما
اتوا منه وقد غرقت الشمس وراح الناس يسرحهم
قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق
ومتطلف للنواب لعلني ان ادخل ، فاقبل حتى دنى
من الباب ثم تسمع بثوبه كأنه يقضي حاجته - البشريفة
وقد دخل الناس فتهافت به البواب يا عبد الله - لم
يرد اسمه الشخصي - ان كنت تريد ان تدخل فادخل
فاني اريد ان اغلق الباب فدخلت فمكثت ، فلما دخل
الناس اغلق الباب وعلق الاغاليق - المفاتيح - على
وتد قال قمصت الى الاغاليق فاخذتها ففتحت الباب
وكان ابو رافع يسفر عنده وكان في علالي - جيب

علي وهو الموضع المرتفع - له فلما ذهب عنه اهل
سفره جنحت اليه فجمعت كلها فتخت بابا افلق علي
من داخل فانتهت اليه فاذا هو في بيت مظلم ومنظ
عنايه لا ادري اين هو من البيت قلت ابا رافع قال من
هذا قاهوت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف
وانا دهش فما اغيت شيئا وصاح فخرجت من البيت
واصكت غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت ما هذا الصوت
يا ابا رافع فقال لا يبك الويل ان رجلا في البيت
ضربني قيل بالسيف قال فاضربه ضربة اخشاه ولم
اقتله - يقال اخشاه الجراح ان اوهشته - ثم وضعت
ضبيب سيفي - حده - في بطنه حتى اخذ من ظهوره
فمرقت اني قتله قال فجعلت افتح الابواب جش
انتهيت الى درجة له فوضعت رجلي وانا اري اني قد
انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسر
ساقى فانتهيت الى رسول الله فحدثته فقال انشط
رجلك فمسحها فكأنها لم اشكها قط .

ومنها ما جاء في الاثر ان عبد الله بن ابي
استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اغتيال
سفيان بن زبيح الهذلي وكان من مشركي العرب فاذن
له وكان يجمع المشركين بوادي عرنة قرب عرقات
على عداء المسلمين وقال له ابنته واقتله فقال له عبد
الله صفه لي حتى اعرفه فقال (صلى الله عليه وسلم)
اذا رايت هينة ووجدت له قسرة وذكزت الشيطان
فذهب اليه ووجد معه الاحابيش وكان عبد الله ابي
انيس استاذن رسول الله في ان يقول ما يتشرب به
فساله سفيان ممن انت فقال من حراة سمعتك انك
تجمع الناس لمجارية هذا الرجل السذي فتت الناس
فقال نعم اني لفي جميع له وانه لم يلق احدا يشبهني
وقال عبد الله انه وجدته يتكئ على عصي بيد الارض
هذا فدخل عليه وسامره حتى اذا ذهب عنه الاحابيش
قتله في بيته وبين عشيرته وفر واخفى في غار
وتبعه قوم سفيان فجاء رجل حاصلا دواة ونعلين
- الدواة انة من الجلد - فلم يرني وذهب قائلا
لا يحياه ليس هنا احد وترك الدواة والنعل فسر
من الدواة وليس النعلين وكان خافيا ومشى مستجيبا
انتهى عشرة ليلة الى ان وصل الى المدينة فقال
رسول الله افلح الوجه فقال وجهك يا رسول الله

وفي ذلك يقول شاعر الرسول حسان بن ثابت
رضي الله عنه :

لله در مضايقة لاقيته

يا ابن الحقيق وانت يا ابن الاشرف

يسمرون بالبطن الخفاف اليكم
مرحبا كاسد في هرين مسرف

حتى انكم في محل بلادكم
فوقكم حنقا بطن دهم

مستنصرين كنصر دين نبيهم
مستصغرين لكل امر مخفف

البعثات العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الشام

تمكنا كان الصراع في الجزيرة العربية حتى اذا
استتب امر الاسلام فيها وجه صلى الله عليه وسلم
غنايته نشر الاسلام خارجها فاتجهت اهتماماته الاولى
نحو الشام للاهمية التي اشرفنا اليها .

ومن المعروف تاريخيا ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعرف الشام قبل البعثة النبوية
بواسطة الرحلتين اللتين قام بهما اليه فقد زاره لأول
مرة وعمره لا يتعدى 12 سنة في قافلة عنه ابي طالب
التجارية الموسمية التي جاءت في قوله تعالى
« لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف »
وكانت القافلة وصلت الى بصرى وكانت عاصمة
حوران ، ثم زارها ايضا للمرة الثانية وهو في الثلاثين
من عمره وكان يتولى تجارة خديجة التي أصبحت ام
المؤمنين فيما بعد ، وكان يصحبه فيها غلاما ميسرة
ويقال ان ابا بكر كان في القافلة ايضا ووصل الى بصرى
وعندما اتم اكمال التجارة رجع الى مكة وكانت الرحلة
سببا في تزوجه بخديجة ام المؤمنين لما علمت من
نجاحه في تلك التجارة بما حكاها لها غلامها من علامات
الفلاح والصدق والامانة .

ومن ناحية اخرى : فان اقطار الشام كانت
معروفة لدى رجال قريش على مختلف المستويات ،
خاصة وللحجازيين عامة بفضل الرحلات التجارية
التي كان يقوم بها هؤلاء اليها مما تمتاز به من خصوبة
الارض والرواج الكبير في اسواقها لانها محطة
التجارات التي كانت تتقاطر عليها من الاقطار المجاورة
فتوجد بها صناعات الزوم والقرص على السواء ،
وكانت قوافل العرب التجارية ترد عليها من كل جانب
وهو البع والبعد والامتداد تم ترجع الى بلادنا
وقد حملت من خيرات المنتجات الفلاحية والصناعية ،
وبذلك كان يجمع من الصحابة خبروا دروب الشام
وجالوا في اسواقها ومدينتها .

ولما استتب الاسلام في الحجاز ونجد واليمن
ودخل عامة الناس بعد الفتح - فتح مكة - والقضاء
على اليهود المتأولين اما بالفزوات العلانية او
الاغتيالات السرية كما رأينا نماذج منها وكليهما في
السنوات الاربع الاولى من الهجرة ، وجه عنايته في
اوائل السنة الخامسة من الهجرة الى اقطار الشام
وكانت في ذلك الوقت تؤلف الاقطار التي نسميها
الان : شرقي الاردن - سوريا - فلسطين - لبنان -
اما العراق فلم تكن داخلة فيما يسمى بالشام وان
كان يحده وكان محتلا بالفرس .

وكان سكان الشام خليطا من العرب المتنصرين
واليهود واليونان والارمن فضلا عن الروم المجتئين
الذين اتاخوا بكلتهم عليه ، وبما لذلك فكانت هناك
لغات مختلفة وهي لغة الاشور السريانية ولغة الروم
اللاتينية والعربية والعبرية واليونانية .

اما غزواته صلى الله عليه وسلم فيمكن ان
نحملها في ثلاث حملات كلها وقعت في حياته وبما
منه وهي حملات كبرى عدا سرايا التي كان يشهنا
الى جنا وهناك الاغارة على الجيوب من العرب
المتنصرين او للاستطلاع .

وهذه الحملات الثلاث هي :

1 - حملة دومة الجندل - ويقال لها الخوف -
وكان سكانها من نصارى العرب والمسافة بينها وبين
المدينة حوالي 600 كلم تستغرق الرحلة فيها بالابل
نحو 15 يوما ، والمؤرخون يجعلونها حملتين اثنتين ،
والكن بما ان الحملة الاولى لم تسفر عن اية نتيجة وانما
اكتفى المسلمون بالاغارة على سرح القوم - ماشيتهم -
ثم رجعوا ، لانها كانت في الصيف وهو موسم الحرارة
المفرطة فان سكان دومة الجندل لم يقابلوا المسلمين
بالقتال ، بل فروا امامهم فاكفى المسلمون بالسرع
ورجعوا واتى اوى ان الحملة التي تستحق التسجيل
هي الثانية ، ولذ اكتفى بها هنا لانها كانت عملا حاسما
حيات الجو للحملات التي اتم بعدها .

وقد كانت هذه الحملة في شهر شعبان عام سبت
للهجرة الموافق لسنة 627 ميلادية وقاد هذه الحملة
الصحابي الجليل احد المبشرين بالجنة وهو عبد
الرحمن بن عوف وعندما دفع اليه النبي صلى الله
عليه وسلم اللواء اوصاه بان يقرؤا في سبيل الله
ويقتلوا من كفر بالله ولا يفلوا ولا يفرروا ولا يميلوا
ولا يقتلوا وليدا قائلا هذا عهد الله وشيعة نبيه فيكم .

ان سماحة الوصية واضحة لا غبار عليها فهي تدل على ضبط النفس في ميدان القتال وهو ميدان قل ان يربط المرء فيه جاشه لانه ميدان غلبان الدم - اي دم الانتقام - وفي هذه الحالة فقد اوصى النبي صلى الله عليه وسلم قائده بان الغزو يجب ان يكون محسبا لله وليس لغرض الاستيلاء او التوسيع وانما لتشر العفيدة النسخة، فلا غلو ولا غدر ولا تمثيل بالموتى او الاحياء ولا يقتل من لم يكن مسؤولا عن الحرب وعلى نيج هذه الوصية سار جيش المسلمين الى الباب الرئيسي لاقطار الشام لطرقته وكانت قوة المسلمين تتألف من 700 مقاتل ووصلت الحملة الى الفمكان الفوجية اليه فقامت خلال ثلاثة ايام فقط باعمال جليلة - كان ليا ما بعدها - وقد خضع السكان للحملة واسلم ملك دومة الجندل ، وهو عربي ، الذي كان تحت سيطرة الروم ، ويدعى الاضبع بن عمرو الكبي من بني كلب ، وتعد دومة الجندل عنقدا للشام ، ولذا كان اقتناحها يعتبر من اهم غزوات الاسلام .

اما الحملة التالية فهي حملة مؤتة ، التي اخبت حملة دومة الجندل ، وكانت في شهر جنادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة الموافق للشهر سنة 629 م . وتقع قرية مؤتة في جنوب شرقي الاردن ، وتبعد عن المدينة بنحو 750 كلم ، ويهدد الحملة فان المسلمين يكرهون قد تغلبوا الى صلب اقطار الشام ، حيث احتلوا لاول مرة وبمباشرة مع الجيشين الرومي ، وقد احند القتال بين الفريقين الى درجة المعارك المشهورة ليا بالقياد ، وكانت قوة المسلمين مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل ، امر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، وكان يعلم ان المسلمين سيخوضون قتالا عنيفا مع الروم فاعيد صلى الله عليه وسلم عدته للقيادة اثناء المعركة ، وتظلمات تنظيمها عجيبا ، فقال صلى الله عليه وسلم ان اصيب زيد بن حارثة فجعفر بن ابي طالب - فان اصيب فميد الله بن رواحة ، فان اصيب فليرتض الناس رجلا من يشيهم بولونه عليهم ، وقد كان الامر كما تنبأ صلى الله عليه وسلم ، فاصيب زيد ومات ، ثم خلفه جعفر بن ابي طالب ، واستبقيات : في القتال وحضانة اللواء معا . حتى انه قطعت يده اليمنى في القتال فاخذ اللواء بيده اليسرى فقطعت يده اليسرى فاحتضن اللواء الى صدره ، والدم ينزف عنه بغزارة ، فلم يبالى باللواء الا بعد ان شغل شطرين ، ثم اخذ اللواء بيد الله بن رواحة ، وقتل ، وبعد هؤلاء الثلاثة ارتضى المسلمون خالد بن الوليد سيف الله المسلول على

اعداء الدين ، فكان النضر الجيوش المسلمين ، لما شهد في خالد بن الوليد من انه لم يهزم له لواء قط ، لما عرف عنه من مهارة القائد الحن الطالع ، العارمة بنقط الضعف في العدو ونقط القوة في جيشه ، فيستعمل كلا في وقته المواتي .

ولمراوة القتال ، فقد استشهد من المسلمين مائة وعشرون شهيدا ، وهو عدد من الاصابة لم تعود المسلمون كثرتها يمثل هذه الدرجة في مواقعهم المشهورة ، ولكن اذا علمنا انه كان على المسلمين ان يواجهوا قوتين اثنتين قوامهما مائتا الف مقاتل ، وحيا قوة العرب الفسائيين الذين حشرهم شرحبيل ابن عمرو الفسائي ، وكان يصبر الكراهية الشديدة الدين الجديد ، حتى انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسوله العارث بن عمر الانسدي ، الى صاحب بصري الخارث بن ابي شمير الفسائي ، واسحه رسول الله كتاب الى هذا الاخير ، فلما نزل قرية مؤتة اوقفه شرحبيل عدا وقتله بطرب عنقه ، وهو الرسول الوحيد الذي قتل لرسول الله ، وقد استعان شرحبيل بعداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا جاهلية جهلاء .

اما القوة الثانية فهي التي حشرها قزقل بنفسه وكان يتواجد في مأرب ومها قبا قوته في الشام ، ولذلك انه كان يعتقد ان هؤلاء العرب الذين جاءوا من الصحراء سيقضي عليهم بهذه الحملة ، ويتحجرون ولا تقوم قائمة من بعد ، ولذا حشر كل ما عنده من الجنود ، وما كان من العرب الفتتصرين ، الذين غشوا تحت لواء الدولة الرومانية .

ولذا فان استشهد مائة وعشرين من المسلمين بالنسبة للقوتين المتقاتلتين - اي لاقلية المسلمين وهي ثلاثة آلاف مقاتل فقط - ولاكثرية العدو وغير مائتا الف - ليس بكثير ، لان العدو كان يقطن انسه سيفتك بالمسلمين فتكا دويغا لا يبقى احدا ، وذلك لان الله جعل من ستة ان فئة قليلة من المسلمين تغلب فئة كثيرة من الكفار ياذن الله .

وقد يكون من الحكمة في اضافة العائبة والعشرين ان الله اراد اذكاء حماهم لاختد النار ، لتسهيل الفتح وهو ما وقع ، فان النبي صلى الله عليه وسلم هيا حملة بعد ذلك صغيرة تحت قيادة اضافة ابن زيد بن حارثة ، وامره بان يرتاد قرية مؤتة ، وامره بان يطا بخيله الموضع الذي قبل فيه ابوة للانتقام من الاعداء

هناك ، وإن كانت هذه الحملة لم تصل إلى مؤتة ، بل وصلت إلى بلاد قضاة ، وهم دون مؤتة ، لم رجعت بعد أن غابت أربعين يوما .

3 - غزوة تبوك : ولم يبدأ بالرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد معركة مؤتة . وقد حزن على نفسه أن يفقد عاتة وعشرين من خيرة المسلمين الأولين ، فعمل على تهيئة حملة يعود بها بنفسه ، وهي الحملة الأولى والأخيرة التي قادها بنفسه إلى الشام وقد رأى أنه لا بد من منازلة الروم وانتزاع العرب في الشام ، فبعث إلى أطراف قبائل الحجاز وإلى مكة ، يدعو المسلمين لأن يتقاطروا على المدينة ، لشن حرب علانية ، وتعتبر هذه المعركة الانتقامية الإسلامية لفتح أقطار الشام .

وقد تقاطر المسلمون من مكة وقبائلها والمدينة وقبائلها ، واجتمع حوالي ثلاثين ألف مقاتل ، وقيل حوالي أربعين ، وقيل حوالي سبعين ، على اختلاف الروايات . وقد رجح بعض المؤرخين أن يكون العدد ثلاثين ألف ، لأن تهيئة العدد الكبير يحتاج إلى وقت متسع ، وبالأخص أن أقطار الحجاز أصابها قحط .

وهناك سبب آخر لهذه الحملة حسب رواية أصحاب السير ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم علم بواسطة الإقطاط الذين كانوا يقدون على المدينة المنورة لبيع الزيت ، الذين يجلبونه من الشام ، أن الروم يهيئون قوة ضخمة من جيوشهم النظامية ، معززة بقوة من حزب قبائل الشام ، من لخم ، وجذام وضبآن ، وأن الروم يستعملون للزحف على المدينة نفسها ، وذلك لرد الفيل على الإغارات التي يقوم بها المسلمون على مشارف الشام ، في الحملتين الألفيتين الذكر ، والسرايا التي يشنها صلى الله عليه وسلم بين حين وآخر .

وفلا فإن أخبار الإنباط كانت ضخيمة ، فإن الروم كانوا يتجمعون في اللقاء ، وهي أراضى شرقي الأردن ، بينما قامت حركة غير عادية بين الملوك المحليين العرب ، الذين خافوا من قسوة نفوذهم على قبائلهم ، لأنهم عرفوا أن الإسلام لا يقهر الحكم المطلق .

وإذا علم النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك فإنه عليه أن يأخذ بالمبادرة الأولى ، فلا يترك العدو فرصة المباشرة بل النبي هو الذي يباغتهم .

وكما قلنا فإن النتيجة كانت علانية ، خلاف ما كان يجري عليه الرسائل قبل ذلك ، حيث تكون تحت الکتمان ، إلى أن تصل إلى المجل المراد مباغتة وذلك لأن شوكة المسلمين أصبحت قوية بفضل ما كان عليه تعريتهم على قتال الروم في مؤتة ، فوسى علمتهم أن العدو لا يجزئ على الغنك بهم رغم قتلهم .

وهكذا فإن المسلمين تقاطروا وتجمعوا في نية الزداع بالمدينة ، ولم تكن المدينة شديدة تحصينا إسلاميا ضخما مثلما شيدته في ذلك الوقت ، وهو شهر رجب عام تسع من الهجرة النبوية . الموافق لشهر ستمبر سنة 630 ميلادية .

ولما رأى المسلمون غزوة النبي واهتمامه الشديد ، حيث عزم على قيادة الحملة بنفسه ، وكان الوقت وقت الحر والشدّة والضيق من ناحية المأدبة فإن المسلمين الأولين الذين لهم فضل حال ، بذلوا في تجهيز الحملة بسخاء لم يعهد له فظير مثله ، أو بعده .

وهكذا جهز عثمان بن عفان القسم الأكبر بالإبل للركوب والأمال والسلاح ، ولما وضع رضى الله عنه يده على النبي المال الذي قدمه للمجاهدين قال له لا تضرك ما عطلت بعد ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وقد سميت هذه الحملة « غزوة العسرة » ، أي الشدة ، وسماها القرآن كذلك فقال تعالى على المسلمين الذين لم يتأخروا لعدو أو لغيره « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » لأن الحملة كما ذكرنا كانت في أواخر الصيف أي شهر ستمبر ، والأرض صحراء محرقه ، والماء مفقود فيها بطبيعتها ، حتى أن الوسيلة الوحيدة لتوفير الماء في الطريق ، أنهم كانوا يتركون الإبل دون شرب لمدة غير قليلة ، ثم يوردونها الماء ، فتشرب بنهم ، حتى إذا اكتفت قادوها معهم ، فإذا عطشوا فبحوا منها لتقطير كرشها فيشربون ماءها ، وكانوا يتناوبون على البصر الوحيد اثنان أو ثلاثة .

وقد رتب (صلى الله عليه وسلم) الحملة بنفسه ، وجعلها على الكيفية النظامية من القلبي واليمين والميسرة والمؤخرة ، في كرايين ، وكان دليله في الطريق علقمة بن القراء الخزاعي . وكان خروجا في الصحراء .

1 - أن يفتح دومة الجندل ويسلمها المسلمين بدون قيد ولا شرط

2 - وأن يسلمهم المني بعير وثلاثمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ، فقبل أكيدر واستسلم ، بعد أن تشب قتال بين الفريقين ، ومات في المعركة أخو أكيدر ويدعى حسان ، ولما وصل خالد بأسراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وافق على ما اشترطه خالد . واسلم أكيدر وأصحابه . وصالحهم . وكتب لهم عهدا جاء فيه : « تقيمون الصلاة لوقتها . وتؤتون الزكاة لحقها . عليكم بذلك عهد الله والميثاق . ولكم به الصديق والوفاء » فرجع أكيدر لقومه إلى دومة الجندل مسلمين .

وبلاحظ من الشروط التي قبلها أكيدر أن سكان دومة الجندل كانوا في قوة : مالا وسلاحا ورجالا . لأن الجزية التي فرضت كانت تتعلق بالسدة الحربية ، وهي ضخمة نسبيا . وقد خلف صلح أكيدر وإسلامه وقعة المخمود لصالح المسلمين ، فإن الاقطار الأخرى من أطراف تبوك التي سمعت بذلك ، هربت لعقد صلح ، وإسلامهم . وهكذا جاء يوحنا بن يزيد صاحب العقبة ، وكانت تسمى أيلة ، وتبعد عن تبوك بنحو 300 كلم . جاء طائعا ، فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم عهدا جاء فيه : « لهم دمة الله ومحمد نبيه ، ولهم من أهل الشام ، وأهل اليمن وأهل البحر » .

وجاء أيضا يهود من أطراف العقبة وصالحهم على ثلاثمائة دينار لكل ستة ، وعلى ربع غلهم الفلاحية ومشتوجاتهم الصنافية ، وكتب لهم عهدا جاء فيه : « فاقموا منون ، ولكم دمة الله ودمة رسوله » وكفوا جاء أيضا أهل جرقا وأهل أدرج من بلاد شرقي الأردن . وهي التي تدعى ببلاد الشراة ، وهي أراضي جبلية وصالحهم على مائة دينار سنويا .

وفي هذا العرض للأعمال التي قام بها صلى الله عليه وسلم التي عنها ما كان سلميا بحتا . ومنها ما كان شبيها بالسلم كخضية أكيدر ، تبين الفتح المبين الذي أدركه صلى الله عليه وسلم في هذه الحملة ، التي لم يفقد فيها ولو رجلا واحدا ، مع تفتح قلوب تلك العجة للإسلام ، واحتكاكهم بالمسلمين ، حيث عرفوا نهجهم في معاملة الآخرين ، وأطمئنا إلى تلك الأخلاق التي تحيل على الوفاء ، وعدم القدر ، أو الاستيلاء إلا ما كان عن حق ، وعدم احتقار تلك الدم التي جاءت في عهده لهم .

والترك في القيادة كبار الصحابة ، وهكذا عقد اللواء الأعظم لأبي بكر الصديق ، وعقد الراية العظمى للربيع بن المروم ، وأعطى راية الأوس لأسيد بن حضير . وهو من الأوس إحدى قبائل الأنصار ، وراية الخزرج للمندر بن حباب ، وهو من الخزرج ، القبيلة الثانية للأنصار ، الدين ءأوا النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ، وهما من قبائل المدينة التي عاشت حروبا فيما بينها ، إلى أن جاء الإسلام ففضى على تنافرهما وتناجرجما في الجاهلية ، والى الله بينهم في الإسلام ، بفضل سماخته .

وقد سارت الحملة تحت عنايته صلى الله عليه وسلم إلى أن وصلت إلى تبوك ، وهو موقع يبعد المدينة شمالها بنحو 600 كلم . ويقال أن الذي سماها تبوك هو النبي نفسه ، لأنه قال لرجلين سيقا إلى ميثمها « ما زلتما تبوكاها » وكانت ميثمها صحبة إلى أن غلب بها صلى الله عليه وسلم ورد الماء فيونا فمزنت .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم فقتلهم النصر بمسافة غير ، كما روي عنه ، فإن السروم انكمشوا ولم يقدروا أن يتحركوا ، فوضل النبي إلى تبوك وأمر أصحابه بضرب الخيام هناك ، فاستقروا فيها من دون أن يقتروا على السروم ومن لف لفهم ، أي أثر ، لأن الرعب سبق إلى قلوبهم ، ففرعوا فاتكشوا في أماكنهم ، ولم يقدروا أن يتحركوا إلى الإمام ولو خطوة واحدة ، بل جعلوا يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى ، وهي حقيقة تاريخية بقي الباحثون إلى الآن مشدوهين أمامها ، وكل واحد يضرب على نعمة . وبالأخص الباحثون المستشرقون .

وعند ما لم يجد صلى الله عليه وسلم من يقاتله ، فانه جعل بيت السرايا في أطراف الأرض وما حول تبوك ، لتزداد الأساكين النائية ، والإغارة على أهلها ، فأرسل خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين مقاتلا إلى جبة دوخة الجندل ، وأغار على سكانها هناك ، وأسر صاحبها أكيدر بن عبد المالك ، وهو عربي نصراني كان ملكا عليها من قبل هرقل ، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوجه « انك ستجده يحطاد البقر ليلا ، فتأخذه » . وكان كذلك . فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم تبوك ، وكان خالد صالحه عند أسره على شروط ، وهي :

التي كانت لها السيطرة المعبودة على سكان الشام قاطبة ، وهذه القبائل نفسها هي التي امتنحت هرقل للخروج الى المسلمين للقضاء عليهم . معللين له قائلين ان هذا الرجل الذي يدعى النبوة واصحابه اصابتهم سنون عجاف . فهاك اموالهم . وانه ان الوقت لكي يتخلص الروم وغرب الشام منهم ، فكان لزاما على النبي بغضنا بلغه ما يعدون ان لا يشرك للعدو مسلحا من الوقت . حتى يهاجم المدينة التي هي مركز الاسلام وعاصمته . لها قد يترتب على ذلك من اوحش العواقب .

اما امتحان المسلمين انفسهم ، فان منهم من تسابق من رضى وشغف للمشاركة فيها بالنفوس والمال ، وكان الاتفاق من بعضهم بقرارة كعثمان بن عفان ، الذي جيز ثلث الجيش بماله الخاص . وكان ذا ثروة . فاذا علمنا ان الحملة كان عددها يبلغ 30 الف مقاتل . كما هي الحد الأدنى للروايات الثلاث ، فيكون عثمان جيز عشرة آلاف مقاتل . وهو قلندر عظيم لا يتحمله الا من يتفق بسخاء وكي السخاء . ثم جاء الآخرون كل يقدر ما يتحمله ماله . وهكذا تصدق ابو بكر الصديق لما سمع النبي يحث على الصدقة : جاءه بأربعة آلاف دينار . فقال له صلى الله عليه وسلم هل ايقيت شيئا لاهلك . قال ايقيت لهم الله ورسوله . وجاء عمر بن الخطاب بتصدقه ماله فقال له هل ايقيت شيئا لاهلك فقال نصيقه . وحمل العباس وطلحة وسعيد بن عباد على انفسهم . وجاء عبد الرحمن ابن عوف بمائتي اوقية . وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً من التمر . وفعل غيرهم مثل ذلك . حسب طاقة كل واحد . ومن لم يجد ما يجوده جاد بنفسه في سيل الله .

اما المتأفقون ، فقد امتحنوا بشكل علني افتصاحي حتى سميت بذلك هذه الغزوة غزوة الصخابة بغزوة الاقتتاج . ذلك ان جماعة من المنافقين جعلوا يقولون للناس لا تنفروا في الحز فرأى عليهم الله بقوله « قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يعرفون الله »

وبما ان كل المصائب تاتي من اليهود ، فان هؤلاء المنافقين كانوا مجتمعين في دار يهودي يدعى سويلم . وجعلوا يشيطون المزائم عن المشاركة في الغزوة . فبعث صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله في نفر من المسلمين ، وامرهم ان يحرقوا عليهم

ولذا فان هذه الفتوحات تعتبر عظيمة الفوائد ، ومحمودة العواقب . فقد اصبح الاسلام يتغرز خارج الجزيرة العربية ، الذي استهدف نشر المبادئ الجديدة التي شده لها الآخرون . الذين كانوا يتحكمون الى القوة . وليس الى العقل . والى القوي وليس الى الضعيف . وقصلا عن ذلك فقد تمسك المسلمون على القتال . وخبروا قوة الروم النطاغية . التي كانت تغطي على الاجم . فسارت الفتوحات على هذا النهج من السرعة شرقا وغربا . ولم يشهد التاريخ حبيب ما انتهى اليه الباحثون ان انتشرت عقيدة ما بالسرعة التي انتشرت بها عقيدة الاسلام . التي تقبلها اهلالي الاقطار التي تفتح . وعضوا عليها بالبرواجد . واستهاتوا دونها . ببطء ما اذقوا حلاوتها . وهذا امر لا يختلف فيه النان . وقد يستمر ذلك الى يوم يعثون .

ان هذه الاعمال الجليلة التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في تلك لم تستغرق اكثر من عشرين يوما . ولذا تعتبر هذه الايام العشر من الايام الخالدة في تاريخ الاسلام . وكانت عقباتها لما اتى به الخلفاء من بعده . ولما كانت هذه الغزوة بيده المثابة فقد اعتنى بها الوحي الالهي . وتبع اجداثها التي صاحبها . وهي احداث ذات أهمية .

منها ما كان امتحانا للمسلمين انفسهم . فقد ميز القرآن بين العوائف التي تفرض لذلك الامتحان . ولذا سماها « ساعة العسرة » أي الشدة . لما كانت عليهم من شدة الحر وقلة الماء وقلة الظهور - المركوبين وقلة النفقة .

ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ان يؤخرها او يتمهل فيها لما اسلفنا من انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ بالمبادرة الاولى . فكان سباقا لمباغتة العدو قبل ان يباغتته . وهي اخذ الخيال العظيمة التي يجب ان تتوفر في القيادة الحربية . وقد توفرت فيه صلى الله عليه وسلم مع خصال اخري اهتبه لان يكسب للعقيدة التي حمل مشعلها انتصارا لا زال يمتد الى الآن .

نقى هذه الغزوة بالذات بادر للخروج الى مقابلة الروم . الذين تجمعوا لقتاله . وجاءوا الى البلقاء بقتوتهم . فتدب صلى الله عليه وسلم واظم المسلمين بالمكان الذي يقصده ليناهوا . لان المائة طوبلة . وغداد العدو كبير . وتنظيقاته راقية . مع القبائل التي اجلبت معه من جدام ولخم وفسان . وهي قبائل

يسمى هؤلاء « ففعلوا » وهناك طائفة سمو بالمعسرين هكذا بالدال المسكورة أي الذين اتحلوا صدرا .
والحال أنه ليس لهم عذر في الواقع . وهم الذين
وثمانيون « وتغللوا لدى النبي بالجهد - أي الفقير -
وكثرة العيال . فاذن لهم صلى الله عليه وسلم بالتخلف .
ولم يعذرهم ، أي لم يقل عذرهم ، فنزل فيهم قوله
تعالى « وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » .

أما الآخرون وهم ثلاثة فقد تأخروا من غير أن
يشكروا في أمر النبي ولا ارتياب . بل كانوا جازمين
أنه خاتم النبيين . ومع ذلك تخلفوا من دون إبداء
عذر . وهم من الأنصار : كعب بن مالك ، ومراثة بن
الربيع . وهلال بن أمية . ونزل فيهم قوله تعالى
« وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم
الأرض بما رحبت » أي تاب على الذين خلفوا . ونزل
سكتة عليهم .

وهناك فريق من المسلمين يمكن أن يسمى
جائتهم أنهم وقعوا في أزمة ضمير . ومن هؤلاء
البكاؤون ، ليكأنهم عندما لم يجلبوا ما يركبون عليه
للسير مع القافلة . فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم ، يلتمسون منه مركوبا . فلما لم يجد لهم
مركوبا ، قال لهم « لا أجد ما أحملكم عليه » فرجعوا
يكونون . وهم عشرة على إحدى الروايات « وأعينهم
تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » .

وقد اهتم (صلى الله عليه وسلم) هؤلاء البكاكين .
ويبحث لهم عن المركوب ، فاشترى ستة أبعرة . وقد
حكى أحدهم وهو عبد الله بن قيس « ما لبثت أن
سمعت بلالا ينادي ابن عبد الله بن قيس ، فأجبتة .
فقال أحب رسول الله ، فلما أتته قال خذ هاذين
القرنين ليعيرين مقرونين وهذين إلى سبية أبعرة
ابتاعين لهم ، فانطلق بي إلى أصحابك فقل لهم أن
رسول الله يحملكم على هؤلاء - أي الأبعرة - .

وبمن وقع في أزمة ضمير أبو ذر الغفاري وأبو
خبيصة ، فلأول كان له بعير اعرج فقل اعطيه إياها .
ثم الحق به النبي ، ولما رأى أنه قد يتأخر ولا يلحق
القافلة فإنه اختار أن يركب الصعبد ولو فيه هلاكه .
فأخذ على كتفه زاده وتبع الحملة إلى أن لحق بالنبي
(صلى الله عليه وسلم) ، في الطريق . وكان يسير
وحده وكاد العطش أن يهلكه . فلما اشرف على الحملة
رءاه المسلمون من بعيد ولم يتبينوا من هو ، لأن
السراب جعل يرفعهم ويخفضه تارة ، ويخفيه ويظهره
تارة أخرى ، فاعلموا النبي بما يرويه ، فقال صلى الله

عليه وسلم كن أبا ذر . فلما وجعل قال له وحسب الله
أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبيع وحده . وقد
حدثت نبوة رسول الله فإنه لما نفاذ عثمان بن عفان
إلى الرينة بعيدا عن العسكرة . وحضره الموت وكانت
معه امرأته وغلما . قال لهما أن انا مت فافضلاني
وكفني ثم ضعني على قارعة الطريق ، فأول ركبي
يمركبكما فقولا هذا أبو ذر صاحب رسول الله اغيثرنا
على ذنبه . ولما فعل به ذلك أقبل عبد الله ابن مسعود
في رعد من أهل العراق . فلم يرهم إلا والجنابة
على قارعة الطريق ، وكادت الإبل أن تطأها . فجعل
عبد الله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله .

وأما أبو خبيصة فإنه ذكر عن نفسه فقال تخلفت
عن رسول الله . فدخلت جانبا - الجانب هو الجنان
عن التخيل - فرايت عريشا - العريش هو بيت من
عروش النخيل يظل - قد رشي بالماء ورأيت زوجتي
فقلت ما هذا يا ناصف رسول الله من السجود والحر
وأنا في الظل والنعيم . فقصت إلى ناضج - هو البعير
الذي ينضج عليه الماء - أي يسقي عليه - ونمرات .
وخرجت فلما طلعت على العسكر رأني الناس ، قال
(صلى الله عليه وسلم) كن أبا خبيصة فجلت قدما لي .

وقوله (صلى الله عليه وسلم) كن أبا ذر . كن
أبا خبيصة هو بمعنى الدعاء أي اللهم اجعلهما أبا ذر
وأبا خبيصة كما تقول أسلم أي سلمك الله .

أما تقي عثمان لابي ذر إلى الرينة فلم يكن يستطيع
في دينه أو صحبته ، وإنما كان أبو ذر معروفا بالأفكار
الاشتراكية المتطرفة ، وكان ينادي بها في الأسواق
والمدن والقرى ولا يبالي . فخاف عثمان أن يفتن
القوم به ، فأبعده على الاقطار المزروحة بالسكنان ،
وهو الصحابي الجليل الذي قال له رسول الله لما
دخل إليه حينما قال كن أبا ذر قال له « غفر الله لك
يا أبا ذر بكل خطوة خطوتها إلى أن لقيتني » .

ومن الفوائد التي نجمت عن هذه الغزوة ، أن
المسلمين كلهم اجتمعوا على ضعيف واحد وراو النبي
(صلى الله عليه وسلم) ، بما فيهم سكان القبائل
النائية التي لم تقدر عادة على التنقل إلى المدينة ،
ورأوا فضلا عن ذلك معجزات نبوته في الطريق ، وفي
جميع مراحل هذه المسيرة المظفرة . فقد رآوا
رسول الله يقول كن أبا ذر كن أبا خبيصة فكان كما
طلب .

ومنها أن الحملة لما وصلت إلى موضع هلاك
تمودا ، وكان غير معروف للنبي ولا للمسلمين وكان
يدعى بالحجر بواد بين المدينة والشام ، أعلمهم
النبي (صلى الله عليه وسلم) ، بأنه موضع هلاك
القوم الظالمين ، فأمر أصحابه بأن لا يشربوا من مائنها
ولا يتوضئوا فيها ، وما كان من عجب معجون بذلك
الماء فلا يأكلوه ، بل يلقوا به ذوابهم ، وذلك خوفا أن
تفسد قلوبهم أو يلحقهم ضرر في أبدانهم ، وقال لهم
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما
أصابهم إلا أن تكونوا ياكين ، ثم لح رسول الله رأسه
واسرع السير حتى جاز الوادي .

ومنها أنه (صلى الله عليه وسلم) أخبرهم بأن لا
يخرج أحد إلا ومعه صاحبه ، فما كان من رجلين من
بنى ساقدة أن خرج أحد منهم لحاجته ، والأخر في
طلب بعيره فالاول خمشق أي صرع في موضعه ،
والثاني حملته الرياح العاتية إلى جبل طيء ، فأخبر
بذلك رسول الله ، فقال « ألم أنحكم » ثم دعى لهما
فشقي الذي صرع ، وأما الثاني فلما رجع (صلى الله
عليه وسلم) إلى المدينة أهدته له طيء .

ومنها أيضا أن عين تيموك كانت تنضح ماء قليل
ففسل من مائها ونصب الماء في العين فجرت مينا
مينا .

ومنها ما سبق أن أعلم خالد ابن الوليد لما وجهه
إلى دومة الجندل ، حيث قال له ستجد أكيدر يسطاد
البقر ليلا فتأخذه فكان كما قال (صلى الله عليه
وسلم) .

وهكذا كانت هذه الفروقة فتحا مبينا سواء
للمسلمين الذين شاهدوا رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) وهو تظهر عليه هذه المعجزات كما شاهدوا
اخلاقه الالهية التي غمرتهم حبا فيه وإيمانا .

وعلى كل حال فإن الرحلة كانت شاقة وشيقة
معا ، وكانت خاتمة أمهاله (صلى الله عليه وسلم)
الجزيرة ، فانه بعد عارجه إلى المدينة لم يلبث أن
أنشأ له الله عند ما خلف خططا حربية للمسلمين
خارج الجزيرة العربية ودخلت العقيدة إلى الشام من
بابها الواسع ، وخلف هناك حندي وأسعا يرون في تلك
الأرجاء وكان على من يأتي بعده من الخلفاء أن يتم ما
بدأه ولم يخب ظن المسلمين في خلفائه .

ومع ذلك .

فإن انطلاقات عرش المغرب ، عندما يرسل
سجته إلى الشرق أو المغرب يتوخى هندی الرسول
(صلى الله عليه وسلم) ، هذا الهندي الذي كان ثراسا
لحقيد الرسول غافل المغرب القبطم جلالة الحسن
الثاني ، عندما جرد قوات عسكرية إلى نفس الاقطار
ولنفس الغرض .

فاذا كانت اقطار الشام ، يقع جزء منها في هذا
العصر ، تحت كابوس الاحتلال الصهيوني الجائر ،
فانه لم يكن بأقل من احتلالها بجحافل الروم الظالمة ،
في وقت الزحف الاسلامي الاول ، تحت راية سيد
الخلق (صلى الله عليه وسلم) .

ثم اذا كانت الصحراء المغربية ، إلى وقت قريب
تمن تحت نفس الكابوس الهجين ، فإن زحف المسيرة
الخضراء كان مستوحى بدوره من هدي زحف الرسول ،
في مسيرته السلمية إلى مكة المكرمة .

وهكذا قدر لانطلاق المغرب ، أن يصحبها
التواثق ، ولو في حضم البكائيات العنيدة ، التي
هي سبلة البشر الكولية ، إلا أن القافلة تسير ، والولد
للغرائس وللعاهن الحجر .

الحاج أحمد البوعياشي

شيخوخة الفكر الماركسي

لدكتور فاروق حمادة

التي أتت من الثورة الصناعية في أوروبا فغزو أن تاريخ الإنسانية هو البحث عن الطعام وأن أدوات الإنتاج هي التي تحدد القيم والمبادئ، والأخلاق والعقائد، وتخلق الصراع. ليستمر بين الطبقات الاجتماعية.

ومن هذا المطلق دعى طلبة الصالحين إلى القيام بالثورة ضد من عداهم - أي طبقة طبقات المجتمع ومعنى هذا: أن الماركسية هي قرينة الجيل، وذلك لأنها تريد أن يبقى المجتمع كله عمالا وفلاحين لكي يحكموا أنفسهم، ويضحوا هم السلطة!! ونحن لا ندري كيف ستبقى أمة يرسم لها سياستها ويخطط لها نظام حياتها الداخلية والخارجية بمسألة وفلاحون!! وربما كانت هذه خدمة للدهماء.

وبناء على المبدأ الماركسي فلسنا بحاجة إلى تورات على العادات والتقاليد والأعراف بل هي ستغير دون أن نخبر أنفسنا، وأكلفنا بناء التغيير لأن هذه المهمة نشوطة بأدوات الإنتاج والاقتصاد، وهذا يكذبه الواقع الماركسي قبل غيره، وقد أصبح ظاهراً للعيان أكثر من أي وقت مضى، ووقف في وجه هذه الفكرة وأثبت أيضاً عدد من كبار العلماء الباحثين في شتى حقول المعرفة الإنسانية، وفيهم عدد من أقطاب الماركسية ذاتها فيكون تغييرهم على أقل تقدير نتيجة عن أنفسهم وطردهم، أن لم يكن مستقرهم ومستودعهم فجاهل سينزوا ومن هؤلاء العالم الشهير (أفليوف) الشخص في البيولوجيا والوراثة عندما إذا بحثه إلى أنه ليس بإمكاننا أن نقل عن طريق الوراثة خصائص نكسبها أثناء حياتنا، كما أن أي تحول سياسي في طبيعة أي جنس لا يحدث إلا عن

أن الشيخوخة والهرم تدبر الزوال والعناء، فإذا ما حل بالجسم، أو نزل بالفكرة، فلن يقع منه علاج ولن يدقيه جلبها ولا استرقاها.

وكثير من الأفكار البراقة في حين من الأحياء تجد ضلبي ورينا لأنها ضربت على بعض أوتار القلوب، تفقد روائها، ويتبدل التجارب معها بعد غيرة، وذلك لأنها لم تعد تتجاوز الناس الذين طرحت عليهم، فقد تلاشت، واقتربت من شفيش الشبان، ولو حلول سدت بها والمتفكرون عنها أن يسلطوها فلن يفلحوا، ولو حققوا بعض الانتصارات فهي ففابع ستلاشي لأن الفكرة هي في طريق الموت، وهي التبه بالسمعة حين توشك أن تنطفئ!! والفكر الماركسي بعد الستينات قد ظهرت أمراض الشيخوخة فيه، وبدأت تزداد مع الأيام، وهي الآن أوضح منها في أي يوم مضى رغم فقااعات هنا وهناك، وهي دليل الضعف والانهيار القريب.

وشيوخة الفكر الماركسي قد جازت من أحيين اثنين:

أولاهما: الطوباوية المبهلة في أصل النظرية، والفكرة الماركسية.

وثانيتهما: عدم صلاحيتها في مجال التطبيق وخير الواقع، وكلا الباحثين يتصل بالآخرى.

1 - أما الطوباوية المبهلة في النظرية التي أطلق عليها خداعاً ومراوغة - الاشتراكية العلمية - فقد كانت هذه المناقضات من الأفكار التي جمعتها ماركس ناهي الاود فقل على بعض الأوضاع الاجتماعية

طريق التناسل الموجه أو الطبيعي ، فبينما تتغير الخصائص المكتسبة بتغير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، نرى أن الطبيعة الانسانية تبقى ثابتة . وهذا تمزيق للنظرية الماركسية شر تمزيق لهذا اسبيل برجل آخر مفعور - ليزانكو - انفسا وراء تأكيد مبدأ نقل الخصائص المكتسبة عن طريق الوراثة خسية تحظيم المبدأ الذي يشير بالإنسان جديد . . .

هذا وقد بقيت الماركسية مدة غير قليلة تخضع حقائق العلم لقابلية المبادئ وتدللتها سمات هذه المبادئ لم ابت حتى اتسع عليها الخرق ، ولم يفسد بمقدورها اخلاق ذلك ، وفضل كثير من العلماء المتخلي عن مزاوله الأعمال العلمية للالتفات الأمور ويشوه وجهها ، وكثير منهم واجه الموت بضمير العالم ، وفضله على الحياة الرخيصة .

علما بان الماركسية قد طوقت جيلين من البشر أو أكثر عليها تجد لها مكانا في عقل الإنسان أو قلبه ، ولكنها اقيمت انه لا يمكن ذلك .

2 - وكما وعدت عمال العالم بجنات وارفة الظلال ، ومنعيم أمانى حلوة جميلة هرعوا اليها تحت قساوة الرأسمالية ، القسوم وظلماتها التي لا ترحم ، فلما أصبحت الماركسية حقيقة واقعة بها الذي حدث الذي حدث أنها فشلت فشلا ذريعا وتهاوت وهي مستمرة في انحدارها حتى تصل الى رمسها الذي يوارىها قرونا عدا .

انها من اول يوم اضطر اصحابها للعبث بها ، وتعديلاتها وتغييرها ، وهكذا مع الأيام يزداد التلاعب لتلائم الواقع ، وما تعديلات لينين ، وستالين ومن والأهم الا تحظيم لاؤاسي للنظرية التي لم يمر عليها الانسانية منذ نادر الحتمات كما نادت بها الماركسية واذا بها لا تلتزم بواجدها منها . منذ إعلان ماركس أن قيام الشيوعية محتمل في أكثر البلاد رأسمالية - انكلترا ، وأوروبا الغربية - الى يامنا هذه . ونحن نسمع الحتمات التي تترسخ على احتساب سياسة الوفاق . متكررة للمبدأ .

وان أسلوب التطبيق كان يابسط السبوح الميكانيكية ، ومن يقرأ نظرية ميكافلي ، ويطلع على أسلوب التطبيق الماركسي يوقن ان (نيكولو ميكافلي) يساوي تلميذا غيبا في مدرستهم ، فهم لا يتورعون عن الوصول الى غاياتهم بأي وسيلة كانت شريفة أو غير

شريفة فلا ضوابط من خلق ، ولا رذع من ضمير ، وهذا مما أفقد الماركسيين الكبار تقويم بعضهم . والماركسية - كما ادعت - تقوم على كثاف العمال والفلاحين ولأجلهم ولكن التطبيق أظهر ان الطبقة العاملة خلف السور الخديدي مسحوقة سحقا شديدا ، فقد طشتها السلطة بكل قدراتها وطاقتها ، ولم تعطي الا قير الكفاية ، وكذلك حسب المبدأ - من كل حسب طاقتة ولكل قدر حاجته - فوجد هذا تلميذا النتيجة الختمية : بناء على المذهب الى وجود جماعة تأخذ الفارق بين الطاقة - القدرة - والحاجة ، وهي الدولة التي سخرت هذا الفارق لبناء آلات الضمار والهلكة عوضا عن ردها نفعا ورقابية للذين اقتطعت منهم ، ونشأت راسمالية الدولة الماركسية ، ولهذا تقاضى العمال عن الانتاج والعمل فيعطى في جميع القطاعات ، ولم تعد (السخرة) تكفي نفسها حتى اضطرت الدولة الرأسمالية ! في حقيقتها الى استيراد كفاءتهم .

ولك ان تقارن بين شيكري دولة سمات الأقدار ان تقسم وتحكم احداها بالماركسية ، وهي ألمانيا ، فالغربية عملاق يهدد العالم ، والشرقية الماركسية ، لا تذكر بشيء يستحق الاهتمام سوى منع الفارين منها الى الشطر الثاني ، مع علمهم يقينا بان نجاتهم بمقدار واحد من عشرة آلاف خصوصا بعد عام 1965 حيث جددت التعصبات على سربرلين الشرير فوضع عليه وجوله 231 برجاً للمراقبة ، و 132 غرفة محصنة تحت الأرض ، 214 مركزا مفرزا بالكنلاب البوليسية و 100 كيلومترا من الأنفاق المحصنة ، و 115 كيلومتر من الاسلاك الممنطة والمكهربة ، و 114 كيلومتر من الممرات الخاصة بالدوريات ، ومع هذا يقفل الكثيرون الموت على الحياة في ظل الانظمة الماركسية ، (ولينين هذا تقريرا للنظام الرأسمالي في ألمانيا الغربية لا ، لا ، فينك تلم مستؤدي به الى الانهيار قطعاً ، ولكن على أية حال قدمت للإنسان حلو عرق كفيف يستفيد منه ، ووضعه موضع الضحج ، لسعد بذلك .

ويستتبع تطبيق الماركسية تركيز السلطة بيد فئة قليلة حد - سمها ما شئت - وهي الرضية على المبادئ التي ترمى بها القصر ، فكل من يتناول الاعتراض والانتقاد ، محقا أو فيطلا ، فهو غدا الشعب ، عدو الثورة ، زججي فتلتحق به هذه التجم ويدخل محكمة علمت أحكامها مسبقا .

وفي سبيل ذلك ينشط الجهاز البوليسي
الذهيب ، وتحكم المحابر ، وأجهزتها الظاهرة
والخفية ، وفي قمة الهرم رجل واحد يعرف الامور
على هواه فهو السلطة التشريعية والتنفيذية ،
والقضائية .

ولئن بليت الانسانية في هذا العصر
بالدكتاتوريات ، لكن اشدّها وأظفها ، وبسوء
اعلان ما كان يحكم بالبيادى الماركسية .

ومن شك في هذا فليذكر كمن تذكر
خروتشوف !! اذ يقول : «أوضحت عمليات القمع
اموا من قبل بفسد ان اسلمت حقوق في 1936
المسؤولية الاولى في المباحث ، وبدا ما يمكن وصفه
حرفيا بالمجزة ، وسقطت جماعات كبيرة من الشعب
تحت سكين المسلح » مذكراته ص 107 . ولن نذكر
ملايين المسلمين الذين بخرهم من الوحوش لينسين
وستالين ، بل نتحدث بشكل عام ، والزعيم خروتشوف
يحدثنا عن لينين الذي يقدره كثير من الدهماء فيقول :
« ولكن يمكن التاكيد ان لينين لا يتورع قط عن اتخاذ
اقسى الاجراءات ، واعدها عند اعداء الثورة ، عندما
يرى ذلك فقد لجأ لينين الى اتخاذ اجراءات
وتدابير لا هوادة فيها ، ولا رحمة ضد اعداء الثورة
وطبقة الكادحين ويمكنكم ان تعودوا بالذاكرة الى
كفاحه مع قيادة الثورة الاشتراكية » مذكرات
خروتشوف .

وان الغزو العسكري الذي مارسته الماركسية
ضد ارادات الشعوب ولفظها الماركسية ، من العوامل
الرئيسية التي اسرعت بها الى نهايتها ، فانشقاق
يوغوسلافيا ، ونحويها المهمل يشكل يخالف كثيرا
ما هو الحال عليه في بقية البلدان وأصل الفكرة ،
وغزو المجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، وتبادل الاتهامات بين

الدولتين الكبيرتين - روسيا - والصين - ليس مجرد
شيء عابر .

ولم يعد عاقل يخدع بهذه المصاوير العائسة .
والمدمرات الكاسحة التي تملكها الشيوعية فصاحي
الا اقوات ومقدورات الشعوب التي تن تحت وطأتها ،
ومن حق هذه الشعوب قبل غيرها الثورة على الماركسية ،
وتركة لينين وستالين وهذا الذي سيكون طبقا
لسنة الاجتماع والحياة .

وان بحث الماركسية عن امكان الخروب في العالم
لاعمالها واستغلالها ، وآخرها ما كان منها في انشولا
رغم النصر الظاهري الذي احرزته الا انها اخذت
رد فعل عنيف وعميق اظهر كثيرا مما حاولوا اجفائه
زمنيا عن الناس

وهكذا نجد ان الخلل والاضطراب والنقص في
الفكرة جعلها عندما تنتقل الى حيز التطبيق تتحطم
متأثرة تحت مطارق الواقع ، ودواعي الفطرة وهي
سائرة في طريق الانقراض لا محالة ونحن معشر
المسلمين - ، ليس هناك خيانة اكبر من تعلقنا الآن
بأذيال الفكر الماركسي بعد ان اثبت عدم نجاحه
وصلاحه ، ولا يزيد عليها خيانة سوى تسخير مقدرات
الامة الاسلامية في سبيله ، وما زالت ترن في اذني
كلية اخذ الشياطين الغرب المتخلفين - وهو يشغل
منصبها مهما يتصل بقطاع العمل والعمال - يقول لي
ونحن في مناقشة حول استقلال الماركسية للعمال ،
ان يريق الماركسية قد انظما ، وقتيلها احترق بين
العمال ، فقلت له : هذا يشتر بخير ، والمسحوح
البشري اليوم مهمل لفكرة جديدة قبل تستقيم اثباتها
وتبصر الطريق ؟! ذلك ما نرجوه ولتعمل في سبيله .

فاروق حمادة

مقاطعة

للاستاذ محمد بن فاديت

وجاز تقديمه لأنه متصوب يفعل متصرف كما نرى .
أما المصدر الأصلي لوقف ، فكان الموقف ، وعضة
الوقف المعروف في اللغة . وبه كانت وزارة الأوقاف
مثلا قائما عندنا وعند غيرنا

ومهما يكن فإن من مقايستنا ، هذه عبا وفتح
من بعض الاساندة الشرقيين ، الذين يعملون في
كلياتنا . فقد سأل أحدهم زميلا لنا ، عن ضبط كلمة
« المقري » بتشديد القاف ، أم بتشديدها ؟

فاجيب : بأنها بالتخفيف

والجواب الصحيح ، هو ما أخذته من المقري
نفسه . ومن بعض أصدقائه في المغرب وليس
المغرب

ونكتفي به بأصدقائه المغاربة ، أما المشاركة ،
فربما اجتهدوا في التسمية لشرهم كما يجتهد المغاربة
كذلك . ومن هنا نشأ الخلاف في الغزالي ، فقوم
في الشرق يحتمون لراي وآخرون في المغرب
يشددونها . وكما حصل لنا في سميننا بالشرقي
وبالمغرب الأوربي بل حصل فيها ما حصل بالمغرب
نفسه ، فهي عند الآسياء شيء وعند الفرنسيين شيء
آخر . مما كدنا كثيرا من المتاعب في السجلات
ولعد إلى المقري ، فنجده في نفع الغريب ،
هذه الآيات :

وخط هذا المقري القاضي
أخير يوم الأخذ بالنواصي

وخط هذا أحمد البادي الوجل
المقري المالك الذي ارتجل

أريد بكلمة « مقامات » مبلولها القوي الأول .
وهو « مواقف » وبمنه كانت نشأة التسمية في
المقامات . بمعنى المواقف العلمية أو الأدبية . وفي
القرآن الكريم : « يكاد البرق يخفي أبصارهم كلما
أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا » أي
وقفوا عن مشيتهم . ومن القيام بهذا المعنى يوم
القبالة . أي الوقوف بين يدي الله ، بعد الحشر من
الناس : ويصح أن يكون حته : قول الشاعر :

فقام بدود الناس عنهما بيعة

وقال إلا لا من ميل إلى عنده

والوقوف الذي فسرنا به كلمة القيام ، ما كان
في أصله إلا متعلما ، ولم يكن بهذا القصور المبني
أنهى إليه فيما بعد : ولم يرد في القرآن إلا متعلما
كذلك . قال تعالى : « وقفهم أنهم مسؤولون » « ولو
ترى إذ وقفوا على النار فقالوا باليمين نرد » « ولو
ترى إذ وقفوا على ربهم قال ليس هذا بالجحش »
« ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم »

بل إن مصدرها « الوقوف » بما جل بها إلا وهي
قد قصرت وكفت عن عملها . ومن الخطأ ما وقع فيه
الروزي وغيره عند شرح البيت :

وقولا بها صبحي علمي مطهر

يقولون لا تهلك أمي وتحمل

حيث جعل الوقوف فيه مصدرا وهو في
الواقع جمع واقف ، حالا من الضمير في يقولون .

وخط هذا المقرئ من وجمل
مرتجيا من ربه عز وجل

وخط هذا المقرئ من عجل
مؤسلا من ربه عز وجل

هذه الأبيات وردت في أوخسر اجازات
المنظومة ، تقتصر عليها ، ثم تأتي بها وردت في
قصيدة ، وجبها اليه بعض المدققة من مراكش
عظمها :

الي المقرئ الخير عند الأئمة
من المخلص الوداد أوكى تحية
والخبر عظمها :

لله در العالم الجليل
كأنما يتكلم بالعيسان

للمقرئ العالم المفضل
منظرا لحسن الممان
وهذا بيت آخر جاءه ضمن أبيات عن قسطنطين :

يا أحمد المقرئ دامت
بشراك صحيف الرعاية
وأخيرا فهذا بيت قيل في جده :

ونفس المعلم ان شالته للمخشي
في المقرئ في العلم بشانسي

خاطبه به ضمن أبيات عالم من قانس فهذا الأبيات كلها
لا تدع مجالاً في كون المقرئ صاحب الفصح
بتشديد القاف ، تكفي بهذا ولا نحتاج في أصل
السيرة

ومن مقامنا المذكورة ، ان رجلاً من زملاء
الاستاذية بكلية الآداب ، قال ان فلانا الباحث
الاسباني اكتشف كون الشاعر ابن المخشي ،
بتشديد الشين ، وليس اسم مفعول من خشي .
وقد تكرر ذلك معرباً ، فاستقله كما قال استاذ
شرقى معروف بتباطئه في نشر التراث الاندلسي
من غير ما يذكر فخذرة . ولما رجعت اليه نفيج
الطيب ، الذي أعاد أشرو هذا الأستاذ ، تدبراً عظمها
لزيها ، يشكر عليه كثيراً ، وجدناه نفسه قد اطلع
على هذه الأبيات - لا محالة - وهي لأبنة الشاعر ،
وفيها هذا الاسم الذي لا يتوان الا بها قال ذلك

الباحث الاسباني وغيره ، من المغالين على الأبيات
التي عظمها :

اني اليك ابا العاصي موجهة
ابا المخشي سقته الوافد المديم

فهذا البيت كاذب في أن الاسم ، بتشديد
الشين ، وان المطلع عليه لا يحتاج الى تشويه ، شاكرا
المروعي وأوزالها وحدها دون غيرها ، وكنت مبتدئ
بشر سنوات ، وجهت الى هذه المجلة الفراء ،
كلمة بعنوان « شاعرة وشعر فسي فحسن الأدب
الاندلسي » تنشر قلت عنها اذ ذاك بالنس ، أصلاً
الشاعرة فهي حسانة التميمية ، بنت أبي الحسين
الابري التميمي

هكذا كانت تعرف عندنا ، وأخيراً سمعنا
ان استاذاً اسبانياً ياحنا ، اكتشف انها بنت ابي
المخشي ، فكان اكتشافه هذا يطيل به ويؤمر ، مع
ان كتب التراجم الاندلسية القديمة خريجة في هذا ،
تقول هذه التراجم ما نصه :

حسانة بنت ابي المخشي ، عاصم بن زيد بن
يحيى بن حنظلة بن عثمة بن عدي بن زيد العبادي
التميمي ، كانت شاعرة مطبوعة ومدحت الأمير عبد
الرحمن بن الحكم ، ذكر ذلك ابو عامر السلمي ، وفي
خبرها عن ابن عباد .

ويقول الفهرست نفسه ، في ترجمة والدها ما نصه :

عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن عثمة بن
عدي بن زيد العبادي التميمي ، من اهل قرطبة ، وابن
زيد هو الداخل من المشرق الى الاندلس ، يكنى ابي
المخشي ، شهر بالشعر ، كان في زمان عبد الرحمن بن
معاوية ، وانتج بابه هشام ، فقطع لسانه وسمل
عينه ، ذكر ذلك ابن خيكان وغيره .

ومن المعروف عن الشاعرة ، انها اجابت الى
الحكم ، بن هشام ، وقد توفي ابوها ، فقالت هذين
البيتين :

اني اليك ابا العاصي موجهة
ابا الحسن سقته الوافد المديم

فقد كتبت ارفع في نعماد حاكفة
فاليوم أوى الى نعمك يا حكم

وأما مدخينا لعبد الرحمن بن الحكم : فلا نفرقا
عنه إلا ما ورد في الترجمة : ولذي تولده منها أوصا
تتبع سراجة كون الشاعرة ابنة أبي المخشى ، كما
أفادت الترجمة معاً ، تنسبه إلى الشاعر زياد
القيادي المعروف . وإن كان مشهوراً بالشعر على عهد
عبد الرحمن الداخل وتذكر التراجم وكسبه الأديب
أيضاً : أنه توجه : بشعره إلى عبد الرحمن : بعد ما
سلمت حياته : فقال :

خضعت أم بناتي العدا
أن قضى الله قضاء فيظني

ورأت أمي حريروا أمي
مشية في الأرض ليس بالعصا

فما كانت لم قالت قولاً
وهي حرة بلغت مني المدي

فقد أدى قرح من قولها
ما من الإذواء ذاء كالعمى

وزادت ترجمة الشاعر : هذه : أنه قطع
لسانه . وهذا لا نعرفه إلا بها

ومن تلك المقامات : التي كتبت أخذ ثلاثية :
أنافس رسالة وردت فيها هذه الأبيات المعروفة لأوس
بن حجر

أجهل النفس أجلى جزعها
أن الذي تحذرون قد وقعها

أن الذي جمع السحابة والنجم
سدة والحزم والقوى جمعها

اللاعنى الذي يقطن بك القلـ
من كان قد رأى وقد سمعها

والمثلف المختلف المبرأ لم
يمنع بضعف ولم يمت طبعها

والحافظ الناس في تحوط إذا
لم يرسلوا خلف عائد ربعها

وعزت الشمال الرياح وقد
أسمى جميع اقتفاء ملتفها

وشبه الفيلدنة العمام من الا
قوام شقياً علبها فرعها

وكانت الكاعب الممثلة الـ
سحناء في زاد أهلها سيمها

لبينك الشرب والمداينة والـ
سفستان طرا وطامع طمعها

وذاث خديم عار نواشرها
تصمت بالباء توليها جدمها

وكان الأعمى وما بعده مضبوطاً بالفتح :
فقلت لصاحب الرسالة : إنه بالضم : فاعتراض أخيه
الاستاذين الصديقين : بل هو بالفتح : وأبده عسي
ذلك الصديق الآخر : فقلت : أين الخبر إذن ؟ فقالا
في بيت آخر لم يذكر هنا

فجدا : الدفاع إليه وجهه في حد ذاته :
ولكن : هل يعقل : أن المبرد أو غيره : يأتي
بإشهاد جنود هكذا فيقتصر على نصف الجملة ؟
أن أردنا أن نستصور هذا الوضع : فلنخلف هذا
البيت بتمامه : لأن أهميته ليست إلا بما لها قبله :
على الصفة : كما نقول : لا الهلية كما قالاب : هذا :

أن الذي جمع السحابة والنجم
سدة والحزم والقوى جمعها

وتقتصر على هذا : من غير ما نذكر له خيراً
فما رأى القارىء الكريم في هذا الإشهاد الذي
يوتى به على معنى لا يقرن إلا في جملة الكلام أما
البيت الذي أراده الاستاذان خيراً : لما تقدم :
فهو :

أودى فما تنفع الاشاحة من
شيء لمن قد يحاول البدعها

وهذا البيت لم يرد في نسخة من الكامل للمبرد
نفسه : فلاشك أنه اعتبر الخبر البيت الذي قلنا
يوجب رفع الالهي فيه : أما النسخة التي ورد
فيها هذا البيت : فإن وروده : كان قبل البيت
المذكور مباشرة هكذا :

أن الذي جمع السحابة والنجم
سدة والحزم والقوى جمعها

أودى فيها تنفع الإضافة من شيء لمن قد يحاول البدع

الأممي الذي يظن بك الفل من كان قد رأى وقد سمع

فأليس خبر استقر في محله قبل البيت الأخير وانتهى الأمر به . وأتى ما بعده من الإيات مرفوعا كلماتها الأولى هكذا :

« الأمي » و « المتلف » وما بعده « والخافض » على سبيل ليس من قبيل ما قبل من التبدلية وشيء كما تقدم به القول . اللهم إلا أن يكون الأمي بدلًا من الضمير في أودى . وهو جائز أخذ بالتشال ثم بالمعهوم من قول الألفية

ومن ضمير الخاضع الظاهر لا بدله إلا ما إحاطة جلا . الخ .

وفي هذه الحال . يكون مرفوعا . أيضا . لا منصوبا . كما زعم الزاعمون . والقالب أن البيت : أودى السخ : اتجم من الساخ في هذه النسخة ذلك أن الإيات السورة المذكورة . هي التي بسنها في الكامل . بنسخته الأولى . تماما خالية من ذلك البيت الواعل عليها .

ومن المقامات ما كان يسمى وبين استاذ في كلمة نفرة ونفراوة

لقد كان اتصالى بنفرة سنة خمسين . حينها كتبت بمجلة رسالة المغرب : بحثا تحت عنوان « كيف أسس عبد الرحمن الداخل دولة » ثم كان اتصالى بنفرو سنة ست وخمسين . في بحث نشر بمجلة Tamuda تحت عنوان « بزوغ الثقافة العربية بالمغرب » ولعل هذا الأخير راق صدقيتها الأستاذ عبد السلام بن عودة . فادرجه في كتابه « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » ضمن ما زاده وأبقاه إلى الكتاب في طبعته الثانية

وقد تحدثت مع صديق خول هذا . ثم سألته العدد المذكور من المجلة . ليطلع على الموضوع . وكفادته أصلح في تمت كلمة « نفراوة » بكلمة « نفرة » وقد ورد ذكرها . كمدينة في الصفحة 188 من العدد

والواقع أنني لم أكلف نفسي التحقيق في الكلمة . وأن جعلت نفسي منها على ذكر . إلى أن اجتمعت أخيرا باستاذ كان يتحدث عن وجود أسماء مشاهير القبائل بعضها في المغرب وبعضها في الجزائر أو تونس . فكان بينها « بني عروس » التي قلت له أنها كذلك موجودة بالمناحل الشرقي لاسبانيا بهذا الاسم . وانتهرت الغرسة فسالته : هل توجد نفرة لا اجاب : نعم . ولكنها تعرف الآن بنفراوة

وهنا قلت من الفريب أن نفرة : كانت معروفة بالمغرب الأقصى . وكان عبد الرحمن الداخل . له خولة بها . فتدخل استاذ آخر معترضًا بأن ذلك كان بطرابلس . فقلت له . بل أنها في كثير من كتب التواريخ يذكر بلها كانت قريبة عن طنجة . فلم يرجع عن رايه ورجعت أنا إلى كتيبي وبيتى . واعتمد على القديم . فوجدته هكذا

جاءت نفرة بين « نفرة » و « نفراوة » فالأولى كانت بالمغرب . وكانت إسماء ادريس الاضر علي قرب من تلمسان . وهي إلى جانب ذلك تعرف كمدينة . كما تعرف كقبيلة . وهذا ذكرها صاحب معجم البلدان . عن القبائل التي سميت بها الأماكن وأم تكن هذه المدينة . بالمغرب فحبيب . بل كانت حتى في الأندلس أيضا . دون كثير من مدن الأندلسيين : مشهورون إليها . ولعل منهم أيا حيان التحوي والمفسر . وكنت فيها قبل اعتقد أنه منسوب إلى نفرة المغرب . فيما شئت عنه من قبل ليفر وعشرين سنة بمجلة « البيان الدين »

أما نفراوة فهي قبيلة بإفريقية . في نواحي الزاب الكبير . كما نقل ياقوت وهي مدينة أيضا وبهذا ورد ذكرها في المسالك والممالك للبركي . الذي وصفها في الجملة . ولم يذكر نفرة إلا يكون ادريس الاضر « نفراوة وتلمسان » . ولكن ياقوت ذكرها بأنها « مدينة بالمغرب بالأندلس » . مع أنها بالأندلس غيرها بالمغرب . ونقل عن السلفي بأنها « قبيلة كبيرة منها بنو حميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطية » ثم ذكر رجالا اشتهروا من الأندلسيين بالعلم . وهم منتسبون إلى « نفرة » هذه بينما لم يذكر دائما أو غيره ينسب إلى نفراوة

فول نفرة هي نفراوة ؟

لا أعتقد هذا . دام أصحاب المدن يقرقون بينهما . وما دامت كتب التاريخ وغيرها تفرق

كذلك ، قاض خلدون في تاريخه . يذكر نفرة ونفراوة على انهما مختلفان . والمقرى في النفيج « نفرة » . وقد نسب اليها طارق بن زياد . نقلا عن عقبه . وعند تعرضه لآحوال عبد الرحمن الداخل ، يقول انهم « نفرة من برايرة طرابلس » . ولكنه يقول في موضع آخر : نقلا عن « بعض المؤرخين من اهل المغرب » ان عبد الرحمن « لم يزل مشغولا في سيره الى ان يفتح المغرب الأقصى » . وتزل نفرة ، وهم آحوالهم قاضا عندهم ايما : ثم ارتحل الى ميلة بالسياحل . فاربيل مولد يدرا بكتابه الى موالهم بالاندلس .

فهذا الأخير صريح في كون « نفرة » كانت بالمغرب . ويؤيده ما ورد في جغرافية اليعقوبي : من ان صالح بن سعيد الذي ادعى انه من حمير ، لا يسلمون له هذه الدعوى ، لأن « اهل البلد يزعمون انه من اهل البلد » نفري « واسم مدينته العظمى التي يتزلها » نفري . ومن هذه المدينة : جاز رجل من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان وعن معه من آل مروان الى جزيرة الاندلس « لما هربوا من بني العباس » . يعنى عبد الرحمن الداخل ، الذي ركب البحر من هذا المكان الى المكتب ALMONECAB الذي يقابله من ير الاندلس . وان نفرة كسان سبها شان عظيم ورجال اشتهروا في الاندلس والمغرب وفي الشرق . فكانت ام عبد الرحمن الداخل نفرة مغربية . وكانت ام جعفر المنصور كذلك . وقد تقدم ان طارقا نسب اليها . ولمكانتها قصى الدولة والمجتمع . فقد اخصت بمدينة من مدن الاندلس : جمرتيا او اسستيا . وكان من رجالها علماء ذو شهرة في الشرق والغرب .

لقد استعفت الى كلمة للاستاذ فاضل بن عاشور ، يلقبها في بغداد بمناسبة المهرجان الألفى بعد المائة لهذه العاصمة فذكر ان ابا جعفر المنصور . درس بالقيروان ، او الى اليها ونزل بها . لا ذكر بالضبط . ولما انتهى عن كلمته ، سألته الشير ايذا ففسره بان افته كانت من نفري « نفراوة » .

هكذا قال الاستاذ العظيم . ولكن المعروف اننا من « نفرة » مغربية . لا من نفراوة . مع احترامى القبي لمعلومات الاسماء المنسوبة .

وربما كان معهما الصواب . فكانت نفرة هذه تونسية اخرى غير المغربية او ان « سلامة » ام

ابي جعفر المنصور . كانت من نفراوة كان يعبر يو جعفر . بخونه بن « سلامة » البربرية . كما نجد في « مقتل الطليبين » لابن الفريخ الاصمائي : ومن هنا ندرك تمجيد ابي جعفر المنصور . لخصمته عبد الرحمن الداخل . وتلقيبه اياه بلقب « صقر قرين » . فهذا اللقب لم يكن « لله في الله » . بل كان في الواقع اصادة بين البربرية . ضمن هذه « القرشية » . وقد سمع من احدهم - وقد قال له يا ابن اللخاء - : « ابن اللخاء من قامت منه مثل امك سلامة » فلم يجد ما يقول سوى : « اضربوا عنقه فخرت عنقه » . . . بعد ما كان محمد بن عبد الله بن الحسن . كتب اليه معرضا به فقال « فانا اوسط بنى هاشم نسبنا وخبرهم اما وانا لم تلدني العجم ولم تغرق في امهات الاولاد »

لقد ذكرت نفرة بين القبائل البربرية التي بايعت ادريس الأكبر . ولم تذكر نفراوة . كما فنى روض القرطاس وغيره . فيما يزيدنا اعتقادا بان نفرة مغربية من المغرب الأقصى . وان خؤولة عبد الرحمن الداخل وى جعفر المنصور . من المغرب الأقصى

ومن التمامات كتبت مرة هذه العبارة : انهم سيرسلوني كذا . . .

وكان مرادى « انهم سيرسلون ابي كذا »

فلما رددت القراءة ثانية : وجدت عندها : يست في شيئا عن الرضى عن هذه الفون . ووجدت فيهم يتفتح الشيء كان له ثقلا . ووجدت اطلاقا من المعالم وشخصا من المفاهيم . يتراقص بعضها فرحا ويغريب الآخر مرجا

فقلت في نفسي : باله من غلط مبارك ، هداني الى خفي الصواب . ولولاه ما اجتذبت الى ذلك الصواب . وقد غطت بحبي الاعراف بمفاهيم الناس . واحتضنت المائوس فطواء في حضن المائوس . وغطت في خضم ياموت ما بيثا ويثا شواطي السواحل . فعد في القرقي الى الابد

قلت : لماذا لا يكون الاصل في تون النفراوة هذه . هو لام الجر . ام لا يكون التطور الحيوي للغة . عمل عمله في هذا ؟

التي تستحق التحول محل اللام في بعض اللهجات العربية :

قالت وكنيت رجلا فطيتا
هذا يعبر الله اميرائيا

فلذا فارقنا بين اللغات ، فاننا نجد مثلا هذه اللام تستعمل في العربية التي ، على حين تجد المستعمل للتني في غالب اللغات هو التون ، وهذا يدل على هذه العلاقة التي لم تأت جزافا ، بل الفطرة الاولى الانسانية ، هي التي جعلتها تنطلق بالرقص وهي تنطلق بالتون او اللام معبرة عن رقصها هذا

وبين الرقص ما يدعو اليه كالنهي مثلا ، والعلاقة بين النفي والنهي واضحة ، لدرجة ان جعل اللغات لا يفرق فيها بينهما ، وان بعضنا ، كالفارسية ، كانت تفرق ، فتجعل للنفي التون وللنهي النيم ، ولكنها عدلت اخيرا ، عن هذه التفرقة ، فعممت التون بينهما .

ان تون الوقاية ، سميت كذلك كما قال النحاة الذين سموها - لانها بقي الفعل من الكسر

اذن هي لا تكون الا في الفعل ؟

كلا : بل تكون فيه ، كما تكون في الاسم ، وتكون في الحرف ، الا ان كونها في الفعل ، مقيس لا يحتاج الى سماع ، بخلافه في الاسم والحرف ، فهو مسموع في كلمات منهما فحسب .

فقد قالوا في الاسم : فدي ، وفطني كما قالوا : فدي ، وفطي ، وقالوا : لدني ، بالسند ، ولدني ، بالتخفيف ، وبدون وقاية .

وقالوا في الحرف : انني ، وعلمي ، كما قالوا : اني ، وعلي ، او لعني ، ولعلي . ومنه ليسني ، وليسني ، فليس ما كان في الواقع الا من قبل الحروف ، وليس من قبل الافعال . ومنه ايضا ، فني ، بالتشديد ، ومنه بالتخفيف ، وحذف تون الوقاية منها وقالوا : لينتي ، كما قالوا : لينتي ، بحذف تون الوقاية ، من هذا الحرف . وكذلك كاتني وكأني ولكنني ولكني . يذكر تون الوقاية وحذفها فيهما وهما من الحروف ، كما فيهما ولا شك .

وانشد النحاة في هذا شواهدا ، منها هذه التي اتي بها شراح الانفة :

فدني من حر الحبيبين فدي
ليس الاخير بالشحيح الملحد

فقلت اميرائي القديوم لعلمي
اخطب بها قيسرا لايتني مايجند

عذبت قومي كقديم الطلي
اذ ذهب قوم الكرام ليمسي

كشيء جابر اذ قيل لي
اصادفه ويذهب جليل مالي

ايها السائل عشهم وعني
لست من قيس ولا قيس عني

عندنا يشير الى ذلك ابن مالك بقوله :

وقيل « يا » التني مع الفعل الترم
تون وقاية وليس قيد نظم

وليتني قشا ولتني تسدرا
ومع لعل اعكس وكمن مخفرا

في الباقيات واضطارا تخفقا
عني ومنى بعض من قيد ملقا

وقبي لدني لدني قل وفني
لدني ولتني الحذف ايضا قد بقي

فلنكون اذن ليمت خاصة بالأفعال ، حتى يسميها « تون الوقاية » لانها بقي الفعل من الكسر ، بل هي في الاسماء والحروف كذلك ، ولم نحاول ان تختص بالأفعال الا متأخرا ، من مرحلة الشبوة والارتقاء ، فلم يكتب لها النجاح مطلقا ، بل بقي غيرها متشبها بحقه في قوة تارة وفي ضعف اخرى ، كما اشارت الى ذلك الابيات الانفة السابقة

قال استاذنا الماسوقه غلبه Perul Kraus في دروسه التي تلقيناها عنه ، بجامعة فؤاد الاول ، سنة 1942 - 1943 : وهو يتكلم عن الضمير المنفصل في حالة التصب « ان العربية لا تستعمل هذا الضمير الا عند ارادة اظهر الضمير ، وكثيرا ما تستعير عنه فعوقنا ان تقول : ضريبة اياك ، تقول : ضريبة لك .

فهو لهذا ، قليلا ما تستعمله ، او هي مقتصدة في استعماله »

هذه اللمحة التي لمحيها استاذنا الفقيه ، تعيدنا بطريقة عكسية ، فنقول : ان ضرورية له ، هو الاصل . متتامين في هذا يكون بعض اللغات لا تعبدى الأفعال : مباشرة ، بل بواسطة حشره . وذلك كاسبانية مثلا . فهذا ميذا وان كان مخالفا لقيى التفصيل : لان الاسبانية تستعين بهذا الحرف في تعدية الفعل الى الظاهر . اما ان كانت التعدية الى الضمير ، فلا تستعين في ذلك بحرف مطلقا . بخلاف ما ندعيه في العربية غالبا ، فهي تستعمل ضرورية له . اكبر من استعمالها : ضرورية ازيد ، كما قال استاذنا . ملاحظا للاستعمال فيها .

والنتيجة التي اتينا اليها ، او التي ما زالت تلوح لنا : من بعيد او قريب ، هي ان نون الوقاية كانت في اصلها لاما ، وان الفرق بينها ، حصل عند مرحلة الافراز والتصنيف التي يقتضيها التطور والرفق : المرحلة التي مرقت فيها اللغات ما يسمى في النحو الأوربي باسم Indirect و Comdirect . ثم لما صاروا يفرقون بين ما يسمى عندهم باسم Accusative و Genitive ...

نقول هذا ، ولما نريد ان نوقع الفوضى في نظام لغتنا . بل اننا نعترف ان استعمال « يرسلوني » مثلا ، بدل « يرسلون لي » خطأ ونحن قاصح ، لا نفتقر لغويا . اولا يستعمل الاجيما يستغنى في التعدية عن حرف الجر في هذا الفعل ، كما استغنى عن ذلك في بعض الأفعال اخرى . كدخل وسكن مثلا . حينما يستعملان متعديين بنفسهما وقد كان يعديان بحرف جر .

أعني ان هذا البحث : بحث فقهي بحث ، بحث عن التطور ولا يبحث عن قانون الاستعمال ، الذي فرغ منه ، ولو الى حين ، قد يطول او يقصر ، بحسب ما يكتب لهذا الاستعمال من عمر حديث او قديم .

ومن المقامات : اني في سنة 58 - 59 ، كنت بلندن اقوم قسى جامعتي بدراسة حصول العلاقات التاريخية بين المغرب والتجارتا

وبما ان هذه العلاقة بدأت منذ عهد اسحق ، وعلى عهد محمد الناصر ابن ابي يوسف يعقوب

الموحدي . فقد اتساق بي التخمين الذي كان يسود بيني وبين بعض الموظفين في سفارتنا . الى ذكر موقع العقاب

ذكرت العقاب : يكسر العين ، كما هو مخصوص عليه ، في ترجمة المستشرق البلشي ، هويسبي سيراندا ، لجزء من البيان لمغرب ، قراجمتي صديقان بان المعروف ان العقاب يضم العين . فاذليت يستندى ، ولكني لاحظت عدم اقتناع منهما ، قلت في نفسي ، لا بان على الأخوين ، وهما في البغارة ، وليسا مثلنا في الخسارة ...

ومضت السنون والاعوام ، وتكررت القصة . فذكرت لطبيحي بكية الأذاب من قانس . موقع العقاب ، بكسر العين ، فراجعتني بما روجعت به منذ خمس عشرة سنة ، واجبت بما اجبت

ولكن بعضهم لم يقتنع ، مما دفعني الى الاعمان في هذا الاسم امعانا جديا

توجهت اولا الى الاسم في المعايير الاسبانية ، وهو في تاريخها « LAS NAVAS DE TOLOSA » بقي علي ان ابحث في القواميس عن مفرد هذا الجيع فوجدته في القاموس الاسبالي الذي بيدي هكذا « Naya Tierra Muy Llana y Rasa » ومعناه ارض جد مستوية ومكتوفة . وتفسر الكلمة في القواميس الاجبية هكذا في التركية وفي الانجليزية وفي الالمانية FLACHLAND وفي

في هذه القواميس : ما عدا التركية عنها . لا يخرج المعنى عن الاستواء ، وهو المعنى الأصلي في الكلمة الاسبانية ، ولعل الملاحة لنا اتصال بمادة الكلمة ، لا استواء السفن على سطح الماء . والاختلاف البسيط في بعض الحركات ليس له أهمية جوهرية ، فكلمة « ثلاث » اثنى تقدمت في الانجليزية ، تدخل بها « فليت » Fleet فيها . ومعناها الاسطول البحري وعلى كل حال : قلنا هنا بهذا العدد ، احبا مؤسرا فم ساعدنا فيه بوضوح ، الا القاموس التركي ، اذ ينص على ان معنى الكلمة ، هو مرتفع قليل من الأرض : لان « جه » هنا بعد « مرتفع » العربي الاصل ، جاء للتصغير . ولعل اعتراضا بوجه المينا في الاستقانة بغير القاموس الاسباني ما دامت الكلمة اسبالية . وهذا الاعتراض له وجهته ومع ذلك الاستيناس بالقواميس الاجبية بشيوا وكثيرا ما استقت بها حتى في بعض الكلمات العربية فاستقتني ...

وعلى هذا فإن هؤلاء الثمانين + ربما جعلوا التقادير بتقتديهم وتبسطهم عقابا لأمرهم ففسدوا + من باب الاتفاق + هذه الواقعة التي ذلك المعنى المذكور هذا وقد قلنا من باب الاتفاق + لأنه يستغل في كثير من الأحيان + والا فالتسوية إلى المكان لا محالة .

ثم يقول الأستاذ عثمان « ويلفرد صاحب روض القرطاس إلى جانب تسميتها بموقعة العقاب + بموقعة حسن السقاب أو حسن العقاب

ونقول أنه كان هناك حسن + وما زالت بعض أطلاله قائمة + ولكن القريب هو التسمية بخصن لعقبان + فهذا الوزن جمع لفعال بالضم كما يقول ابن مالك :

« وللفعل فعلا حصل »

فلا يخلو حينئذ إما أن يكون تصحيحا من النسخ + وإما أن يكون خطأ من المؤلف + تجرأ إليه كما أنجز غيره + بالتداعي الموجود في العقاب + بالضم + الراء التي شبهت بالعقاب + الطائر المعروف من الكواثر + هذه الراء التي عليه الصلاة والسلام

والنتيجة أن وقعة العقاب بكر العين قطعاً + وليس بضمها + كما شاع بين الكثيرين

وبقى أن تعود إلى هذا الملك العظيم + الذي كان من أعظم الموحدين + بل كان سيكون أعظمهم على الإطلاق + وكان العالم التصواني الأوربي يحسب له حساباً عظيماً + فيثود إليه صاحب عقيلة النور مندى وبياذيه + بدياً فاخرة + كانت فيها جوهرة عظيمة جدا رصع بها المصحف العثماني + وكان ملوك أسبانيا + وخصوصاً الشمالية يحالفون + مثل ملك نفرة وملك برشلونة الذي غدر + وخاس بعهدده + بل أن الملك جون + John ملك بريطانيا قد وجه إليه سفارة + برئاسة استيف كبير + يستجده على دوقات فرنسا + إذ كان في نظره + كما في الواقع + أعظم ملك على ذلك العهد

ولكن الأسف كانت موقعة العقاب ستعترض سبيل هذه العظمة + فتزل بالموحدين كرامة ذهبيت بها عظمهم + وكانت أول غربة قاضية على ملكة الإسلام بالأندلس

ومن هنا ننتقل إلى الأستاذ عثمان + الذي نكتبه بنى كلامه + من كتابه « عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس » القسم الثاني الصفحة 313 - 314 « تعرف في التواريخ النصرانية ... بموقعة هضاب أو عقاب تولوسا ... لوقوعها فوق مجموعة من الوديان الصغيرة + التي تحيط بها الربى ... وأما في التواريخ الإسلامية + فإنها تعرف بموقعة العقاب + من مفردها عقبة + وذلك فيما يرجح + لوقوعها بين الربى والتلال المائعة + وهنا نبقى على الكلمة بقولنا « جساء في القاموس المحيط + أن عقبة بالتحريك هي موقس من الخيال + والجمع عقاب بكسر العين »

اذن فقد الضح وجه التسمية بالعقاب + جسماء لعقبة + وهذا الجمع مطرد + في ورنه + كما قال ابن مالك :

فعل وفعلته فعال فيما

وقل فيما عينه السامعتهما

وفعل أيضاً له فعال

ما لم يكن فني لانه احتلال

أولك مضعفاً ومثل فعل

ذو التاء وفعل مع فعل فاقبل

ومثله هضبة وهضاب وكمة وأكمام وأجمة وأجام

وزيد الأستاذ عثمان فيقول « وليس بمعنى الشعافية على الذئب + وإن كان بعض الكتاب والتبصرة + قد نسبوا إليها مثل هذا المعنى + في معرض التلويع بفضب الله + وعقابه للموحدين + لأنهم جادوا عن جادته + وبغوا وتجسروا + واعتمدوا على كثرتهم + ولم يعتمدوا على عزته »

وزيد فسوق في هذا العقاب + جاورذ في كتاب البيان المغرب + من « أن الموحدين لم يخذوا في تلك الغزوة ولا تمسحوا فيها لأجل كنية أميرهم الفاضل + لأسيماهم وقتله وإمتهاله لهم + على يد المغرض ذلك الله « ابن مثنى » ... ولت جصوع المسلمين + فوثبت الهزيمة عليهم + وثبت الفاضل لدين الله + ثبوتاً كاد يرى به ويمكن الغلو منه + حتى وصلت ومأجهم إليه ... وذكروا أن بعض الناس + كان يقول « قلها قل لابن المثنى يردّها » + يعنيون بذلك حاجب الأشغال + الذي تكسب أشيخان الموحدين »

وَأَمَّا بَاطِلٌ مِّمَّا كُتِبَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَهْتَابُوا فَأَنَا لَآئِمٌ ، وَانْظُرُوا
الْكِبْرَةَ عَلَى الْكِبَارِ ، وَالْإِمْدَادَ عَلَيْهِمْ بِجُنْدِ اللَّهِ الَّذِينَ
هُمْ خَيْرُ الْإِنْعَادِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُتْرِكَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى
يَأْخُذَ أَعْدَاءَهُمْ أَخْذًا رِيبًا « وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ سِيبًا »

وَمَنْ فَنَّاكُمْ لَتَكُونَ عِنْدَكُمْ خِذَّةٌ أَوْ قَبِيعَةٌ عَلَى وُجُوهِهِ
وَالْمُازِلَةَ عَلَى كَتِفَيْهَا ، وَلَتَعْلَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَدْرِ الْمُؤْمِنِينَ
قَتِيلًا وَلَا أَصِيبَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَلَا قَلِيلٌ ، وَالسَّلَامُ

وَكُتِبَ فِي أَوَّلِ صَفَرٍ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ

فَمَاذَا يَعْنِي بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَصِبْ مِنْهُمْ لَا
كَثِيرٌ وَلَا قَلِيلٌ ، وَلَا يَدْرِي لَهُمْ قَتِيلٌ ؟

أَهْمُ قَوَادِمِهِمُ الْعِظَامُ ، دُونَ هَلَامِ الْجِيُوشِ الَّتِي
مَنْعَقَطَتْ قَتْلَى بِعَشْرَاتِ الْآلَافِ ؟

أَتَنَا لَا يَدْرِي مَاذَا تَعْنِي الرِّسَالَةُ ، بِأَوْلَاءِ السَّاجِدِينَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي الْوَقْتِ تَغْتَنِي لَانْتَهُمُ رِسَالَةُ
الْمَلِكِ الَّتِي جِئَ بِهَا كَاتِبُهُ النَّايِبُ ، أَبُو عِيَاضَ

مُحَمَّدُ بْنُ تَائُوتَ

تَطَوَّانُ

لَقَدْ قَتَلَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ عَشْرَاتِ الْآلَافِ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَتَبَالُغَ الرِّوَايَةِ الْأَسْبَابِيَّةُ فَتُجْعَلُ عِنْدَ
الْقَتْلَى عَائِلَةُ الْف : وَأَمِنْ صَلَافِهِمُ الْمُصْهَرُ ، أَنَّهُمْ كَانُوا مَتَدِّ
بِضْعِ حَسْرَةٍ سَنَةٍ ، يَسْجُلُونَ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي لَسَلَكُهَا
السيَّارَاتُ ، مَوَاقِعَ الْخَوَادِثِ بِهَا ، فَيَكْتَبُونَ مِثْلًا « هُنَا
قَتَلَ اثْنَانِ » تَتْبِهَا لِلْسَّائِقِينَ فَكُتِبَتْ الصَّحَافَةُ ، مِنْ
بَابِ السَّخَرَةِ ، أَنَّهُ عَلَى هَذَا يُمْكِنُ أَنْ تُكْتَبَ ، عَتَبِدِ
الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ بِهِ تِلْكَ الْوَاقِعَةُ « هُنَا مَاتَ مِائَةٌ
الْف » ... يَرِيدُونَ عَدَدَ الصَّرْعِيِّ مِنْ مَوْقِعَةِ الْهَقَابِ

وَالْعَجِيبُ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي انْتَصَرَ جَيْشُهُ عَلَى سِنِي
الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ ، كَانَ نَفْسَ الْمَلِكِ الَّذِي
انْهَزَمَ جَيْشُهُ فِي « وَقْعَةِ » الْأَرْبَعِ ، عَلَى عَيْنِ يُعْقَبُوبِ
الْمُنْصُورِ ، الَّذِي انْتَصَرَ عَلَيْهِ وَسَحَقَ جَيْشَهُ ، فَفُزَ
نَاجِيًا بِتَغْنِيهِ إِلَى طَلِيقَالَةِ ، وَلَكِنَّهُ آلَى عَلَيْهَا أَنْ لَا يُصِيبَ
بُعِيهَا حَتَّى يَمُوتَ الْعَارُ ، عَارُ الْهَزِيمَةِ الَّتِي مَنَى بِهَا
جَيْشُهُ الْكَثِيفُ

وَأَعْجَبُ مِنْهُ أَنْ النَّاصِرَ ، بَعْدَ هَذِهِ الْهَزِيمَةِ ،
بَوَّجَهُ رِسَالَةً إِلَى الْحَضْرَةِ بِمِرَاكُسٍ ، يُعْتَدَرُ فِيهَا عَمَّا وَقَعَ
فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، وَيَقُولُ « بَوَّادَا كَأَمْتِ وَفَيْكُمُ اللَّهُ
الْجِيُوشَ مُؤَفَّرَةً ، وَالرَّايَاتُ مَشْهُورَةً ، وَالْعَزَائِمُ بِأَقِيَّةً ،



لغتنا الخالدة

للأستاذ محمد حمزة

جلفد الزمان ليأتين بمثلـه

جئت يمينك ياؤميان فكفر

ان من أحب الله أحب رسول الله أحب رسول الله العربي حبا صرءا
وأترد باعزازه . ومن أحب الرسول العربي أحب
العرب جميعا والمسلمين كافة لانتسابهم - ولو دينا -
الى الكتاب العربي المبين . ومن أحبهم أحب العربية .
وهتز بها ، وخطي بها ، وصرف همته للاخذ بها الى
مدارج الكمال ، ذلك لان اللغة هي سرايين حياة
الأمم ، فهي تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً مترامياً
خاضعاً لقوانين ، وهي الرابطة الوحيدة الحقيقية بين
عالم الأجسام وعالم الأذهان . وهي تلزم الفرد فسي
حياته وتمتد الى اعماق كيانه ، وتبلغ الى أخفى رغباته
وخطراته . (1) والعرب حين أمة أخرجت للناس ،
ولقبتهم من أجمل لغات اهل الأرض ، فضلها الله على
جميع اللغات . كما فضل الكتاب المنزل بها على
سائر الكتب ، ولقد قالوا ان الله علم آدم اسماء كل
شيء ، وعلمه اللغات كلها ، فكان يتكلم بسبعمائة لغة

« يا سليمان ، أحب العرب لثلاث : نبيك عربي ،
وقرآنك عربي ، ولسانك في الجنة عربي » . حديث
نبوي كريم (1) . يجملده قول الحسن الثاني قسي
هاتين العبارتين الملمعتين : « ونحن نعلم كلها ان هذه
البيئة وهذه الأمة لم تكن قط أمة ولا دولة إلا منذ ان
دخلها الإسلام ومنذ ان استعملت العربية واللغة
العربية كاداة للتعامل بينها وللانفتاح داخل
جلودها (2) » . وقد « حافظ المغرب الأقصى على
تراث العرب وعبقريه العرب ، وعلى شخصية العرب ،
ورغم البعد والنزى كان اقرب الى اخوانه في الشرق
من جبل الوريد ، وما يرال الى الآن يقدم تلك الخدمات
ويقوم بتلك الواجبات متضامنا مع اخوانه واشقائه من
البلدان العربية ، واميلنا وعيد في ان يبقى المغرب
وقى ان تدوم بلادنا على هذه الشيرة الى ان يرث الله
الأرض ومن عليها (3) » ، واذا كانت بلادنا على هذه
المسيرة الحميدة ، فان المسيرة الخضراء أحمد
لانها نمت من قلب المغرب ، وانجبت من وطنية
المغاربة ومن عزيمة رائدهم الذي يظهر بنور الله :

- (1) أورده الدكتور محمد قاتر المظ قسي كتابه « قيس من نور محمد صلى الله عليه وسلم » ص 432 . نقلا عن البخاري .
- (2) من خطاب القاه الحسن الثاني بمناسبة اجتماع لجنة اصلاح التعليم الاصيل يوم الاربعاء 10 يناير 1973 - 5 ذي الحجة 1392 .
- (3) انباء امة . ج 18 . ص 20 .
- (4) البصير السابق ج 10 . ص 84 . من خطاب ارتجل بمقر الجامعة العربية بالقاهرة ، يوم الجمعة 8 ذي القعدة 1384 - 12 مارس 1965 .
- (4) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين ص 18

أفضلياً العربية . كما فضّلوا إليه شعرا بالعربية . يزوي عن ابن عباس أنه لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الأظفمة وحفظت النواكه ، وغبرت الأرض ، فقال آدم : قد حدث في الأرض حدث . فأتى الهند فوجد قابيل قد قُتل هابيل ، ولما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقتل : ما كنت عليه وكَيْلا . فقال : بل قتلته . ولذلك أسود جلدك . ومكث آدم بعد قتل هابيل غائبة سنين لا يضحك ، ورتاه بشعر فقال :

شربت البلاد ومن عليها

فوجه الأرض عفير قبيح

بغير كل ذي طعم ولون

وقل بشاعة الوجد المليح (6)

وأخرج ابن عساکر في التاريخ ، عن ابن عباس ، أن آدم عليه السلام كانت لفته في الجنة العربية . فلما غشى عليه العربية فتكلم بالسريانية . فلما تاب رد الله عليه العربية (7) . والعربية كلام أهل السماء . قاله لما حشر الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحا ، فاجتمعوا ينظرون لماذا حشروا له . فتأدى مداد : من حمل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره ، واقتصد البيت الخزام يوجهه فله كلام أهل السماء . فقام يعرب بن قحطان فقبل له : يا

يعرب بن قحطان بن هود : أنت هو ؟ فكان أول من تكلم بالعربية الميمنة (8) . نعم أنه بالعربية نزل كتاب الله للمعجز الخالد الذي لا ياتيه الضلّ من بين يديه ولا من خلفه . أنه أعظم الكتب المنزلة لجمه معانيها . وأنه الجنسية اللغوية التي تجمع أطراف النسبة إلى العربية فلا يزال أهل مستعربين به . فمميزين ببلده الجنسية حقيقة أو حكما (9) . وأنه « تنزيل عين الرحمن الرحيم كتاب فصحت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (10)

ومن كان له انفس بهذه اللغة الشريفة أو تصرف فيها ، أو مزاولة لها فحمده السعادة نيا ما يصار إليه من الشقوة بالغة عنها ، والاقبال على تعظيمها سمة من سمات المروعة . وشرط من اشراط الشهامة . وعنوان كرم الاخلاق وسيمائها . إذ هي من ضمير الدين وبها يتم تفهم كتاب المسلمين والوقوف على أسرارها ، ومعرفة قرص واجب ، وفهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا بالعربية : وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . واللغة ليست مجرد صوت . ولكنها صوت بخمس « اتجاها عقائديا » تختص به الامة التي تنطقها بالليونة .

ان العربية التي سميّت باللغة (الشاعرة) ، واللغة الموسيقية . واللغة الولود . هي في الحقيقة فني لسان كل الشعوب العربية التاريخية التي نزلت عليها

- 15 - باب التأويل في معاني التنزيل لغلاء الدين علي بن محمد المعروفة بالخازن ج 4 ، ص 208 . وبهايشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل لسيد الله بن أحمد بن محمود النمقي .
- وقد اتاد القول بأفضلية العربية كثيرا من الحفاظ . ومن ذلك التعليق الذي لقرآن في ص 2 من مقدمة الادب للزمخشري ، القسم الاول « انتشارات دانشگاه تهران 848 » يقول المعلق ردا على الزمخشري الذي يقول مفتحا : كتابيه المذكور : « الحمد لله الذي فضل على جميع الالسنه لسان العرب ، كما فضل الكتاب المنقول به على سائر الكتب » :
- « ان هذا الا بيتان عظيم : تعالى الله عن ذلك فان الله لم يقبل أية لغة على اخرى ، فقد اختار الله رسوله من العرب وانزل كتابه بلغة العرب ، وهم - اذ ذاك - امة مبعطة تعيش في صحراء قاحلة تكنتها ظلال البحر وكتبان الرمال ، بلغت من الانية الوحشية شأوا عظيما .
- امة قد حيمت على عقولها الساذجة غناكيب الجرافات ، كانوا يدسون البنات في التراب دسا ويعبدون ما يشعشعون ، وما اراد الله بهذا الا اظهار لعظمته ، واكبارا لجلالته ، حيث اختار الخمين رجل واحكم كتاب من احسن قوم واسوء لغة 110 هـ .
- 16 - المصدر السابق ج 1 ص 450
- 17 - المزهو للحافظ جلال الدين السيوطي ج 1 ص 30 .
- 18 - المصدر السابق ج 1 ص 32
- 19 - نحو وهي لغوي للدكتور مازن المينازك ص 20
- 10 - سورة فصلت : الآية الاولى والثانية .

والذين بمفهومه الانساني هو منع اللغة اساس من عقومات الامة العربية ، اي هو مقسوم بتقسيمه الايجابي للحياة بعيدا عن مزالق وتيارات التعصب القائمي ، والجدل المذهبي الذي لا يعمل على اثارها وتاجيع عداوتها الا الاستعماريون اعداء الشعوب (13) .

ولقد كان هذا - في الحق - اعظم ما احببته اللغة العربية في عصور حياتها التي تمتد الى قرون عريقة في القدم ، ثم لم يكفها ان اصبحت اللغة انسانية ينطق بها في اعزاز وتقدير ملايين من بني الانسان ، يعدون ذلك قضاء لفرخ من قروا في الدين ، بل لقد وصلنا ذلك اللغات اولئك الاقوام قارت فيها وتأثرت بها ، حتى اصبحت الى كثير من لغات آسيا وافريقية ، فانشأت بذلك اسرة من اسر اللغات جديدة الحسن طبيعتها وفي تكوينها ، تلك هي اسرة اللغات الاسلامية (14) .

ولا احسب امرا يفهم العربية ويتدققها ، ويدرك معاني الفاظها ، ويتجلى بجمال عبارتها ، ويتشبع بما يجري بها على اسنات الاقلام من مختلف الاساليب ، لا احسبه لمحد في آيات الله او يستكبر عنها او يستهزئ بها ، او يكفر بربه ، او يخدع عليه ، الا اذا كان معنوها اهل ، فاقد العقل والتمييز ميلد الاحساس ، مخجما نفسه حاشرا لها في ذمرة خفاقت الاخلام والمخربين : « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرابته حاشعا متصدعا من خيبة الله ، وتلك الاسئلة نضر بها للناس لقلوبهم يتفكرون » (15) ، فالقرآن عربي بالحق قول ولسان العرب قول ، اودعه الله من العلوم النافعة ، والبراهين القاطعة ، غاية الحكمة وتعميل الخطاب ، وخمسه بالطائفة الخفية ، والخصائص العلية ، والدلائل الجلية ، والاسرار الربانية ، وجعله في الطبقة العليا من البيان ، واعجز عنه الفيلسوف ، واعترف علماء الراتب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والاعراب والاغراب ، وجعله قولا فصلا ليس بالهزل ، وحكما عدلا ليس بالجائر ، وآية بادية ومعجزة باقية .

الكتب المقدسة ، « لغة دينية » فقد نزلت الخراف ونزل الانجيل بلهجتين من لهجاتها . . . ونزل القرآن بها في ذروة تمامها . . . انها لغة دينية - اردنا او لم نرد - ومعنى هذا ان التعبير عن الله محسوس رسالتها الأساسية ، وان الدعوة الانسانية والاجتماعية التي تميز المؤمنين ، هي مقبولة وجودها وحركتها ، لذلك فان هذه اللغة لا تزال تستعصى على اكرامها لقاية بعيدة من غايتها ، وفكرة مضادة لفكرتها ، انها لغة انسان ، لغة حياة بالنظر الا بعد لمفهوم الحياة ، لغة حاضرة لمبادرات الشعب الذي يتكلم بها في كل مجالات شرف الانسان ، وحرية الانسان ونفاه الانسان ، ومجد الانسان ، واثبات الانسان (11) ، والدين والعلم لا يتناقضان ، ولن يبلغ الكمال العلم حيا بغير دين ، وان حاول ذلك فقد جعل لعناء قريتنا لديناه ، والاضمحلال حتما لازما لها ، وهوت به الرين في مكان صحيح ، ان الايمان حقيقة يدعمها العقل ، ويركها العلم ، ولا يبعها الا الصدور الامينة والاجلام الزينة .

وقد مكن الله للغة العربية عالم يمكن لأي لغة اخرى من لغات بني الانسان ، فجعل منها لغة الدين والفكر والعلم في بقاع من هذه الارض واسعة شاسعة ، وخلق منها وشيجة القربى في وطن واسع الرقعة يمتد في بلقي ثلاث قارات ، متصلا متواصلا ، لا تقوم بينه حواجز ، ولا يفصل بين اجرائه طاريء دخيل ذو قيمة لولا الدولة الدخيلة التي فرضتها الاستعمار في فلسطين .

وقد صارت بفضل كتاب الله ورسالة الاسلام لغة انسانية ، فلم تقدر مثل سائر اللغات لغة قوم عزوا وتهاوا ، كالأذى حدث لليونانية واللاتينية والعبرية . اما العربية . فقد اصبحت بعد ان نزل بها القرآن لغة المسلمين في بلادها وفي بلاد العالم الاسلامي ، بها يتحدون ، وبساتيها يقرأون كتاب الله مجمع شريفهم ومقاط لقاهم التي خالقهم . (12)

(11) - الاسلام وقضايانا المعاصرة ، لاحمد موسى سالم ، ص . 97

(12) - العربي عدد 80 ، يوليو 1965 ص . 47 - 48

(13) - الاسلام وقضايانا المعاصرة لاحمد موسى سالم ص . 98

(14) - العربي عدد 80 ، يوليو 1965 ص . 47 .

(15) - سورة الخبث : الآية 21 .

على من تقدمهم ، اذ معجزاتهم خفية لبلادهم ، وقلة بصورتهم ، وانما الشريعة الإسلامية لها كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة ، خصها الله بالمعجزة العقلية الباقية ليراعا قووا لبطائر ، فاطن دينة وخرق المادة في اسلوب كماله ، وبلاغته وجلالته . حتى التذ العرب بسماعه الذ من اهل اللهو في لهنهم .

وانما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، والسبح علمه ، وفهم مذاهب العرب واقتنائها في الاساليب ، وما خص الله به لفتها ذون لجميع اللغات ، فإنه ليس في جميع الامم اية اوتيت من العارضة والبيان ، وتسايع المجال ، ما اوتيته العرب خصيص من الله لفاز خصه في الرسول ، وارادة من اقامة الدليل على نبوته بالكتاب ، فجعله علمه ، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من اشبه امور بما في زمانه المبعوث فيه (17) .

وليس في الارض كلام هو اتمتع ولا آتق ، ولا الذ في الاسماع ، ولا اشد اتصالا بالمقول السليمة ، ولا آتق للسان ، واجود تقوينا للبيان ، من طول اجتماع حديث الاعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلاء . . . وسخف اللفاظ مشاكل لسخف المعاني ، وقد يحتاج الى التسخيف قس بعض المواضع ، وربما امتنع بأكثر من امتناع الجزل الفخم من اللفاظ ، والتشريف الكريم من المعاني ، كما ان النادرة الباردة جدا قد تكون اطيح من النادرة الحارة جدا ، وانما الكرب الذي على القلوب ، ويأخذ بالالقاء ، النادرة التي لا هي حارة ولا باردة ، وكذلك الشعر الوسط ، والقناء الوسط ، وانما الشأن في العذر جدا والبارد جدا ، (18) والعرب الفاسق ، ولفتها اوسع ، ولغظها اذل ، واقسام تأليف كلامها أكثر ، والامثال التي خربت فيها اجود واليسر ، والديهة مقصورة على العرب ، والارتحال والاقتضاب

وان اكثر من قبل من اهل الشريعة عن القصص قيتها ، وحاد عن الطريقة المثلى اليها ، فانما استهوا واستغف حليمه غسفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها ، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيتها واحنائها ، فلم يدركوا سرامى تشيبتها ، ولا مقامد مجازتها . . . واعوزهم فهم كفاياتها واستعاراتها ، فافضى بهم ذلك النبي اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه بيتا . . . وجاء عليهم بهما وهنها . (16)

والانسان كلما تعمق في دراسة العربية وقدارستها زاد ايمانه بالله ، واناط به تقته ، واخذ الى رحابه ، واتى بناحيته ، وفرض اليه أسرته ، وبائته سره وباطنه ، واستبان اليه في الشهادة والسيب ، ولو لم يكن في تعلم العربية وعزقة مبادئها ، وتدير معانيها ، والبحث في حقائها ومجازاتها ، الا ثقة القلب ، وراحة الضمير ، وجلالة اليوم ، وقوة اليقين في معرفة اعجاز كتاب الله العظيم ، وزيادة التحضر في آيات النبوة التي هي صمد الايمان وذروة شامه ، تكفى بالعربية قبيلا يحسن الرد ، ويبقى على مر ايام ذكره ، ويغيب في الدارين قمره ، ولذلك قال عمر بن الخطاب « تعلموا العربية فانها من دينكم » لان بين العقل واللسان اواسر روحية وعقلية لا ينكرها الا من يجهل ان اللسان ترجمان القلب ، وان القلب رسول العقل .

ونحن نعلم ان الاصل في اسلام عمر كان هو القرآن ، وذلك انه بالله ان اخته دخلت في الدين الجديد ، فغضب لذلك اسد الغضب ، وزارها على بيتها ليبلو بها على ما فعلت بترك دين آياتها الاولى ، فلما جلس اليها ، واخذ في تأنيبها اسرعت فتناولته ضحيقة قينا شي من القرآن ، قلما قراها ملكت عليه شفاف قلبه فعرض اسلامه على الرسول وصدق برسائله انوه ، فالحمد لله الذي جعل معجزات هذه الامة عقلية لغزط ذكائهم ، وكمال اقناعهم ، وفضلهم

- (16) - الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني ج 3 ص 245 بتحقيق محمد علي النجار .
(17) - تاويل مشكل القرآن لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص 10 . بشرح وتحقيق السيد احمد عتق .
(18) - البيان والبيان لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج 1 ص 145 بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

خاص فيها ، وهي تقطع الألحان الموسيوية على الأشعار الموسيوية ، فتقطع غزونا على غزونا (19) .

وقيل يرتجل الخطيب من العرب كلاما في تكح أو حمالة ، (20) أو تحضيض أو صلح ، أو ما أشبه ذلك . ولا يأتي به من واحد . بل يفتن فيختصر تارة إرادة التخفيف ، ويطيل تارة إرادة الإفهام ، ويكرر تارة إرادة التوكيد ، ويغني بعض مسأله حتى يغمض على أكثر السامعين ، ويكتشف بعضا حتى يفهمه بعض الأعجميين . ويتيسر إلى الشيء ويكتسي من الشيء ، وتكون غيابه بالكلام على حسب الحال ، وقدّر الحفل ، وكثرة الحشد وجلال المقام .

ثم لا يأتي بالكلام كله فهذا كل التهذيب ، ومضني كل التصفية ، بل تجده يمزج ويشوب ليدل بالناقص على التوافر ، ويالفت على السمين ، ولو جعله كله بحرا واحدا لخشه بهاءه وسلبه ماءه ، ومثل ذلك الشهاب من القوس أبرزه للسمع والتوكيد بقرنان فينقص التوران ، والسحاب (21) ينظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقيقان ، ولا يجعل كله جنسا واحدا من الرفيع الثمين ، ولا النفيس المصون (22) .

ونحن باستقراءنا لكثير من نصوص الأدب العربي ، نجده يطفح بالمشاعر اللطيفة والمواظف النبيلة . في قليل من اللفظ مع كثير من المعاني . انظر مثلا قولهم في الجار وما يتطلبه من الاعتناء وحفظ الذمم ، والإبتعاد عن كل ما يتأذى منه :

إني جمدت بنى شيبان إذ خمدت
تيران قواني وفيهم شبت النار

(19) - نفس المصدر ج 1 . عن 384 - 385 .

(20) - الحمالة بفتح الحاء : ما يحمله الإنسان عن غيره مربية أو غرامة ، مثل أن يقع حنرب بينين فريقتين تسفك فيهما الدماء ، فيدخل بينهما رجل يتحمل ذوات القتلى ليصلح ذات البين .

(21) - السحاب عند العرب : كل فلاة كانت ذات جواهر أو لم تكن ، وقد تكون فلاة من سك وقرنفل ومخضب بلا جهر ، والمك مادة من الطيب تلبخ مع المسك وتجفف في هيئة جرب تقرب وتتخذ منه الفلائد ، وهي طينة الريح وكلما قدم عليها زادت طيبا ، يقول ابن زيدون :

وردت معين الطيع إذ ذيد دونه
وانجدي علم توات قنونه
أناس لهم في حجرته لؤاب
كما يتوالى في النظم سحاب

(22) - تذويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص 10 - 11 يشرح بتحقيق السيد أحمد قنبر .

(23) - المعاقبة هنا : المناوبة على ركوب الراحة ،

ومن تكروهم في الخجل أنهم
لا يعلم الجار فيهم أنه جبار
وقول تاعروهم في تمجد الجوار وحفظ عهده
والبحث على عصافاة الجار أيضا :

إذا كان لي شيطان يا أم مالك
فإن لجاري شهما ما تخيرا

وقول الآخر في حب المساعدة والصفح .
والأحتمال وإثارة القير ، وتقدير الصبر والبعد عن
الانانية :

ويا أنا بالطاوي حقيرة وخليفة
لا بعثها خفا وانترك صاحبي

إذا كنت ربا للقلوس فلا تبعد
رفيقك يمشي خلفها فيسر راكبه

انخبا فارودفه فإن حلتكما
قدالك وإن كان العقاب يعاقب (23)

ومن استقى المواظف الانسانية وحسن الاخاء
وودة العاطفة . وعن المراء حول معمم بن نويرة
يرثي أخاه :

لقد لا مثي عند القيور على البكا
رفقي لشراف الدموع الوافك

نقال أثكي كبل قبر رابته
لقبر ثوي يسن السوى فالدكذك

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا
فدثبي فبيدا كله قبر مالك

فالعربية كانت تميز عن حاجات العرب ، ومما تجود به قرانهم ، وما يدور بخلدهم ويضطرب فيهم يخيّلهم أو يتلجج في صدورهم ، فما أحصوا عجزا في « ميزانية اللغة » وما نضب معين الكلام البشر في الاستجابة الى كل ما ازاد من فيون القول ، وقصد اتسعت أبواب شعرهم ، وكثرت أغراضه وانفسحت آفاقه ، وطرقوا به كل باب ، وصالوا وحالوا في كل ميدان من ميادين الكلمة ، والعبارة الموحية ، وتصرفوا في المعاني ، وأحسنوا سبك الإنشاء ، وأرسلوا فكرهم في رباض العربية الغداء ، فجاسوا خلال خمائلها وتلقوا فيها بين أيكها وغصونها ، وألمسوا بما يتجاوب فيها من نحن الطير ونحوي النسيم .

فبر ان الكلمة العربية تترجم التقيد بمقتضيات طبيعتها الخاصة ، وتسمد سلامتها من صيغة ليس لتداولها بين الناس أية صيغة شرعية يضيفها عليها ، مثل الكلمة العربية كمثل الحياة التي هي امتداد لها . فكما ان انتشار المرض وانتقاله عبر الاجيال لا يغيران من طبيعته كحالة ميل ، فكذلك الكلمة الموضوعية وضعها شيئا في اللغة العربية ، لا يقوى الزمان على توكيد سلامتها ، حتى لقد ترجع عبوة العربي السبي القتل الأعلى ، الى نزوع كلماته الى تخلف الواقع

المتمازق عليه فهو مثل تستكمل به شروط سلامتها . فوال من تفسير لظهور سنة وأربعة وخشرين الفا من الانبياء بجزيرة العرب غير تفسير الاتفاق قس القبوة نحو المثل الأعلى بين الكلمة العربية وصاحبها ، وذلك ما يجعل الاختلاف في التطور بين لغتنا وبين لغات غيرنا من الاقوام . فبينما كانت الكلمة عند غيرنا تتطور من جيل الى جيل حتى تصبح في نهاية الامر مختلفة المعاني عن لغاتها ، كانت الكلمة العربية تبقى على ما هي عليه لا يؤثر فيها الزمان وكل ما كان يحدث هو ان اجدادنا اذا ما أثقلوا من مرحلة تاريخية الى اخرى كانوا يسقطون من التداول الكلمات المصرة من الاوضاع المهمة ، وينشؤون في حدود نظام اللغة ما يعنى منها بالتفسير عن حاجات المرحلة التاريخية المعاصرة ، ولو قارنا بين قصيدة من الادب الجاهلي كقصيدة عبد المطلب جد الرسول مثلا . وبين قصيدة اخرى من الادب الفرنسي في عهد شارلمان المتأخر خمسمائة سنة عن عبد المطلب ، لوجدنا القصيدة الأولى تختلف من حيث السهولة على افهام الاجيال منذ وضعت حتى الآن ، ولوجدنا القصيدة الثانية تعز على افهام الفرنسيين اليوم الا الذين اختصوا منهم باللغة الرومانية . (24)

24 - الميثاق العربية في اسامها - لؤكسي الإرسوزي - المجلد الاول من المؤلفات الكاملة ص . 50 .

هذا وقد استعمت - وبخفي هذا قد تمت كتابته - الى مقابلة اجراها القسم العربي ببيتة الإذاعة البريطانية مع الشاعر نزار قباني في . وذلك مساء يوم الاحد 16 نوفمبر 1975 في برنامج « ساعة الأحد » وأجرى المقابلة معه السيد الطيب صالح . وكان مما قال نزار : ان الشعر العربي القديم الذي استمر من العصر الجاهلي الى مطلع القرن العشرين كان شعرا صعبا بالفعل لأنه كان يعتمد على التراكيب اللغوية وعلى النقص والزخرفة ، وأنه في عصور الانحطاط كانت القصائد عبارة عن قصيدة واحدة منسوخة على ورق كربون لأن الشاعر لم يكن يملك أي جهد ليقوم بعصره ، او ليقوض في أعماق عصره ، او ليقيم قضية الانسان ، والفعلية كلها كانت بالنسبة للشعر العربي خلال الف سنة الأخيرة عبارة عن نوع من اكتشاف ما هو مكتشف ، كانت عبارة عن كيمياء لغوية تعاد .

ونزار يرى ان الشعر ليس هو اللغة والقاموس ، يستطيع ان ينظم قصيدة وأنما الانسان هو الذي ينظم القصيدة هذه ، لذلك فإن القاموس ليس نظره سقط بكل محدود ذاته القديمة . فقط كجموعة من الالفاظ والتراكيب والقوانين المسارمة التي لا تحتل المخالفة ، فهو يجب ان يكون مع الحياة لا مع النصوص الميتة . ولني على ما يقوله نزار ردود :

1 - ان الشعر العربي الذي استمر من العصر الجاهلي حتى مطلع القرن العشرين لم يكن صعبا كله ، وبذلك فلا يجوز التعميم ! ان شعرا كعمر خنرة وطرفة وابي نواس ، والبحتري والبيروني ، وغيرهم كثيرون ممن شعراء العصور العربية الزاهية تكفي لدحض هذا الزعم ، ان اغلب شعرا يناسب وقفا سلس جميل الزولق رائع البناء موحى الفكرة ، فهو لم يكن شرا -

بزمن طويل ، وقابلة اللغة العربية للتزاوج مع غيرها من اللغات هو الذي جعل منها لغة حية متطورة تطورا دائما أمان العرب على عقل وحفظ لغة آباؤهم وأجدادهم . يقول أرنست رينان :

إن من أقرب ما وقع في تاريخ البشر وضعف خل نكرة انتشار العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بأدى عذى بدء ، فبدأت فجأة في غايمة الكمال سلسلة أي سلاسة ، غنية أي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا أي تعديل مهم . فليس لها طقولة ولا شيخوخة ، فبهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ولم يفتن على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة

والسبب في ذلك هو أن اللغة العربية أصيلة في نفسها ، وتوحيش حتى الإحش من الكلمات التي تدخلها ، وتصير وشدة غير ضاربة فيها بسرق اشب . أن العربية لغة اشتقاق ونحت وتفرنب ، تخضع مسة ليس منها أصلا إذا ما قبلت مسة لغواميل الجرس والإيقاع ، أن بعض اللغات روائع من العبقورية والمنطق المتسق ومن التشابك في الوقت نفسه . والله لهن المستحيل أن يفهم كيف نما هذا البناء المشابك والجميل لهذه اللغات ، ذلك لأن هذه اللغات خارج من نطاق الشعر إلى جد بعيد ، أن اللغات الطبيعية كانت موجودة قبل أن يفكر الإنسان بالبحر أو باللغة

يـ كله ولا يمكن التعصيم مهما بلغ المرء من العلم أو ادرك من الاستقصاء لأن الأدب والشعر فرع عنه شيء ذاتي تختلف فيه أذواق الناس وتتعدد مشاوبهم .

2 - أن الشعر العربي لم يكن كله قورشاً وزخارف ، وإنما كان ذلك في فترة معينة وعند شعراء معينين .

3 - كون الشعر العربي في عصور الانحطاط عبارة عن قصيدة واحدة منسوخة على وزن كويون شي ، طبيعي : فالشعر صورة للعرض الذي يقال فيه والناس الذين يقولونه ، يذهب بازدهارهم وينحط بانحطاطهم . أن الشعر بالنسبة للمصوره كالأحذية بالنسبة للناس الذين ليسون بها ، كل عظمى حسب قياس قديمه . ونحن لا نلبس الطفل حذاء أبيه . ولم فعلنا ذلك لظلمناهما جميعاً ، تلك هي سنة الحياة وذلك نوع من الختمية التاريخية ، وحتى تغيير الجلد وعدم الإيمان بوجود أشياء مطلقة أمر أن خاضعان للتجدد والحدوث وثاني الثبوت .

4 - كون شعر يقال خلال ألف سنة عبارة عن اكتشاف ما هو مكتشف كلام تنقطر المفالات من جليته ، فلا بد للشاعر أن يأتي بشيء جديد ولو قليلاً مهما قلده وجهدت أوتار أحاسيه ، وبذلك فلا يقلل أن يكون شعر قيل في مدة طويلة كهذه شعراً يبدى ، ويعيد فيما سبق اكتشافه ونحن نقول أن عنبرة قال : « هل قادر الشعراء من متردم » ولم يتركوا الشعراء بعدهم ما يقولون . إلا أنهم قالوا واتوا بكل جديد سميناً مرة وغشاً أخرى .

5 - حقاً أن القاموس لا يستطيع أن ينظم قصيدة ، لأن القاموس من صنع الإنسان ، فهو وعاء للغة وسجل لكلماته ، وهذه الكلمات ساكنة جامدة بالفعل تصير بالقوة اللفظية مسبوقة ومكتوبة ومقروءة في سياق الكلام ، فالقاموس معين ضامت ساكن هادي مستعمل بالقوة لا بالفعل ، وهو جال اللغة أيضاً ، يحيا باستعمالها وتموت بتركها وهجرها أو استعمالها بقرها .

6 - سقوط القاموس بكل محدوديته القويمة كمجموعة الالفاظ والراكيب والقوانين الصارمة التي لا تحتمل المخالفة . ووجوب كون الشاعر مع الحياة لا مع النصوص الميتة اسقاط للحياة نفسها . ذلك أن القاموس صورة للامة ومعرض لحضارتها ومجدها ، أن قواميسنا العربية لم تبلغ شأواً نديداً فيها الفريضة للبن السانع بين الاثنين ! كان أنابول قرأسي يقرأ القواميس الفرنسية قراءة دائية كما يقرأ أي كتاب ، وعميقة فتكون هيجور ترجع فلى بعض مقاهرها إلى معرفته الكبيرة بمفردات اللغة الفرنسية . أن العبقورية الشعرية تبرز فلى مجال الأفكار والموضوعات ، وبذلك يحيا القاموس ويستنسق سمات الحياة وتدب الحركة في أوصاله ، أن ما كان حيا بالامس يصير إلى موت غدا ، وما هو حي في يومنا ينطبق عليه ما انطبق على سابقه . وأحياء الرمة يكون بيت الحياة فيها . والله عز أبى نواسي أديقول :

لن مع اليوم - فاعلمن - غدا
فانظر بماذا يتقضي مجنني غدا
ما أرتد طرف الحزيرة - بلذاته
الا وتبي يموت فلى تحبده

يتألف ولا يتناظر ، ويجتمع ولا يترايب ، ويترايب ولا ينفك له ارتباط .

وتنظر الإنسان إلى الكون إنما تحكم شعبيها اللغة التي يتكلمها ، إذا اللغة تلازم الفرد في شتى مراحل حياته ، وتمتد إلى أعماق كيانه ، وتبلغ إلى أخفى وغيباته وخطراته . وتصل بين عالم جسمه وعالم ذهنه . « والإشياء في التحقق والتثبت طليعي مراتب أربع : الأولى منها تحققها في المذهب وتصورها ، وهذه الرتبة هي الأصل وعليها ترتب الوجودات الأخرى ، لأن الشيء إذا لم يكن له تصور في المذهب وتحقق ، فإنه لا يمكن وجوده في الخارج بحال ، ثم إن بعض التصورات الذهنية قد يستحيل وجودها في الخارج ، كما تقول في القديم تعالى ، والقدرة القديمة والحياة القديمة ، فإن هذه وإن أمكن تصورهما في المذهب ، لكن لا حقيقة لهما في الخارج بالبرهان العقلي » . (28)

على أن الحواس ، لا يتكرر فضيلها في إدراك بعض الكائنات ، الذي ينشأ عنه صور أخرى غير محسوسة فعلا ، كالدهان إذا حضر المراء به من جنب فإنه يولد في ذهن مبصره صورة النار ، وكأحمرار الوجه الفجائي فإنه يفهم رائحة الخجل الحاصل نتيجة لانكسار في القلب ، وشعور بالخزي ، والتقياض في النفس ما كان ليلمسه البراني أو يحسه قبل الإجمار ، وهذا ما ينفي بالدلالة الطبيعية ولا تحقق إلا في تغير المظهر القزالي للأشياء .

إن صورة جسمنا التي يعطيها كلامنا المتطوق دائما تحفر وتلمحت في أقل تفاصيلها تحت مداعباتنا الصوتية ، لذلك يقول بول فاليري : Paul VALERY « أعمق ما في الإنسان هو جلده » ، فحجم الإنسان هو أداة الكلام ، والكلام الإنساني هو الذي يجعل جسمه يرن ، جسم الإنسان هو أداة التمييز تستعملها الفكرة الإنسانية للكلام . (29)

حتى اضبط رجال الكنيسة أن يترجموا ضلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى ، ومن أغرب المدهشات أن ثبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها . وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة متجولة عند الأمم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر ، حتى أنه لم يعرف لها كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . (25)

إن خزان المفردات في اللغة العربية غنية جدا ويمكن لتلك المفردات أن تزاد بلا نهاية ، ذلك أن الاشتقاق المتشاكل والانيق سهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج إليه كل السان ، على على نظام معين ، حتى أن القاريء إذا مررت به صيغة جديدة فإنه يفهم معناها من القرينة . وإن دارسي العربية يستطيعون أن يفهموا هذه الخاصية في اللغة العربية كدارسي اللغة العربية نفسها ، ولكن الكلمات العبرية أقل طواعية للتصريف من الكلمات العربية ، وهكذا يبدو لنا كأنها هذه اللغة التي كان يتكلمها البدو والأجلاف قبل القرن السابع للميلاد ، قد كان مكتوبيا لها أن تصبح أداة لتبايع الدين ونشر العلم في العالم . (26)

إن مقام الكلمة من المعنى الذي نشأت عنه مقام البدن من النفس ، أو هي كالخيال من صورته . تحمل طابعه وتكشف عنه ، وإذا كانت الثقبين تتضح بتجاوب تجلياتها مع تهاو بدنها ، فالمعنى أيضا ، يتضح بانشتقاق الصورة الحسية إلى كلمات بلغة ومتلازمة ، فتلازمها تكشف عن حدين الأمة ، فيحوله في نفس الفرد إلى بضرة في بستان الوجود ، ويلاعنها نعين قاطبتها القنبية ، أن الكلمة العربية في أثرها كاللحن في الأنسودة ، (27) والنشأ في الريح الطيبة ، والببل في الخفيفة ، والصك في ريق الفزالي ، والعرب في النخبة الموسيقية ، كل أولئك

(25) - أضواء على الفكر الغربي الإسلامي لأنور الجندي في 52 - 53 .

(26) - الثقافة العربية في رعاية الشرق الأوسط تأليف الدكتور جورج سارطون ، نقله إلى العربية الدكتور عمر قروج ، ص 55

(27) - زكي الأرسوزي ، العبرية العربية في لسانها ص 107 ، المجلد الأول عن المؤلفات الكاملة .

(28) - فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين .

(29) - L'Oreille et le Langage par Alfred Tomich PP. 179 - 180

والمعاني تنحصر للخلجات النفس ، تحييا بالتعبير الذي يقر بها من الفهم ، ويخرجها من ظلمات الغموض ، ويخلص بها الى نور البيان ، ويجلو عنها سدة الشك ويحسن عنها ظلال الابهام ، ويغسوم الناس ، ونظم الكلم هو باقتفاء آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيبها في النفس ، قال بعض جهابذة الالتفات وتقاء المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس ، المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والجاذبة عن فكروهم ، مستورة خفية ، وبيدة وحشية ، ومخجوبة مكتومة ، وموجودة في معنى عمومية ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمطاولون له على أمورهم ، وعلى مالا يلفه من حاجات نفسه الا بعيره ، وإنما يحس تلك المعاني ذكرهم لها ، واختيارهم عليها ، واستعمالهم لانفسها ، وهذه الخصال هي التي تقر بها من الفهم ، وتجلبها للعقل ، وتجعل الخفي منها ظاهرا ، والفائب شاعرا ، والبعيد قريبا ، وهي التي تلخص المتبسي ، وتحل البغدد ، وتجعل المجهل مقيدا ، والمقيد مطلق ، والمجهول معروف ، والوحي بالوفق ، والفصل موسوما ، والموسوم معلوما ، وعلى قدر وضوح الدلالة وضوح الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون أظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوسع واتضح ، وكانت الإشارة أبين والنور ، كان انقبح وانجغ ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو اليه ويحث عليه ، بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت مشافهة العجم ، (30)

والخطم الذي يتواصفه البغاء ، وتفاضل مراتب الالفة من أجله شدة يستعان عليها بالفكرة لا محالة ، وإذا كانت مما يستعان عليها بالفكرة ، ويستخرج بالروية فينبغي أن يتفكر في الفكر بعساذا وليس : بالمعاني أم بالألفاظ ؟ فأي شيء وجدته الذي تلبس به فترك من بين المعاني والألفاظ ، فهو الذي تحدث فيه عنفتك ، وتقع فيه ضياعك ونظمك وتصورك ،

فمحال أن تفكر في شيء وأنت لا تصنع فيه شيئا ، وإنما تصنع في غيره ، أو جاز ذلك لجاز أن يفكر البناء في القول ليحفل فكره فيه وصلة الى أن يصنع من الأجر ، وهو من الأحالة المعقولة ، (31)

والعربية لغة سرخلة ، طيبة اللواق ، غلبة المشرب ، أليفة الوشي وهذبة الطبع ، أليقة العبارة سليقة التكتة ، لطيفة الكتابات ، يديقة الاستعارات ، حلوة المجاز ، ساحرة الحقيقة ، ولا يقف على ذلك كله الا الأريب الحاذق ، واليسب الدائق ، والفكر الناقب ، والبصرة النفاذة وأعلم انه لا يصادف القول في هذا الباب موقفا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل اللدوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يوميء اليه من الحسن والطف أميلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند دمل الكلام فيجد الريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا أصبحته عجب ، وإذا أجهته لموضع المزينة الشبه ، فاما من كانت الخلال والوجهان غشدة أدا على سواء ، وكان لا يتفقد من أسر النظم الا الصبغة المطلقة ، والا أنوبيا ظاهرا ، فما أقل مما يجدي الكلام معه ، فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر ، والبدوق الذي بقيمة به ، والطبع الذي يميز صخيته من مكتومة ، ومزاحقه من سألته ، وما خرج من البحر مما لم يخرج منه ، في تك لا تتصدى له ولا تكلف تعريفة ، لعلمك انه قد عدم الاداة التي معها تعرف والحاسة التي بها تجد ، فليكن قد حك في قلبه وار ، والحك في عود انت تطبع عنه في نار (32)

وتمايز العربية بكل ما يدخل كلماتها من تغيير ، وما يعشري أساليبها من تقديم أو تأخير ، وتجعل للاعراب قسما وأقرا في المعنى الوظيفي ، انظر الى قوله تعالى : « وتحييم إيقاظا وهم رقود ونقلهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم بواسطة نوابيح بالواصيد لمز إطلعت عليهم أوليت منهم غزارا ولما كنت منهم (33) رعبا » . فبسر سخائه باسم القاعيل

(30) - البيان والتميز لابن عثمان حمزة بن بحر الجاحظ ج 1 ص 75 بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

(31) - دلال الاعجاز : تأليف الامام غيد القاهر الخرجاني - ص 36

(32) - نفس البعير ص 192 .

(33) - سورة الكيف : الآية 18

« بَسِطْ » لأنه اشعر بثبوت الصفة ، ولو قيل :
 « يَبْسِطْ » لم يؤذن بفراثة الكلب
 البسيط ، وأنه يتجدد له شيئاً بعد شيء ، فالأسم
 يدل على الثبوت والاستمرار ، والفعل يدل على
 التجدد والحدوث ، ولا يحسن وضع أحدهما موضع
 الآخر ، ومثله قوله سبحانه : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا
 نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالُوا لَا تَوْفَكُونَ » (34)
 فغير سبحانه بالرزق في صورة المضارع ، مع أن
 المائل الذي يفعله ماضٍ ، ولو قيل « وَارْزُقْكُمْ عَلَى
 صُورَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِقَاتِ مَا أَفَادَهُ الْفِعْلُ مِنْ تَجَدُّدِ
 الرِّزْقِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ » وقريب من هذا قوله تعالى :
 « وَجَاوِزُوا إِلَيْهِمْ عَشَاءَ يُكُونُ » فأفاد صورة ما هم عليه
 وقت المفجئ ، وأنهم آخرون في لكاء يتجددونه شيئاً
 بعد شيء وهو المسمى حكاية الحال الماضية
 وهذا هو سر الأعراس عن اسم الفاعل والمفعول .
 ولما كان الاعتناء بالخارج الحي من الميت أقوى
 من سبحانه بالفعل المضارع ليدل على التجدد
 والحدوث في قوله تبارك اسمه : « أَنْ اللَّهَ خَالِقُ الْحَبِ
 وَالنَّوَى يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمَخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ
 الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفَكُونَ » (35) فغير « يُفَالِقُ
 الْحَيَّ وَالنَّوَى وَمَخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ » باسم الفاعل
 لما في ذلك من الثبوت والدوام ، وغير يَخْرِجُ الْحَيَّ
 مِنَ الْمَيِّتِ « بِاسْتِعْمَالِ الْمَضَارِعِ فِي ذَلِكَ مِنْ التَّجَدُّدِ
 وَالْمَعَاوِدَةِ » (36)

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن فسوم نوح :
 « فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكَ وَأَقْرَبْنَا الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ » (37) . « فَعَدِلَ
 سَبْحَانَهُ مَنْ عَمِينَ إِلَى عَمِينَ » (38) ليدل على أن عماهم

نابت فإن لا يبرح ولا ينزاع ، والصفة المشبهة تؤدي
 معنى الثبوت حين يوصف بها ، فقد عميت قلوبهم عن
 معرفة الله ، وعميت ألبصارهم عن الحق واليمان ،
 ونزل حدسهم عن الفرق والعدا بالنازل بينهم ،
 والرجل يكون عمياً في البصيرة وعلمياً في البصر ،
 قال زهير :

واعلم ما في اليوم والامس قبله
 ولكنني عن علم عاقلي عند قم

ويعدل سبحانه عن ضيق إلى ضائق في قوله
 خطاباً للرسول حينما سأله كفار قريش أن يأتي بقرآن
 ليس فيه سب لآلهتهم : « فطعك تارك بعض ما يوحى
 إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا نزل عليه كبر
 أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء
 وكيل (39) » فهم كانوا يسبحون من القرآن ويستوثقون
 به ويضحكون منه ويهاوون به ، وكان رسول الله
 يضيق صدره لذلك ، فأمره سبحانه أن يبلغ اليهم
 ما يوحى إليه ولا تنفست إلى استهزائهم وغرورهم فإن
 ضرر الاحتمال أهون من كتم شيء من الوحي ،
 والإنسان إذا علم أن كل واحد من طر في الفعل والترك
 مستعمل على ضرر عظيم ثم علم أن الضرر في سبب
 الترك أعظم سهل عليه الإقدام على الفعل ، فضائق
 بتارك اشكال ، والنسب لما فيه من التفسير على أن ضيق
 صدر الرسول عابر عارض غير نابت ، وبذلك ما يفيد
 اسم الفاعل حين يؤفقت به ، والرسول عابر عارض
 غير نابت ، وذلك ما يفيد اسم الفاعل حين يوصف
 به ، والرسول كان أوسع الناس صدرًا وأعظمهم
 احتمالا .

ومن العدول عن فعمل إلى فاعل قول الشاعر :

(34) سورة قاطر ، الآية 3

(35) — سورة الأنعام ، الآية 95

(36) — معترك الاقران في اعجاز القرآن للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، القسم الثالث ص 614
 بتحقيق علي محمد الجاوي .

(37) — سورة الأعراف ، الآية 64 .

(38) — عَمِينَ جمع هم ، صفة مشبهة : لكن تصرف فيه بحذف لامه كقاضي إذا جمع ، فاصيله عَمِينَ ،
 ياءين الأولى مكسورة والثانية سائلة . حذف الأولى تخفيفاً على حد قوله :

واحذف من المقصور في جمع على

قال البيت : يقال هم إذا كان أعمى البصيرة غير عارف بأمره وأعمى إذا فقد بصره ، . وقيل هم
 وأعمى بمعنى كخضر وأخضر ، وقال بعضهم : هم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كقصر
 وضيق . ولو أريد الحدوث لقل عام كما يقال فارح وضائق ، وقد قرئ قوماً عَمِينَ .

(39) — سورة هود ، الآية 12

باعتزلة أمية اللثيم فهاهنا
بها وكرام الناس بساد شخصيتها

فالسمن لا يدوم . والهزال لا يدوم . وانها
بتجاوزان كما يدرك الرواة انه اجتماع الكسائي وأبو
يوسف القاضي عند الرشيد . فجعل أبو يوسف يدوم
التجو ويسخر منه . فقال له الكسائي : وقد أراد أن
يعلم فضل التجو : ما تقول في رجل قال لرجل : انما
قاتل غلامك ؟ وقيل له الآخر : انما قاتل غلامك . ايها
كتب تأخذ به ؟ قال أبو يوسف : أخذتهما جميعا .
فقال له الرشيد : أخطأت وكان له علم بالعربية .
فاستجبا . وقال : كيف ذلك ؟ قال الذي يؤخذ بقتل
الغلام هو الذي قال : انما قاتل غلامك بالاضافة . لأنه
فعل ماض : واما الذي قال : انما قاتل غلامك
بالنصب فلا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد كما قال
الله عز وجل : « ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
فدأ » . (40)

ان من تطلع من العلم ويخرج فيه : وأزعل
في البحث وأمر في التفتيش : واستعطي دحائل
العربية . واستجلى غوايبها . وجلس عابها .
واستخرج مخباتها وجد لها لغة المعاني والمباني
مبا . وألقى أن الرفيع عنده . والنصب بمنزلة . وللج
مقصده وجره . وإذا صبح أن يقرأ نص ما بالوجوه
الثلاثة فليس ذلك للخرفة والتزييق أوذن المساحيق
والنقش والزينة . وأما هو وراء المعنى وجلاء
المقصد . وبعد لأحباب الفهم والتأويل .

رووا أن الرشيد كتب ليلة إلى أبي يوسف :
أفتأ حاطك الله في قول القائل :

فإن ترفقي يا فتى فالرفق أين
وإن تحرفي يا فتى فالحرف أين

ثالث طلاق والطلاق عزيمة
ثلاثا ومن يخرق اعتق وأظلم

فإن ثلاثا في البيت تشدد بالرفع والنصب فكأن
تطلق على الحالين ؟ فانطلق أبو يوسف إلى الكسائي

يستقله فقال : أما من تشدد البيت بالرفع فقد ظلمها
وأحدة وأنها أن الطلاق لا يكون إلا ثلاثا . واما من
تشدد بالنصب فقد ظلمها وأنها : لأنه قال لها :
أنت طالق ثلاثا .

ومراد الكسائي أن الذي قصد الطلاق به في
حال الرفع هو : أنت طلاق . واما قوله : والطلاق
عزيمة ثلاث فكلام آخر أراد به أن الطلاق الذي
بين الزوج به هو الثلاث . واما على رواية النصب
فإن الذي قصد الطلاق به هو أنت طالق ثلاثا . واما جملة :
والطلاق عزيمة فمترجمة (41) -

أما ابن هشام فيقول : إن الضوابط أن كلاما
الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة .
أما الرفع فلأن في الطلاق أما لمجانز الجنس كما
تقول « زيد الرجل » أي هو الرجل المعتد به واما
للمعتد الذكرى مثلها في (فعسى قرعون الرسول) أي
وهذا الطلاق المذكور عزيمة ثلاث . ولا تكون للجنس
الحقيقي . لئلا يلزم الاختيار عن العام بالخاص كما
يقال « الحيوان النسان » وذلك باطل . إذ ليس كل
حيوان انسانا . ولا كل طلاق عزيمة ولا ثلاثا . فليس
العزيمة يقع الثلاث : وعلى الجنسية يقع واحدة كما
قال الكسائي . واما النصب فلأنه محتمل لأن يكون
على المفعول المطلق . وحينئذ يقتضى وقوع الطلاق
الثلاث : إذا المعنى فانت طالق ثلاثا . ثم اعترض
بينهما بقوله : والطلاق عزيمة . ولأن يكون حالا من
الضمير المستتر في عزيمة . وحينئذ لا يلزم وقوع
الثلاث : لأن المعنى والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثا . فأنها
يقع ما أراد . هذا ما يقتضيه معنى هذا اللفظ مع قلع
الخبر عن شيء آخر . وأما الذي أراد هذا الشاعر
المعنى فهو الثلاث لقوله بعد :

فبينني بها أن كنت غير رقيقة
وما لأشئ بعد الثلاث مقدم (42)

ومما يدل على شرف العربية وعلو قدرها .
لألف المعاني على اختلاف الأصول والمباني وهي
باب حسن كثير المنفعة . فقد تجد المعنى الواحد

(40) سورة الكهف : الآية 23

(41) - من قصص اللغة والتجو : لعلي النخعي ناصف . ج 10 - 11 .

(42) - معني البيت عن كتب الاعاريب . لجعل الدين ابن هشام الأنصاري ج 1 . ص 54 - 55 . حققه
وخرج شواهد الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . وراجع سعيد الأفغاني .

اسماء كثيرة ، فتمتدح عن أصل كل اسم منها ، فتجده
مقتضى المعنى الى صاحبه . نحو خلق الانسان من
خلقت الشيء اى ملسته . ومنه خذ خلقاء للمساء
ومعناها ان خلق الانسان هو ما قدر له وثبت عليه ،
فكانه امر قد استقر وزال عنه الشك . وكالطبيعة
عن طبعته الشيء اى قرينه على امر ثبت عليه ،
كما الشئ كالبرهم والبرهان . فطوره اشكاله فلا
يمكنه انصرافه عنها ولا انتقاله . بل يظل كما ختم
بغايته بعظمه صفة الرسمية وعدم التردد وتناقض قبول
التأويل فيما يقصد اليه . والى هذا يشجع قول الله
سبحانه حكاية عن قري توح وعاد ولوط . وهنود
وشعوب : « ذلك القرى نقص عليك من قبلنا وما كذبوا من
قبل كذلك يطع الله على قلوب الكافرين » (43) وقول
الرسول عليه السلام : « من ترك ثلاث جمع من غير
عذر طبع الله على قلبه » (44) اى ختم عليه وحشاه
ومنع الطاعة . قال ساجد : الرين اسير من الطبع
والطبع اسير من الافعال . والافعال اسير من ذلك
كله .

ومن ذلك السجدة بمعنى السكون . وذلك ان
خلق الانسان امر قد سكن اليه واستقر عليه . وهم
يقولون فى مدح الرجل : فلان يرجع الى مروه
ويخلفه الى كرم . ويأوي الى سداد وثقة . والايوة انما
يكون الى المنزل طلبا للهدوء والسكون . (45)

والمرأة سميت كذلك لانها من امرئ اخذت .
ولاجل ما تحمله للرجل من تطايب النفس . واستباضة
للمباشرة . وتهدئة للعاطفة . وللرحمة والمودة التى
جعلها الله بين الجنين : « وقال الرب الاله لا يحسن
ان يكون الانسان وحده فاصنع له عونا بازائه ، وحيل
الرب الاله من الارض جميع حيوانات البرية وجميع
طير السماء وانى بها آدم ليرى ما لا يسميها فكل ما
سمي به آدم من نفس حية فهو اسمته .
فدبنا آدم جميع البهائم وطيور
السماء وجميع وحش الصحراء باسماء . واما آدم فلم

يوجد له عون بازائه ، فاصنع الرب الاله شيانا على
آدم فنام فاستل احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم
وربى الرب الاله الصلح التى اخذها من آدم امرأة
فانى بها آدم . فقال آدم ما هذه المرة عظم من عظامي
ولحم من لحمي . هذه تسمى امرأة لانها من اسري
اخذت . ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امراته
فيصيران جسدا واحدا » . (46)

ومن وراء هذا ما لللفظ فيه اظهر . والحكمة
التي واسعة . وذلك انه يصيغون الى اختيار الحروف
وتشبيه امواتها بالاحداث المعبر عنها بها . وتقديم
ما يشاهي اول الحدث . وتأخير ما يشاهي آخره .
وتوسيط ما يشاهي اوسطه . سوقا للحروف على
سبب المعنى المقصود والمقروض بالمطابقة . (47)
والمعنى يصطفي الصور المحققة له من بين البوادى
اليدنية التي هي اكثر اصطلاحا لوجه نظر الانسان
فى الوجود فيتحذ الاشارات الموافقة لهذه البوادى
والمتطوية على امتداد مشترك معها . فيصنع منها
الكلمات . وهذه تصبح بدنا له . ولما كانت الحياة تنمو
بتجاوب بين المعنى وتجلياته . بين الملا الاعلى
والطبيعة . فالصور التى تتجلى بها هذه الطبيعة
للانسان هي على الخصوص مرتبة مما أدى الى تفرع
الصور الصوتية ونموها بتداعبها مع الصور المرئية .
فالكلمة تحقق بنائها بنسبة ما تشترك هذه الصور
الصوتية المرئية بالمداد الاصيل . مداد البوادى التى
اختارها الحياة بدنا لها . (48)

هذا ومن الامور التى لا تخالفها شبهة . ولا
تلازمها غمة . ولا يعجزها خفاء كون اللغة العربية
رابطة عامة لعدد عديد من الخلائق فى البرايا قسما
المشارك والمقارب . فهى اللغة اليومية على شكل
او آخر من اشكالها المنطوقة لما يزيد على ثمانين
مليون من الناس . وهى بالاضافة الى ذلك اللغة
الدينية لما يزيد على اربعمائة مليون من المسلمين
ناطقين بالعربية اولا . معتقدين من الاطلس حتى
جزر الهند . ومن حدود سيبيريا حتى الاكوادور .

(43) - سورة الاعراف ، الآية 101 .

(44) - لسان العرب للعلامة ابن منظور مادة « طبع » .

(45) - الخصائص لابي الفتح عثمان بن جنى ج 2 ص 162 تحقيق محمد علي النجار .

(46) - سفر التكوين . الأصحاح الثاني : الاعداد 19 - 24 .

(47) - الخصائص لابي الفتح عثمان بن جنى ج 2 ص 162 بتحقيق محمد علي النجار .

(48) - دكي الارسوزي : العبقرية العربية فى لسانها ص 85 . المجلد الاول من المؤلفات الكاملة .

وتتميز بنيتها بديداً بدقة مورفولوجية وسنخية
مدهشة تبه هندسية : وهي بذلك فائقة تفكير
المنهجي لعقلا 149 .

إنها لغة جامعة يقرأها السرب ويكتبونها
ويستعملون اليها من الخليج العربي إلى البحر المتوسط
الاطلسي : يصغي الكويتي في أقصى الشرق العربي
إلى إذاعة الرياض في أقصى الغرب : كما يصغي إلى
إذاعة الكويت نفسها : ويفهم الرياضي المغربي إذاعة
الكويت الشرقية فيبته لإذاعته المغربية : بل أن
المسلم الضيفي المتعلم أو البخاري ليدخل المقرب
العربي فيفهم عن علمائه ويقنعون عنه بهذه العربية
الفصحى التي اتسع انتشارها ثلاثة عشر قرناً فكانت
إلى اليوم أقرب إلى اللغات العالمية : وليس بعيد
اليوم الذي تصبح فيه فعلاً إحدى اللغات
العالمية . (50)

فالعربية أجمية عظمى ونسب شالك : ورحمة
ساسة للامة العربية : ضلتها من أوكد الصلوات وأوتغها .
وكون حرمها من أعظم الحرم وأجل الدسم يقتبر من
بدائنة العقول : والأدلة الواضحة الملزمة : أنها
مفتاح العلوم : ومصباح العلوم : وأمة من آيات الله
في أذكاه المشاعر : وشجدة القرائح : وتصفيقة
التفوس : وتلطيف الإحساس : وإيقاظ الفؤاد :
وهي واسطة لإدراك ما يجده العربي : ويقع تحت
سيفه وبصره : يرسل صاحبها أفكاره إلى بشي
جلده فيستجيبون أوارد : ولا يجدون في أنفسهم
عائقاً يحجب عن الطالبين مراده : بخلاف من تنكروا
لها : وقصروا في توجيه تجربها : وتوانوا عن تعلمها
وحرف الهمه إليها : وتخاذل عنهم عن مداستها
ودراستها فتقاعدوا بالتالي عن التملئ بجمالها :
وقصروا دهرهم متبطلين قرائت نفوسهم عن المكام :
وخاسروا بالهمل المسؤول

ولا بعدى لئلاء علم بين أفراد أمة ونشر
للتعليم بين بنينا غير استعمال لغتها : فإن من تنكر
للقته كفر بنعمة من أعظم نعم الله تعالى : ولقد
تفقه بيجر أصوله وقصوله : وقطع الصلة بينه
وبين آبائه وأجداده : وما يسمى باللغات الميتة

اليوم أنها تم وعبقها بذلك لأن أهلنا هجروها وتبدوها
وراء ظهورهم : وأعرضوا عنها : وانكروا على زاد
غيرهم فطال جوعهم .

إن اللغة العربية أقدم اللغات المكتوبة المحكية :
نحن لا نعرب لغة كانت قبلها : وسما تم استمرت منها
مقروءة مكتوبة كما كانت قبل ألف وخمسمائة عام
أو أكثر : خاطب عشرة جيوشه على منصة الصف
وخمسمائة سنة فطال لها :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
سبي وبني الهلد نطر من دمي

فوددت قبل السيف لاله
لمعت كإفك نغرك التسم

إن عترة كان بتوبا لا عهد له بخضارة مثل
خضارتنا ولا قريباتنا : ومع ذلك فإن شعره يجري
في الفاظ وتراكيب وتشبيه واستعارات كتلك التي
تتكلم بها نحن اليوم ونفاهم : لم يتبدل فيها أرباب ولم
يشعر فيها تركيب ولا اختلاف فيها الصيغ ولا بعدد
بنينا وبينها الشقة . (51)

وإن من أطلع على الفائز من كلام القرو
واستقرى ما جاء بعدهم من كلام المترسلين من فحول
علماء الادب : وتدبر ما لهم في أساليب اللفظ من
الاساع والإبداع واللامع بقراب اللفظ لإبراز
صور المعاني جاسرة ثور قناع : أيقن أن هذه اللغة
قد انفردت عن سائر اللغات فصاحة وبيانا كما انفرد
أربابها في مذهب البلاغة تبسطا وافتنانا : وحسن
النظر أن يسرح طرفه في يلق يتقواها : ويتأمل ما
جاء من البدائع في محكم فصلا . . . فإنه يجد
هناك ما يروع فؤاد عجبايل يملك حواسه طربا : من
الفاظ كأنها قطع النير إلا أنها الشفق طواعية وليانا :
ومعان كأنها أخذ السحر لا أنها الصبح وخروجا
وبانا : بل يتأمل بين يديه رياضاً مديحة الأزهار :
وجنانا تجري من تحتها الأنهار : قد صاحت بلايل
الفصاحة على أفنان خيالها الضافية الفلال : ولاحت
وجود الملاحة في غدران مناهلها الصافية الزلال :
وفاغتت سمات مناهلها العذبة ثور قواغي الفاظها

(Grammaire de l'Arabe par Gérard Lecomte P. 5) (49)

من حاضر اللغة العربية للاستاذ متعب الاقلاي عن . 159 . (50)

القونية الفصحى للدكتور عيسى فروح 186 - 187 . (51)

العبرية قاومت عن بيض لاني رطبة ، تنزوي
بحباتك القرائد العبرية بل بحبك الفراخ البرية . (52)

ان لغة هذا وصفها ، وهذا دينها ، وحالها
لتسرح على كل عاقل ان ينفض بها ، وعلى كل
أريب ان يرفع لواءها ، وتلزم كل قاضل ان يطن من
قدرها ، ذلك ان الدفاع عنها والمنافعة عين
ساحتها لا يفلان عن أي دفاع عما خلفه الأبناء
والاجداد .

ولقد كان لظلم الجحاح الغربي عن العالم
العربي فضل كبير في حفظ الكيان العربي ففسي
الوقت الذي تمرق فيه أديم الامة العبرية ، وليست
جديتها ، واستحالت أقطارها الشاسعة ، وممالكها
الواسعة ، الى دويلات صغيرة وإمارات ضيقة متدعة
البنان ، اعتدائية الأركان ، وفي الوقت الذي أخاع
فيه العالم العربي سيادته وفقد حرته ، ولم يفلت منه
من السيطرة الأجنبية غير المملكة المغربية فبال
هؤلاء الظلماء للسان العرب نقسا ، وأبقوا لثقافتهم
رمقا ، وكانوا دوما في الظليعة . (53) وهل يمكن
ذكر العربية وآدابها دون ان يذكر ابن مالك وابن
أجروم ، وابن هاني ، وابن زيدون ، وابن سيده ، وابن
البرخل ، ولسان الدين بن الخطيب ، والفتح بن
خاقان ، وابن سعيد ، وابن هشام ، والفشتالي ،
والقنري ، وغيرهم ممن يطول تعدادهم من كل عالم
ليب وشاعر أديب ، وسافر في مختلف العلوم بهم
مصيب . (54)

ان العاقل من استفاد من تجارب عدوه ، وكان
للعدي المكاتم أشد خذرا منه للعدو المبارز ، والراي
إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد
الكثير من الجنود ، والغالب بالشر مفلوحيه ، والمهر
لا يلتذ منا كان عدوه باقيا كما لا يجد القيم طعام
النون والطعام حتى يبرا ، والماء وإن أطيل أسخائه ،
ليس يبالعه ذلك من أطفاء النار إذا صب عليه ،
واللبن والمكر أنكى في العدو من الفظاظة والمكابرة ،
والنار مع خربها لا تحرق من الشجر إلا ما ظهر ، والماء

مع يربها ، ولينه يستأصلها ، ومجانبة المرء عدوه في
العشرة أحد الاعوان عليه عند الفرصة ، تلك خدع
لجدها عند اليهود الذين عرفوا طريق الحياة والقوة
فسلكوه ، وخلقوا بأصرارهم وقوة ، وفيهم لغة لم يكن
لها وجود ملحوظ قبل خمسين سنة ، كانوا
يعلمون مطلع هذا القرن في القارات الخمس ، تتكلم
جالياتهم لغات لا حصر لها ، عرف علماءهم ان لا
سبيل الى جمع كلمتهم الا بلغة جامعة ، فأخذوا
القبس جيل بعد جيل بأحياء العبرية القديمة الميتة
يتعلمونها الى جانب لغة الشعب الذي ينزلون ببلاده ،
فكان صميمهم هذا الذي بدا للناس حينئذ نوعا من
الحمود والحنون وإضاعة الوقت هو الذي خلق منهم
امة ودولة وجامعة انتمت لها عقرا ، وسكنا من أمر
بلاد الناس ، الناس الذين حياهم الله لغة جامعة
لا مثل لها في قوتها ورسوخها في الزمن والمكان يسكن
جميع لغات الأرض ، وليس في الأمر عجب ، لقد
آمن اليهود بأهدافهم وبلغتهم الميتة فاحيوها ، ولهم
يدعوا فرصة لشكك أو مستهزي ، أو مره قنجرها ،
وتهاولوا بلفتنا الحية القوية فأهملنا السهر عليها
ومياتنا فندس إليها الصنوس والعائون فحصرنا
من حيث أجمع اليهود ، فاقطعوا من أرضنا النفس
نقتا عنها أغل جزء منها ، وأغبروه ان اليهود انشاوا
بأحيائهم لفتهم الميتة دولة من العدم ، وأضعفنا
بأغضائنا عن عيت الغائبين بلفتنا أمة من الوجود ،
ولقد تنبأ مؤرخ بقا : قعنا فيه قبل أربعين عاما ، ولم
يسن نبوءته الا على الحفاظ على اللغة .

قال المرحوم محمد كرد علي في خطط الشام :
« احتفل الصهيونيون سنة 1343 هـ ،
1924 - 1925 م ، بإنشاء جامعتهم العبرية في
القدس يملكون العلوم باللغة العبرانية ، ولا تمضي
خمس عشرة سنة حتى تبعث الديانة اليهودية والمدنية
اليهودية من مراقدها » . (55)

ان اللغة هي الفكر وطريق الإنسان الى ادراك
الكون والوجود ، فتفكيك المرء يتم بواسطة اللغة ،

52 - من مقدمة « نجمة الرائد وشريعة الوارد في المترادف والمقارن » تأليف الشيخ إبراهيم اليازجي ،

53 - من خطاب القاد الحسين الثاني في القاهرة بالجانبية البصرية عندما قد جلالته الدكتوراه

الفخرية . يوم الأحد 11 ذي القعدة 1384 - 14 مارس 1965 ، أبحاث امة ج 10 ص 93

54 - نفس المرجع ج 10 ص 91 .

55 - من حاضر اللغة العربية للاستاذ سعيد الأفغاني ، ص 172

وإدراكه للأشياء يحدث بواسطة اللغة ، أنها الخيل المعنوي لتصوير الأشياء ، بها يتم التصور وغيرها تنقل لنا تجارب الحياة وخبرات الإنسانية التي تشكل اللغة عنصرًا من عناصرها الكبرى ، فإذا أردنا أن تكون في مجتمعنا شجرة طيلاً أملاً ثابتاً وفريعاً في السماء يأتي أكله كل حين ، واختارنا لأنفسنا أن تكون عناصر جيدة في مجتمعنا وبلادنا ، ومنهم من يبالى في بناء صرح الحضارة الإنسانية ، يوجب علينا العناية بلغتنا التي بها تنوارت أمجادنا وتراثنا وتاريخنا ، أن أعظم ما تحتاج إليه أمة من الأمم لكي يرتقي مجتمعيها ويحسن سلوك أبنائها ، ويقبل بينهم أمراض الصبغة والآنحلال ونماد الأخلاق ، هو أن تعمل على ترقية لغتها وتفتيتها من الشؤون والرسائل ، وتعهداتها تهديد الفلاح كدأب المفسر لجلقة وزوجه ، بأن تضع الكلمات الجديدة التي تزيد الاحساس بالفضائل ، وتدعو الناس إلى سبل الخير وطرق الرشاد .

سيادة الأمة تتطلب سيادة اللغة القومية ، واللغة القومية لا تستورد من الخارج ، هي امتداد من تسميم الأمة ، والأمة الفقية تحافظ على عتاف لسانها إذا أرادت أن يكون لها تاريخ مجيد ، أن اللغة ليست شيئاً جامداً ، هي المستودع الأكبر ، والأمين للتراث الاجتماعي ، وهي أيضاً العامل الأوضح لتشر هذا التراث بصورة مشتركة بين مختلف الشعوب الشعب ، لذا كانت لغة ضم أفراد الأمة بسطياً لبعض ، بها يتسلم الجيل الطالع من الجيل المتوارث نظرتة في الإنسان والفليسة ، والخالق فتكون همزة وصل بين الأجيال . (56)

وهل يدور في فهم ، أو يصدق في تصبؤ ، قيام كيان الأمة أو تهضة لها ، أنها لا تستوي على سرفها دون أن تكون لها لغتها التي تعبر عن أقرانها وآلامها ، وسراها وأسرانها ، فاللغة سلوك ، وهي ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار أو مجرد رمز لها يدور في الأدهان ، بل هي تلك الوسيلة التي امتزجت بمقولاتنا ونفوسنا ، والتي بها تميل الإنسان عن الحيوان ، ونحن ندين لها بتلك القوة التي ساعدتنا

على التعاون مع أفاقنا ، ومنحتمنا السيطرة على سطوات أقوى من جسمنا . (57)

والن المقارنة حينما اعتنقوا الإسلام اعتنقوه طوعاً واختياراً ، ورغى واستبشروا إذ حمل اليهم من مكارم الأخلاق وسليم المبادئ وصحيح الأحكام وقوي النظم ما ساعدوا به أفراداً وجماعات ، وأقبلوا على العربية لغة القرآن يتدارسونها ، وعلمى فنونها بتعليمها ويعلمونها ، ليتوا أن لسوا فيها من المرونة والافتقار على التعبير عن أصدى الصور العادية ، والخلجات النفسية ، واستمسكوا بها لساناً قومياً مميذاً ، وأجروها حياً مكيذاً ، ولما دلفت اليهم من المشرق ثقافة الإسلام وعلوم العربية ومعارف الأمم المتقدمة استوعبوها وأقتنوها ، وتناولوها بأرائهم وأفهامهم ، فأكملوا ناقصها ، وأوضحوا غامضها ، وفصلوا مجملها وهدبوا حوائجها ، ورادوا ببحثهم وجدالهم وتخليهم واقتراضهم في غناها وثروتها ، ولم يكتفوا بذلك ، بل أسفروا عليها من حلتهم وطبعها بطابعهم حتى أصبحت لهم مدارس مذكورة ، ومذاهب ماثورة في علوم الدين وفنون اللغة والمنطق والفلسفة والفن والرياضيات والتاريخ والفنون التسمية ، وحتى عازت جامعات فاس ، ومراكش ، وسبتة ، ومغاهيد الأندلس التي عاشت طيلة عصورها الإسلامية تحت حكم المغرب أو في كتفه تضاهي جامعات أقطار الشرق العربي ومغاهده ، وهل يمكن أن يذكر أعلام فكرنا العربي وتراثنا الإسلامي دون أن يذكر من بينهم أو في طلبتهم الحافظ الجذلي ابن حزم ، والمؤرخ ابن خلدون ، والفيلسوف ابن رشد ، والطبيب ابن زهر ، والرياضي ابن البناء ، والجغرافي الإدريسي ، والمرحالة ابن بطوطة ، والنبات القيساني ، والمفسر أبو حيان ، والمحدث ابن رشد ، والفقيه عياض (58)

أن استقلال الأمة موقوف على حفظ لغتها لأن الثانية عنوان الأولى ، وأصاحتها تسليم الذات ، وتسميم الفساد بين الأمام ، فإن من جعل لغة القرآن جهل مبادئ الدين ، وكان معول خراب للإسلام والمسلمين ، وألست أفكاره الضعفة التي تسويد

(56) - في فلسفة اللغة لكمال يوسف الخاج ص 140 و 178 .

(57) - اللغة بين القومية والعالمية للدكتور إبراهيم أنيس . ص 102 .

(58) - من خطاب القاء الحسن الثاني في القاهرة بالجامعة المصرية عندها قلد جلالة الدكتوراه الفخرية ، يوم الأحد 11 ذي القعدة 1384-14 مارس 1965 ، البعثات ج 10 ، ص 90-91

القوضى والاخلال بالثظام وهو فى هذه الحال كالخف
المنطلوعة او الساعد الاجنح :

ليسان الفتى نصف ونصف فؤاده

ولم يبق الا صورة التخم والندم

ما ما يظن ان به بعض الناس ويرعون به حسن
تصور العربية عن مسيرة العلم وعما شاة الفكر
فما هو الا تكاء وتصديه : وجاهل مركب : وعنى غنى
الحق : وعقلية غنية تبدي : ونسب قبيح : يقول
المفرضيون : والجهل هنا جهل بالعربية تفسيرها :
وانعدام لحياء الذهن وقدامة : وضعف ادراك : وبقاء
فى العس : ونخب لى الفؤاد ومانعة فى الفطنة :
وظلمة فى البصيرة : وغرض يتعسر اخفاؤه سم عن
حيث فى النفس وسوء فى البنية :

ومن يك ذاق مر مرى

يجد مسيرا به الماء الزلالا

ان الاعتراض الذى لا ينى القائلون بقصور العربية

عن الاستجابة لمعطيات الحضارة الحديثة :
والمكتشفات العلمية الكبيرة للام بعيد عن كبد
الصواب : ضخم الظاهر حقير المرمى لا يؤيده الا
الوهل المتروك الفؤاد :

وبما مثلته الا كفسارغ يندق

خلى من المعنى ولكن يفرق

ان اللغة الامة كالظل للانسان بطول ويقصر بطول
وقصر قامته : يقول جاك بيرك : (59) « لقد روذنى
اللغة العربية بكثير من المعاني والنقاط التي عجز
تحليل اللغات الاخرى عن التقاطها بشكل مباشر كما
هو الحال فى اللغة العربية ... ولهذا السبب تمكنت
شخصيا من التحدث بها بطلاقة » (60) . وان من
حكمة اللغة العربية الشريفة اللطيفة ومن دقتها

وارهاقها وورقها ما يملك جانبها الفكر حتى يكاد
يطلع به امام غارة السحر : واذكر يوما ذقت خطير
لى خطر مما نحن بسبيله فقلت : لو اقام انسان
على هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه الا بهذا
الموضع لما كان مفيونا فيه ولا يمتنع الخط منه :
ولا المعبادة به : وذلك قول الله عز اسمه : « ولا تطلع
من افقنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا » . ولن يخلو « افقنا » هذا من ان يكون حسن
باب افقت التسمية اى صافته ووافقتة كذلك كقوله :

واصبح الخلاء من ذات البرق

اى صادفها هاتجة الشيا وقوله :

اثوى وقصر ليله ليروا

تمضى واخلف من قتيلة موعدا

اى صادفته علقا : وقوله :

اسم دعاء اذ انتى تخشى

بأخونا وتسمى اولينا

اى صادف يوما ضمنا : وقول الآخر :

قاسمت غميرا واعيت

من الجود والمجد يوم القهار

اى صادفته اعمى : واما قول من قال ان معنى
اغفلنا قلبه : تنفنا وحسدنا فليس واردا : اذ كيف
يجمع الله قلوب عباده من ذكره ويصدها عنه وهو
الذى يقول : « ولا يرقى لعبادة الكفر » والاعتراف
بالعم يكون بذكر الحتم : ولو كان الامر كذلك لوجب
ان يكون التعلق عليه بالقاء دون الاول : وان يقال :
ولا تطلع من افقنا قلبه عن ذكرنا ناتع هواه : وليكون
الاول : على هذا علة للثاني والثاني مسببا عن الاول :
ونظاوعا له كقولك : اعطينته فاحذا : وسأله
فيل : لما كان الاخذ مسببا عن السطية : والبذل

(59) - ولد جالك بيرك فى الجزائر سنة 1910 : وعاش سنوات طويلة فى شمال افريقيا والشرق :
وهو من مدرسى التاريخ الاجتماعى للاسلام المعاصر فى (كوليج دي فرانكس ، ومدير للمدرسة
التطبيقية للدراسات العليا : وله عدد كبير من المؤلفات فى علم الاحتجاج والدراسات الاسلافية :
منها : « العرب بين الامس والى الغدا » و « المغرب بين حروب » . لى فسي كلية آداب
جامعة القاهرة محاضرة عن بنى هلال : ودرس عليه عدد من طلبة العرب . وهو الى جانب ذلك
وفوق ذلك خبير فى الغرب الصدوق : خبير اقبيهم وسمع فيها ودرس فحنياهم دراسة العالم وعرف
احوالهم عبرة المبدق : (مجلة الفكر المعاصر العدد 51 مايو 1969)

(60) - الآداب : العدد السادس : يونيو 1972 من 120 .

مفسرنا عن السؤال ، وهذا موضع من مواضع الغاء لا الواو ، ألا ترى أنك إنما تقول جذبتني فأنجذب ولا تقول وأنجذب إذا جعلت الثاني مسببا عسبن الاول ، وتقول كسرتني فأنكسر واستخبرته فأنخبسر ، كله بالفاء ، فمجيء قوله تعالى : « واتبع هواه » بالواو دليل على أن الثاني ليس مسببا عن الاول ، فالمعنى هنا معنى صرفي من باب مصادفة الشيء على صفة ، أي صادفناه قافلا ، وإذا صادفنا قافلا فقد غفلنا لا محالة ، فكأنه والله أعلم : ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه لو كان أمره فرطا أي لا تطلع من من فعل كذا وفعل كذا ، وإذا صح هذا ثبت به لنا أصل شريف يعرفه من يعرفه ، ولولا ما تعطيله العربية صاحبها من قوة النفس وغلبة الفكر لكان هذا الموضع ونحوه مجوزا عليه غير ما يورد له (62) .

وان دل هذا على شيء فعلي ما تتميز به العربية من الدقة ، وما تنفرد به من الضبط ، وتحسري الألفاظ موضع كل شيء مهما كان جزئيا في موضعه . فموضع فاء مكان وأوقد يقلب المعنى رأسا على عقب ، وموضع كلمة مكان أخرى قد يخل بالمعنى فيصير الكلام لغوا من القول أو محض هراء . وقد نصنا قال كثيرون بن عمرو الغتاني : « الالتقاط اجساد والمعاني أرواح » وإنما تراها تبين القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخر ، أو أخرت منها مقدما السدت الضرورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل ، لتحولت الخلقة وتغيرت الحالة .

وإذا كان الأخذ مسببا عن المطفية ، واليسأل مسببا عن السؤال ، فإن العربية أخذت وأعطت وأقرضت واستقرضت ، وتلك سنة الله في كل كان ، فقد أقرضت اللغات الأوروبية وغيرها كالفارسية كثيرا من الاصطلاحات العلمية والفلسفية والتجارية والمدنية ، بل أن الفارسية استعارت حتى النظام الأبجدي والحروف الأبجدية العربية ، وبها تكتب الآن وربما عاد التراث أيضا إلى استعمال الحروف العربية لما يقال عنهم اليوم بن تنبههم للإسلام

والرجوع إلى مبادئه ، ذلك ما فعلته العربية في فترة معينة من تاريخها ، ولكن ذلك لم يمنعها أن تستعير كثيرا من الألفاظ اليونانية والفارسية والهندية القديمة والأوربية الحديثة ، فهي لم تعش في عزلة عن أترابها ، ولم تكتف بآن تعيش منطوية على قرأتها ، بل لم تستطع من أن تفرد كاداة للفرد حتى قبلت أن تتفاضل وتساير حضارات ولغات أخرى ، ونحن إذ نريد أن نرجع إلى الأصل وخلق علماء بكل معنى الكلمة ليريد أن يجعل من علمائنا علماء مشاركين سواء في الهند أو اللغة العربية أو الشريعة أو الآداب ، ومشاركين كذلك حتى في المنفعة العالمية التي يحوزها العالم بجانبهم حتى لا يبقوا جاثمين عنا . (63)

ولا يخفى أن زماننا هذا الذي نعيش فيه اليوم ، تقاربت فيه الأوطان وانزلت القارات ، بفضل وسائل النقل كالطائرات والقطارات ، وطلع علينا المديع بلغات لم تكن اسمع بها ولم تكن تصور حتى وجودها ، وازدادت الاتصالات الهاتفية والبرقية بين أرجاء العالم ، وتباينت المصالح الدولية وتضخم عدد المنظمات الدولية والإقليمية حتى بلغت أكثر من 1500 منظمة لها ما يقرب من 30 ألف فرع محلي في أرجاء العالم المختلفة ، وتطورت التجارة الدولية تطورا هائلا ، وأصبح من الخرافة القول بالانكفاء اللاني ولم يعد بإمكان أمة من الأمم أن تعيش بمعزلة عن المحيط الدولي ، بل افحت الصادرات والواردات شريان الحياة في كل دولة ، وغدت المراسلات التجارية تفوق بكميتها المراسلات الودية كلها . (64)

وقد أدى كل ذلك وغيره كثير إلى الاحتكاك بين الأمم والشعوب وأصبحت معرفة اللغات الأجنبية فرض عين على كل من أراد لنفسه ثقافة حديثة صحيحة ، وصار من المستحيل على العلماء أن يواصلوا أبحاثهم ما لم يتقنوا عددا من اللغات الأجنبية حتى قال أحدهم : « لقد أصبح من الواجب علينا أن نتعلم من قراءة عشر أو عشرين لغة أجنبية قبل

161 - من الآية 28 من سورة الكهف .

162 - الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ج 3 ص 254 - 255 بتحقيق محمد علي التجار .

163 - من خطاب القاه الحسن الثاني بمناسبة اجتماع لجنة إصلاح التعليم الأصيل ، يوم الأربعاء 10 يناير 1973 - 5 ذي الحجة 1392 .

أبحاث أمة ج 18 - ص 20 .

164 - المناهل ، العدد الثالث ، السنة الثانية يونيو 1975 ص 246 - 247

ان لبدأ بأي بحث علمي او فني دابة مساهمة حقيقية في التطور التقني » 165

ان معارفنا اليوم في الاقتصاد والقانون والعلوم والآداب وغير ذلك من حقول المعرفة انما يرجع الفضل في نقلها اليها الى اولئك الذين اتقنوا العربية اولا ثم لغات اجنبية تقبوا عنها ما لذ وطاب ، من معارف الاعم ومناورات التصوب ، عظيم المنافع عظيم ، والمعرفة بشرية شاملة ، وتغل العلوم والمعارف من مكان الى آخر كالنقل الهواء من موضع الى غيره بالانتشار والانسلاخ سائرا من كل حدود جغرافية السور ، وكأنه نقل غمامات الغيث من مشرق السور مقرب ، ومن شمال الى جنوب ، لا ترابي اتزل على قوم من هذا القبيل ام من ذلك ، وهذا الطابع البشري الانساني الشامل الذي يميز العلوم والمعارف قد اقتضى ان يكون بين اللسان واللسان تفاهم وتجاوب ، وان يفهم العالم العربي مثلاً ما يقوله العالم الغربي - 166

واللغة العربية لم تصبح لغة عالمية الا بعد ان تعلم الغامض العرب اللغات الاجنبية التي بها ترجموا الى العربية كتب الفلاسفة والمهندسين والجيوسويين والاجلاء الروم منيهم والفرس واليونان وغيرهم - (67)

ولا يعزب عن البال ان كان من حث الرسول لأصحابه على تعلم اللغات الاجنبية لتفهيمهم دعاة ورسلا الى الملوك والامراء خارج الجزيرة العربية ، فهذا زيد بن ثابت أقرض الصحابة بأمره الرسول تعلم العبرية وعرفه السريالية ليقرأ له ما يراء من الكتب باللغتين ، وزيادة على حسن كتابته بالعربية ، وهذا سلمان الفارسي الذي اشار على الرسول بحفر الخندق كان يعرف الفارسية تبعاً لأصله فاستعرب اسائه لاتصله بالعرب ، ومن التابعين كتب الاحبار الذي كان يعرف العبرية والذي استعان بالتوراة على فهم نصوص القرآن .

ان لتعريف اللغات هدف اجتماعي خطير ، فكم من عدو لك قد تسرق قلبه ، اذا حادته بلغته ، وكم

من صديق قد يرائه عدوا له اذا لم تكن يتكلم وحيلة لغوية ، تلك هي اللغة التي تقرب البعيد ، فتصبح بين ما تناقش من افكار وتباعده من مذاهب ، والبداليون يقولون : « من لم يتكلم لغتك فهو عدوك » ، لان اللغة يظهر بها في تشوه الجماعة ، وهي في حد ذاتها نظام ثقافي ذو دلالة خاصة ، يتألف منها المخطط الثقافي للانسان ، وهي بمفهومها العام وسيلة لتناقل الثقافات والحفاظ عليها ، وعلى حضارة الانم التي تتكلم بهنا .

ان المعرفة باللغات يزيل كثيرا من اسباب العدوان ويهدئ من حدة التوتر بين الافراد والجماعات ، ويقرّب الافهام بعضها من بعض ، قال برغتون : « ان من يتقن لسان شعب ويتعرف الى ادبه ، لا يستطيع ان يكون عدوه قهراً ، وهو امر ينبغي الانتباه عندما نطلب من التربية ان تمهد السبل الى التفاهم بين الاعم ، فاتفان لسان اجنبي بأسلوب يجعل من الممكن ان تشرب روحنا ادب هذا اللسان وحضارته ، هذا الاتقان ، قلت ، يستطيع ان يهدم دعة واحدة سوء الفلن الذي خاكنه الطبيعة ضد الاجنبي عموماً » .

ان تعدد الالسة يزيد ثقافة الانسان لانه يقتح في نفسه شيابيك عدة ، يطل منها الفكر على آفاق متنوعة الألوان ، وتعلم الانسان الالسة اجنبية يعينه كثيرا على فهم لغته الام ذاتها بطريقة اصح ، والشعب الذي لا يتكلم لغة اجنبية هو شعب عاجز عن ادراك اقتصاد لسانه ذاته ادراكاً صحيحاً . - (68) .

كم شجار يحدث بين الناس لسوء تفاهمهم لغوية ، وكم ادى الفهم الضعيف للغة من اللغات الى مالا تحمد عقباة ، ان سوء فهمنا لكلام غيرنا ينجم عن عدم استجابتنا ذهني لما يقول ، ولا تمكن الاستجابة الذهنية اذا كنا لا نفهم اللسان الذي به يخاطبنا محدثونا ، والاتصال الذهني لا يتم الا اذا شفع له رسول لغوي سابق مهله يترجم عن مكتون النفس :

165 - المرجع السابق ص 247

166 - فن الترجمة في الادب العربي ، بقلم محمد عبد الفتى حنين ، ص 81

167 - من خطابات القاه الحسين الثاني بمناسبة اجتماع لجنة اصلاح التعليم الاصيل ، يوم الاربعة 10 يناير 1973 - 5 ذي الحجة 1392 .

البعث امة ج 18 - ص 19

168 - في فلسفة اللغة لكامل يوسف الحاج ص 166 .

تعاهد لسانك ان اللسان
سرع الى الموت فني قتلته
وهذا لسان يريد القواد
بدل الرجل على عقله

وحضري الآن حكاية اوردها لتنتبه والمرة في
آن معا ، تلك هي ان رجلين احدهما اجنبي عن
الآخر ، كانت تجتمع بينهما كل يوم وجبة العشاء
في مطعم . كان اولهما انجليزيا وثانيهما فرنسيا ،
لا يفهم احدهما عن الآخر ولو كلمة من لغة ، وكان
الانجليزي يحضر الى المطعم عدة قبل حضور
الفرنسي ثم يجلس الى المائدة للاكل ، وكان الفرنسي
كلما حضر جلس الى نفس المائدة ثم يقول للانجليزي
Bon appétit متحيا ان يتحياه الطعام . وبعد
فيحيي الانجليزي يذكر اسمه Rudyard Smith ظنا
منه ان الفرنسي يسأله عن ذلك ! ومرة ايام والسبلة
تكرر من غير ان يفهم احدهما ما يقصد الثاني ، وطلب
الامن على هذا السؤال الفضولي ! ففتب الانجليزي ،
وابرقه وارعد ، وثار خنقه ، وغارت فمه ، وانفجرت
خميته حتى كاد يخرج من ثيابه ، وينسلخ عن اهابه ،
ولولا لطف الله لفتك بالفرنسي ، فقد تدخل مدير
المطعم واسلح بينهما ، وشرح لكل منهما مقصد اكله
وحسن ليته .

ومهما اكتسبت هذه الحكاية من صيغة الفكاهة
اوذي المستلحة ، فان في احسانها مقري كيبيرا
ودلالة خطيرة : تلك هي ان من عرف لغة قوم كتب
مودتهم ، وامن مكرهم ، واتقى شرهم . واطلع على
ماهي غلبة من العلوم والآداب والمخاض الإنسانية ،
فياخذ عنهم ماكان صالحا لامره . ناهيا لاجواله ،
منفضيا الى قوزه ونجاجة ، غائدا بالخبر على قوميه
وطبقة ، بله كونه انسانا واحدا في انسيب ، بل
اناسي كثيرا اذا تعددت معرفة باللغات . فهو بذلك
جسم صغير يتطوي فيه عالم اكبر ! يستفيد من كل
وجبة ، ويعب من كل معين ، يتشبع بشارة ويعمل
اخرى بنجدة العلم من كل طريق . وينال من المعارف
ماديا ومعنويا .

حفظ اللغات علينا
فرض كقبرض الصلاة
فليس يحفظ دين
الا يحفظ اللغات
ان الجاني الحضاري في تعلم اللغات
كبير ، وقدره عظيم ، وفوائده جمة ، فبمعرفة اللغات

يكون الانسان سيد نفسه ، ويعلم ما يجري خارج
محيطه وامنه وبلده . ويتلقى ما عند غيره من طسول
الباح في الاختراعات والصناعات . ويدرك مدى تقدم
هذه الامة وتغشي الحضارة والتدنية بين ابناءها . وفي
نفوس افرادها ويشعل بتأخر تلك وضياع بلادها
واخسار رجالها . وفقا شريعتها واتحادها وقضرها
وامجادها . فيتمكن بذلك حب الوطن في قلبه ويسلك
اعزازه الى اعناق فؤاده ، ويدود من خوفه بكل
ما اوتي من قوة وامان ، ذابا عنه مضجعا بكل غال
ونفيس واقفا على خير غيره وشر من سواه .

يقدر اوقات المزة يكثر نفعه
وتلك له عند الشدائد اغوان
فيأخذ اليه حفظ اللغات سارعا
فكل لسان فني الحقيقة انسان

فلذا مع حيث اللغة العربية طبعها ، قال حينما من
الاسمان ، وبذل الجود في رقع شأنها ، ولوسيع اهابها
يتطعمها بما لا تملكه ، ويحلب كل ما يمكن ان يرقى بها
الى اعلى المصاف ، وارفع الدرجات ، واستضي
الغابات ، ما استطاعنا الى ذلك سبيلا . انها لغتنا
وعصب وجودنا الذي ينشر فينا روح القدرة على
التعبير عن الحقائق البعيدة المكنونة في وجداننا ،
وهي المجد الذي نلوه بحقوقه لتبتدع امة تضي
فكره تضئ بقاءنا واستمرارنا في حنا التاريخ .
وتكفل خلودنا غير الزمان والمكان .

لا تلمس في هواها
ان لا اهوى هواها
لست وحدي اهديتها
كلنا اليوم قداهنا
نزلت في كل نفس
وتعنت في دماها
عنه الام تنبت
وهي التوالد قاهنا
كلنا من زمان
زادها مجدا وجاهنا
لغة الانجاد هذي
رفيع الله لواها
فأعبدوا بها بيهنا
تهضة تحوي رجاها
لم يمت تعب تقاني
في اقواها واسلامها

الرباط : محمد حمزة

الوجاد

للأستاذ عبد القادر زمامة

631 - حب الرئاسة ... !

وجدت في مخطوطة كتاب « الحقائق والرفائق » تأليف أبي عبد الله الفكري . جد صاحب نفع الغريب . وشيخ المدرسة العنانية . وقاضي فاس في عهد أبي عثمان :

« رقيقة : دخلت على عبد الرحمن بن عثمان الجزولي وهو يجود بنفسه . وكنت قد رأيت بقرب ذلك معافى ... ! فقلت : أي ... ! وسألته عن السبب ... فأخبرني أنه خرج إلى لقاء السلطان . فمقط عن دابته . فتدأبت أركانه ... ! فقلت : أما حملك أن تتكلف هذا في ارتفاع سنك ... ! فقال : حب الرئاسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين ... ! »

632 - الحب . والنوى ... !

وجدت في مخطوطة كتاب « الحقائق والرفائق » تأليف أبي عبد الله الفكري :

« رقيقة : أخبرني السلطان البيوكسل على الله أبو عثمان أن جده السلطان أبا سعيد رحمه الله تعالى . سأل كاتبه : عبد المهيمن الحضرمي . عن نيازي أهل الحب للفتاح دون الخوخ . وكلاهما طيب المخبزر شديد شبهه بأخيه ... ! شديد تشبيه الوجنت به لمؤخيه ... ! فقال : من عند مولانا ... ! فقال ... ! »

— أرى ذلك لأشمال الفتاح على الحب ! يفتح الحاد الذي يذكر بالحب ... (ينظم الخاء) ولاشمال الخوخ على النوى (الذي يذكر اسمه صفو النوى ... !)

633 - من أقوال الإمام ابن عرفة وإنشاداته

وجدت في ترجمة أبي عبد الله العكرمي المتوفى سنة 842 هـ من كتاب البلوة ج 2 ص 122

« قال الشيخ : سمعت العكرمي يقول : سمعت ابن عرفة يقول : أن الإمام ابن القاسم ضعيفا في الأصول ... ! »

وقال الشيخ أيضا : اتشدنا أبو عبد الله العكرمي . قال اتشدنا الإمام ابن عرفة :

يقولون هذا ليس بالرأي عندنا

ومن أنتم حتى يكون لكم عند ... !

وقال الشيخ أيضا : اتشدنا أبو عبد الله العكرمي . قال اتشدنا الإمام ابن عرفة متمثلا :

حببت النوى سهلا وما كنت داريا

ومن يجهل الأشياء يستعمل الضميا

634 - علي مقربي ضاع ... !

وجدت في كتاب « خلاصة الاثر في أعيان القرن الخادي عشر » في ترجمة حسين بن قاسم الدوسي الشاعر الأديب المغربي السدي هاجر إلى الشام وتوفي بها سنة 1011 هـ

قال المحبي واتشدني لنفسه :

« رأى غارة الافدار للمرء لاحقة

ولو فر منها راكبا متن شاهقة

وما خط في أم الكتاب تموتسه

إليه المقادير التي هي ساقطة

نلا ذاق من ضباب القرب من بكى

على مغربي ضاع بين مشرقه

635 - وفاة ابن العربي المفايزي

وجدت في مخطوطة « أزهار الرياض » لابي العباس المقرئ :

« توفي ابن العربي منصرفه من مراكش بموضع يعرف باغلان على مسيرة يوم من فاس غربا متعبا . فاحتمل ميتا الى فاس في اليوم الثاني من وفاته . وذلك يوم الاحد السابع من ربيع الاول سنة 543 هـ . ودفن باعلى مدينة فاس خارج القصبة بقرية القالند مظفر ... »

636 - خيال وتخيل ... !

وجدت في كتاب « الوافي بالوافيات » ج 6 ص 76 في الترجمة التي كتبها صلاح الدين الصفدي لـ ابراهيم بن عيسى بن اصبح القرطبي المعروف بابن العناصب الذي تولى القضاء الموحدين بمدينة سبلمانية وبها توفي سنة 627 هـ ... هذه الايات من شعره :

« روزان زارني وهما قلقت له
الى اهذيت وسجف الليل مسدول
فقال انست نارا من جوارحك
اشاء منها لذى السارين قندول
فلقت ناز الهوى معنى وليس ليا
نور بين : فيما ذا منك مقبول
فقال نبتنا عن ذاك واحدة
انا الخيال : ونار الحب تخيل ... ! »

637 - ابن فتحون ... !

وجدت في كتاب « سراج الملوك » لابي بكر الطرطوشي لزيل الاسكندرية والمتوفى بها سنة 520 هـ . ص 156 ط . القاهرة 1319 هـ .

« وكان برقيطة فارس يقال له : ابن فتحون . وكان يتاسبنى بفتح خال والدني . وكان الشيخ العرب والمجم . وكان الصنعين ابو المقتدر ، يرى له ذلك ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية خمسمائة دينار ... : كانت النصرانية يأسرها قد عرفت مكانه وهابت لقائه ... ! »

فيحكى ان الرومي اذا سقى قربه فلم يشرب ... يقول له :

اشرب ... ! هل اين فتجون رابت في الماء ... ! »

638 - هيسان ... !

وجدت في كتاب « سراج الملوك » لابي بكر الطرطوشي لزيل الاسكندرية ص 148 ط . القاهرة 1319 هـ .

« ... واذا انا فلما هممت بالرحيل من بلدي الى المشرق الى طلب العلم كنت لا اعرف التجارة . ولا لي حرفة ارجع اليها ... ! فخرجت من الخروج . وكنت اقول : ان ذهبت تفقني عما ذا افعل ... ! وكان اقوى الامال في نفسي ان احقق الهسان بالاجرة ... ! وادرس العلم بالليل ... ! ثم استخرجت الله فرجتي ... وكانت هي ثقة وافرة في هسان ... ! علي وعطفي ... »

639 - دجى ... وضحى ... !

وجدت في كتاب الوافي بالوافيات لصلاح الدين الصفدي ج 6 ص 40 ... في ترجمة ابي اسحاق التميمي الغرناطي الرحالة ... يقول الصفدي ... : « وانتدني من لفظه لتقنه : »

من الدور تهرت معا رات
شعرات راسي اذنت بتعمر
راحت تحب دجى شباب مظلم
وجدت تعاف ضحى شبيب نير «

640 - حسن التفاقل ... !

وجدت في مخطوطة كتاب « الشهيد اللاحقة في السياسة النافعة » لابي القاسم ابن رغبون : « ومن حسن التفاقل ما اخبرنا به شيخنا القاضي الخطيب العالم ابو البركات ابن الحاج قال : حكى لنا بعض الشيوخ بفاس . ان عبد المؤمن بن علي وجه علي الشيخ ابي محمد صالح رضي الله عنه لما بلغه انه تكلم في الميدي ... ! »

فقال له :

(1) الهيمان : كيس الثقة يشد على وسط الانسان . ويطلق على النكة : انظر كتاب المقرب للجوالي ص 346 .

— أنا تقول في المهيدي ... ؟

فقال له الشيخ أبو محمد :

— أفي الله شاك ... ؟

641 - بنو عبد الواد

وجدت في كتاب « الدر الثمين » تأليف الشيخ محمد بن أحمد ميارة ص 77 ط. القاهرة 1330 هـ «

« الثقل عن كتاب للإمام العالم أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق سماه هكذا :
« تقرير الدليل الواضح المعلوم في جواهر الشيخ في كفاية الروم »

642 - قد خولف المذهب في الأندلس !

وجدت في كتاب « الدر الثمين » تأليف الشيخ محمد بن أحمد ميارة ص 169 ط. القاهرة سنة 1330 هـ «

« ... وقد نظم هذه النظم الشيخ ابن غازي في باب الجهاد من تكميل التقييد ناقلا عن الوثائق الصغرى للقرطبي فقال :

قد خولف المذهب في الأندلس
في سنة فنهى سيم الفرس

وغرس الأشجار لدى المهاجد
والحكم باليمين قل والشاهد

« وخطة الأرض بالجزم تلي
ورفع تكبير الأذان الأول »

643 - مسألة الهيدورة ... !

وجدت في كتاب « الدر الثمين » تأليف الشيخ محمد بن أحمد ميارة ص 84 ط. القاهرة 1330 هـ «

« ومع هذا المعنى مسألة : الهيدورة . وهي التي تكون النجاسة بأحد وجهيها دون الوجه الآخر .

هل يصلي على الطاهر ... ؟ لا وقد اختلف فيها أصحاب الفتية أبي ميمونة . دراس . فقيه فاس ... ؟

644 - النسخ في كفاية الروم ...

وجدت في كتاب « الدر الثمين » تأليف الشيخ محمد بن أحمد ميارة ص 77 ط. القاهرة 1330 هـ «

« الثقل عن كتاب للإمام العالم أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق سماه هكذا :

« تقرير الدليل الواضح المعلوم في جواهر الشيخ في كفاية الروم »

645 - بالترجمة

وجدت في كتاب « رحلة الأندلس » تأليف محمد بن أبي البتوني ص 107 «

« سمعت أستاذنا المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده يقول : أنه في زيارته لثونس ذهب للقاء البيه فوقف بينهما ترجمان . فكان إذا قال الشيخ جملة كررها الترجمان إلى البيه ... وإذا قال البيه شيئا كرره الترجمان للشيخ حتى انتهى الحديث بهذه الوسيلة . وكل ذلك باللغة العربية ... !!! »

646 - الدق للترابنة ... ؟

وجدت في ترجمة الشيخ الحاج الخطاط الرقعي من السلوك ج 1 ص 232 أنه كان يجيء كل يوم عند البنائين الذين يبنون قبة سيدي الخطاط بالدوح ويقول لهم :

« الدق للترابنة . والشمعة للأجواد . لا خياط الا خياط الواد ... ! »

فاس : عبد القادر زمامة

ملحة التاريخ

للأستاذ بن المهدي العلوي

على طرفي التاريخ منه ظلال
مزاكنها مخفورة والطوائع
درارية ما بين النجوم سواطع
لتفتيس الاسوار منه المظالم
ومدت ظلالا وارفات مناسع
شريفته الفراء والقمل وازع
يجلله نور من الشيب لامع
وللقمل والتاريخ والمجد ظالم
وللعزة الشماء أيضا طوامع
مسارحه للرائدين مرانع
من البحر ما تجو اليه المسامع
عناقدة من كل فج تمسارغ
لفيتك قس اليسوع مناسع
هلوا واخرى معجبا وهو قابع
فما هي الا الفين بوحية ماسع
لها الكبرى هذا وذلت اخادع
بلده فعماتها والاجارغ

منار الهدى في قمة المجد سامع
تلود فترسو تحت سفع نجومه
على ربوات العز قامت صروح
اذا اعتكرت سود الليالي تطفئ
من الاطلس السامي الفتيح تفجرت
واحيت عصورا مجدبات عواجم
سما عفرقا - ابي يمام - الى العلام
فللعين في فؤاده اريج متممة
وللتبيل والاخلاق فرق جينمة
مضاربته اخيائه حبات
يجوبونه شرقا وغربا لينقلوا
بقائعهم ثلثي ثلثي جمالها
بمحاربا الفئان يحنو كائن
مقاسيرها فغيته اخفا فتارة
تعالى بدع الصنم في شرفاتها
وما هي الا شامة الحسن ماطلة
يجل بها فصل الربيع فترتدي

فتبدو كما تجلى العروس تلففت
بطارقها فيها اليواقيت تفتت
وذابت شعاع النير بين عروجهما
تراقصت الادراج في عرصتهما
برددها لحبا شجيا يمزجها
غزار تلقى اللحن من سبحاتها
يحكي بها عرشا تزج فوقه
بعيد اعياد الله فيه لامعة
تفتحت الامال فيه وامرمت
ومدت حدود تجمع النبر ذاتها
وشيدت صروح العلم شايخة النوى
ورجت قلاع كالرواسي ياستدها
فجالت وفي الجولان تقع مجالها
اذا الحسن الثاني دعاها نوبتها
كان اسمه الميمون خالق مدها
كان منهاه في غياها منطهر
ولم لا وقد اغنى عليها ابيها
اذا الجين الثاني اهاب بشقيبه

من الوشي في اعطافه الدر نامع
مفوقة حافاتها والمراجع
فيوت وشاخا خصرة متدافع
على شمات رجعتها السواجع
ملاكى الاوتار لسموان ساجع
مثنائه ما بين اللهاة متوازع
امام حبي عالم متواضع
مكائنها العظمى وغيوت مرابع
عراس العلا والمشات المطامع
يسيل لغناها ترتويته المزارع
تعيج بها رواده والمطالاع
اذا زارت ردت مداها المتدافع
وصالت وفي عيشاء منها طوالع
للعوتة الاسد الفطاب السدراع
اذا سمعته اشتاق للظن شاعع
به تهتدي والسيف ظمان جالع
وهذب منها الطبع بشد الغياع
ان لحن او اسنان اقتدى وهو طالع

* * *

دعاه قلبى للمنيعة وانقلا
تمطلق بالتقوى ولاث بفضلهما
تسامت اليه المكرامات فراضها
يمن اي باب جئت ترجع معجبا
ذكاء وايمان وحزم وهمية
يزيدك علما منهجيا بمنطق
اذا قال اما بعد .. ارحقا سمعته
يشوق للعلياء نهجا ومنطق
تعجب بها الركبان شرقا ومغربا
صفات نسبتا من حسناتها وزواجرها

وداس حدودا اشبهتها المندراع
على مفرق سام به الشياح ناصع
وهديها اقدامه والتواضع
تراه يجلسني وحده وهو وانع
وراي يرى بالقييب ما هو واقع
يرقد بيانا تحتذي به المضامع
لخطيته التاريخ والدهر خاشع
وتشرح مفراها الصفات الروائع
وينقلها غشه الاثير المظالمع
عقولا فاقضها من الشور ماتع

لذا هزت الدنيا المناكب بهجة
لملحة كرى وحيدة عثرها
منيرة سلم يستحث لها الخطا
حفيد رسول الله قائد سلمها

* * *

فسارت الى الصحراء ترقع زايعة
لتحريرها من قلبها ورجوعها
وما هي الا ان اقيس انماها
ينعلن خفاقين داسنت نصالها
تصدت لها والمزم ينهب الخطا
تحدث لها تجد والفضاخف زحفا
تضدى لها الشعب الابي محققا
وجاءت وفود الاربع تنهد زحفا
برمتة عن وحيدة وطنيعة
يسر كعج البخر مدا وضيعة
تكل ثباتا وشيئا معينا
ظل ويمسي متربيا لغائدا
ويلحف الرضاء مفتجرا بها
ويلتها لم المحب حبيبة
فكيف ترى اشواقه ودموعه

* * *

كذلك كنا والزمان تلفنا
وان اشبال نارت رقتنا نخترا
شيمنا ازيج الميك من نجاتنا
ودر متحيق اند فوق رؤوسنا
نطاب لنا منها العتاب ونفزاها
تقول خفوتكم قبل ذا النسيم
فما لكم لم ترموا لعدائنا

لملحة ضافت عليها العجا
وبضة ديك الذجر والذهر نافع
ستيد الخطا الثاني الامام القدا
يوافق التوميق والنصر خاص

بكف وفي البى من النور ساطع
الى وطن في ظله الشمل جامع
قد استجدودا دونين الميم
وتافت عليها والرماح هو السبع
وايمانها بالله والحق دافع
وتلو العثاني السبع اعزل غي
ارادة واع للرعية رافع
فما راعها شيء كشمع يدافع
مجال بان ترقى اليها المطامع
وكل من الخالين في البحر نافع
تسير به قبل الرجال المراضع
متى كفه تومي وتوحى الاصابع
واشواكها ان جن ليل مضاجع
وقد زال عن فضل الغيبين مانع
اذا ما تيازي وجده والمدامع

باحضانها الف لالف زادع
على كعب رجاجة تدافع
وضاع عير الم يضع وهو ضائع
ولاطفتها اعنارها المتواضع
يفيض بيشر والفرزل هوامع
بان لكم في الاسر اختا تصارع
وقد ارهقتها بالقيود القوابع

حلقتنا لها بالله ما طاب عيشنا
الى ان نتمسنا بالمسيرة فازتمنى
وها نحن جئنا بفتديك فكفكفى
تعالى ترمم ما تنثر باليل
وتعلم على اطلالها المجد طارفتنا
تعالى تقاسمك الحياة شهيرة

* * *

ولا ترفعى راسا لضجة حاقدة
وليس غريبا ان تظن ذباينة
والذئب ان شام القطيع تحفل
يظن بان السرب شام سفاهة
وان تخبى للسيد والصيد فاعجبى
وقد هم فانقضت عليه كواسر
فان عاد عدنا والحيال كفوده
ففيه لغى واضلنى جوانحها

* * *

وميدى قدودا فوق كيان طارق
وحيث العوالي والمغالي تياجلت
وحيث الرماح السميرة تنحلى
وحيث لواء العز يعلو مضاربا
وحيث التفت منا الرشائح غصية
وحيث براك الله فى الحصن زوشية
وحيث المياقي ظلها مطمئنة
وحيث النياق البيض والخوم تجنبي
تري قاطرات قاطعات قدافيا

* * *

بربك هل اشيا الى العيس من ميا
تميس على الكبان واليدر طالع

وهل من قدود مثل قد نخلينا
غراحيها مخبوءة في جيوبنا
كمائهم إلا أنها من زرجنا

* * *

وما كنت إلا المكديك عوالق
ولكنها الإشيطان أو تقتني قمنا

* * *

بقاك المرثا الخضل ما همت العينا
ودام بظل العرش فيك وارفا
وبالحسن الثاني المثنى جهادة
زعى الله من يحيى النجى وأمنده
ولا زال للإسلام حسنا محصنا
ودام ولي العهد في حل الرضا
وبالنير المولى الرشيد وفريسا
فانت - أمير المؤمنين حقيقا

وأقدقك الوسمي ما اقتبر لافنا
وبالدة العليا ما أخضر يافنا
بشيري المعصور ما قال جاشنا
بتصريف فتح وفق ما هو فبالنا
سراقة القرآن واق وشافنا
تبر به العليا وتسمو المزايافنا
وأسماء والحبشاء تجدي الظلائنا
منار الهدى في قمة الفجد سافنا

محمد بن المهدي العلوي



موكب النور

جلل الكون في ابتسام وزغرد - واتمنى الافق بالشمس فتأود
والدنس الشيرقت بهاء وأود - وخلصت فتنة بتمبه وتقليد
تهادى من التحبات آيات - وهاجها الزمان وحيا ورد
وشدتها ملائكة الله - تسبيحا فهاجى الصدى النحاء وجد

* * *

أي سر، حق العوالم جمعنا - نواضغى عليها نورا توقد
فاذا كل ما على الأرض وضباب - المصيا - مهلل القفر قوتيد
البحارى نفجرت طبل خمير - وعولنا لآلها العذب مسجد
الغدت سوحها الغمام ثقال السحب - فاختارت غيدنا تصيد
وغدا مشبهها المصروح انمدا - وطلا على العجبر ممتد
وكنا السيل والهضاب رخاء - والصخور الجرداء لون لبرجد
والزواي تهايس الزهر فيها - واناجها النجم نوقد

وطوبى الازهار غازلها الطلل هياما ، فجن شوقا وعريسة
والنسيم العليل هيارخاء تملئ الربا رؤاه المـــــورد
طارح الروض والبلابل الخائبا رواها النهر شعرا واقصده

* * *

ي غر ، بطيخاء مكية خلتها وكانت لنوره خير مشهد
الرايا مبهورة تمللا ، وتستهدى لسوره المتوقد

* * *

لم يك النور غير مولد (طه) بورك السر ، والدين ومولد
بارك الله مولدا ، كان الخير نعينا ، وفي السماحة اوجد

* * *

لم تلك (الطحا) قيل مولد الاسنى ، سوى دجن يرقى شكا ، ويزيد
وساهات يرق الجليل فيها بيثها المظللين ، ويرعد
نيس الشرك ، كم اضل وازرى يعقول ، تزكو ذكاء ، وتحميد
عقبت دهرها الابل ، وهامت تكريم الفعال ، والعز تشد
قد انت عفيفة وتهافت ترقى الاعنام جهلا وتعبد
تحدثها زلفى ، شنى كانت الاحجار فى الغل تسفحار وتحويد ؟
بورك المولد الكريم ، فقد حقق دحها ، لىولاد ماكان يوجد
واذا خفست العناية ارضيا خان ربي لها الرشاد وسدد

* * *

نظفة الطاهر المطهر (طه) اولادتها (الطحا) فليست توخيد
والهدى الحقيق قسى رباها تنها والهدى الحقيق ليس الا (محمد)
التي المختار من بمخياه تميم الحياة ، والعيش يرفد

* * *

حيات سره الغيوب ، فودت لو يا حنائها اللاهزين يرقد
شاقها منه روعة الحزن والظيم ، فعاشت لحره تنودد
والمقادير من فسقه حاميا باركت سرا ، وهيت ترغورد

لم يزل مدجلا المهيمين ذنبا
فسياء • يجلسو الدجى ويبدد
حظته الاكابر • من آل عليان
وهاميت به رمابيب جرد
وبارحام طاهرات حوان
قد ر الله صابيه وتعهد

* * *

وقضيت ذبتك المصور استراو المرايا • وامر ربك اوشنه
فتجلى وابدع الكون حيثما
وطويا • وصاغ منه المجهد
ثم نادى اسراره • ان تجلبي
وتملئ دقا بين النور فرقده
نسبتها • وهاجة البشر جدلي •
نسمة اشرقت بظلمة اخمسه

* * *

وتأذيت ملائكة الله : يا بقرى اليايا : نجم اهل ميميد
واقامت اقاربه سبيل الخير
وعمت انواره آل فسد قيد

* * *

نجم ظه اهل ادوع نجم
نوره يزفر الحينة ويسعد
ومخيمه • بالحمين مخيمه
وفياء يرولق السبيل والتجيد
الغواذي تفيت ظلمه النوارف • واستروحت فداه المجهد
وتلقبته بالحميات ارواح الموجودات • والملائك تشهد

* * *

لم يدع آدم الا رب جنات الخلد زخدا • لكن لشبهه اخميد
زيد الكائنات • من رنا الله له الكون والحياة واوجد
شع امية في كسل الخلايا
فالخلايا مهيوة الشوق تملد
وعلى المن التقاه تجلى
سمات • الى السماوات اصعد
وتواصيت به وبالخلق انعان من الجن مخلصي القصد رشيد (1)

(1) إشارة إلى آيات سورة القمال (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن
يتصمون القرآن) الآيات

ورأته الحياة تبع حياة أتممت ، لو فيضه الترحمة (2)
وانتشت من سيرة تكسح الغلبيز ، ومن خصه ثوبا وتخصد

لم يكن مولد لطفل ، ولكن كان الحياء للأنبيى ومولد
وهو للدين عروة واعتصام وجو للدنيا أصرات توجب

وتنادت يهودا (شرب) يا شرب يهي أهل كوكبية أحمد
تبع في الاق نود : فإذا انبثق ثمار مكهريب يتوقد
وإذا ظلمة الجهالة اكسبر حياة . أغنى الحياة وارقد
أوعيت بالقلقه الأوس والخزرج ، واستنجدت وأمسيت تهدد
لم تول تنظر النبوة ، تزجوها ، تناوى الأوثان والعرب توعيد
... وترحب - بش الرجاء - أن تنقضي في هواها ، وما تخط ، وترصد
غير أن الرجاء خاب ، فما كان أبو القاسم إلا الرشد للبي يخضد
فإذا نيرة اليهود فليلال ونفاق على الهدى يتمرد
خبت عمرة اليهود فيها تنفيا يذكي الاضغان والحقد تستند
حينما سمعنا عن الحزى والعمار ، والقي العنا عصاء وجود
فيلاع ، فريضة ونسبر في متاهات خبير تهود
تلق الفقد والميائيق يغينا ويهود اليهود وهم مجرد

يا ميلاد أحمد ! فسوس المسرك حذوعا والكفر جد وبدد
والضلال القتي ، دكت برواسيبه ونارت بيروخه وتخذد (3)
وأذنت حماه ، ونباوى لقلم ياسا . والفسي المرشد اخلد

وبوت الأوثان رائت عليها مذ تجلى كآبة وتبارد
هال أمشاسها الضياء فانقضت في خوج النور تغر وتسجد

(2) فغيد كمنع كنبيا وعمل

(3) تخدد ب تفرق واضطرب وتشتت

والشياطين فزعت منه رميتها . تنهيا لم التزل بها تمرصيه (4)
 فاستقياذ الكيان بالله : اذ كانت تعاويذهم : يخسران اريسد

وحيث تبار هيكل القدس واريدت بانساج ظلمة تمورد
 رابع من هول دخلها سادن الهيكل : فاقشاج غاصبيا يثوعيد
 زود الموقف الكليب باحطاب واذكسي اللهب تقضا واوقد
 غير ان اللهب ثاء . ومبا اخيدى وقود ولا يخور تصعيد

وتداعت جامعة يسوع النور . وعنتى الصليان : بانساء تجهند
 با ليهول الرهبان من مولد التسور : فقد اذهب الظلام وارعد (5)
 تلك ارماسة النبوة جلام : ما فى اياته الاله واورد

ايه يا ام احمد بوركت بامنة . قمت احملك لطفة (احمد)
 اى بشرى حملت للكون يا آمنة القضى . واسديست من انا . تخلمه
 ان تكولني استمت آمنة) قبل : قرب النبي قومك ارشده
 انت حقا امينة اذ حملت السر : بافضل ثم وخير انتى تمجد
 ال وهب اشراكم اليوم رشوانا من الله : قد جباركم واسعد

يا رسول الاله : مولدك الانسانى وخاء بالامم من راه . موطن
 وجد الله فيك ديتيا وذيتيا : انما شفى : اقهو شفى موجد
 للتأخى دعوتها : وبذلت النصح لله : قهره ليست تقم
 - انتى والحق - رجلة الله مهداة لكل الورى تفت . ونجند

-
- (4) اشارة الى آيات الحجر 16 . 17 . 18 = (ولقد جعلنا فى السماء
 بروجنا وزيناها للناظرين) الايات
 (5) اريد - هلك وميزه كالرماد

صحبك الأكرمون، موكبنا لنهزور
 لبرايا شقيق الفريسي وعبد
 وعلى جانبك رعين تعاليمك
 غراء دهرها أنتجنا
 وعليها عظموا التواجد، إذ كانت تعاليم الهداية ترشد
 ترشد السالكين أقوم سبيل
 وتهد الذين الرفاه وترشد
 وعليها قضى الهداة قتالوا
 كل خير وحققوا كسب المقصد
 وعلى عديمها النحير اشتادوا
 مائتات، وكل عجز محطد

* * *

يا اله الوزي، واثت لنا رب رحيم : اليك نسعى وتحقق
 لا تكلنا الى قوى جلد خمار وفنمت المزيين من شئت، تفضله
 جد بايدينا، واتميرن ثوب احبائيك واسبر عيوب من لك، يصمد
 وتقبل دعاء من لا ياديك شكور ومن يقبلك يستمد
 وتجاوز عن سيئات عبثه
 في ختوع يعتو اليك ويستجند
 واجعل المصطفى الذي شقيما
 حين لا يرتجى سوى وجه احمد
 وعليه افضل صلواتك يا ربي
 وسلم وعظمته ومجده

فاس في 26 صفر الخير 1396 هـ
 17 فبراير 1976

الملاحم الحسينية

للمشاعر المديحة الحمراء

التزام برسالة الحق

وطني أنت بالعلمى والمفاخر
لك فى ساحة الفخار عيال
لبيت فى جذور دهر نحيق
وتجلى عواصف الدهر جنى
فرستها يد النبوة لها
اي نعمى لأرضنا منحتنا
ملة حرة المبادئ منلى
أكمل الله نشأة العقل فيها
وانت لنا كتابنا بقرآن
وقف العقل دونه فى خضوع
غتهاوى من جوده مستكين
انها حكمة الاله اراحته
رسمت للأمام نهجا امينا
ليس فى خطه التواء ولا قس
شرعة النور والحياة بحق

ذائع الصيت ، عاطر الذكر بالخبر
شامخات ، مغلطات ، زواهر
فاستمرت ، ولم تثن للمخاطر
صار برعى ركائبا وسار
جاء « اذريس » باليدى والبشائر
رحمة الله ، انعت كل عاتر
هي مصباح كل قلوب وحائر
فاهتدى كل عاقل لم يكابر
رسم الله فيه خير الشعائر
يتجنى حروفه تلك البعائر
لاحنا واعي الجناحين خائر
كل غي ، وزحزحت كل بائر
مبتقيما ، مقدس السر ، ظاهر
عديه مطلب عن العدل جائر
عميت بالمبلاغ كل المظاهر

عائق المغرب السعيد هداها
فأضاءت زيوعه بسناها
واستوى في ظلالها عتقلا
بعد دهر محلولك متناكرا
وتروث من فيض خير العناصر
عربي النصير ، حر القنائير

النبعيات وخالود

ورأى الدهر وحدة في الخفاء
فإذا الاطلس العظيم قسلا
وإذا صحبة الأذان تحيي
والمنازل والمنازل تفسر
وتلغج الحياة يشرق منوها
فإذا الأرض الهادية تعجبنا
وإذا تلكم القنائير شعير
هب من رفدة الخمود فأضحى
حركته الحياة بعد جمود
فكأن السماء حين أرادت
فاستوى خلقه جديدا أصيلا
ومضى ثابت الخطى في طريق
والى وجهة الخلود توالى

مزج العرب سرره بالبرابر
تحرس الدين من غزاة أكافر
دعوة الحق في القرى والمدائن
كل نجد ، وكل سهل وعال
خاملا في سناء نور المنابر
وإذا النور في النهى والضمائر
واحد مضرم العرائس قاهر
كتلة جنبها على الأرض صاهر
مثلما قام من بطون المقابر
جددت منه كل يال ودائر
صاغه الله من كريم الجواهر
قالى الله - في سراطه - سائر
سيره غير ناكث غير حاد

زعامة رائدة

بعضير السلام والحق أمسى
يشهدى بدينه كل قنبي
طبع الدين فيه مرة نفس
وتولى زعامة ضار فيها
قاد ركب الهداة في كل تفسح
وشادي : الله أكبر خيبي
وزراء البحار خلعة مجندا
يستقي من حضارة النور أنقى
كلمات السماء فيها نشيد
فطرة الله في شعور البرايا

يريد الماضي الكريم يحاطر
ملحد ، قاسد المقادير ، فاجر
فتسامى عن تافهات صفائر
عقري النبوغ ، حر البيادر
يشعل النور في رؤوس القنائير
أخرس الشرك في مفاد الحواضر
شامخا ، ضيئه مدى الدهر طائر
مدد ظامير القنائير قائم
ساريت السر في خفايا الترائر
ونواميس شرعه المواتير

وخطابها من السماء كزبر
ليس للأرض في سواه سلاح
أفلس العقل فليتب من جدال
نحن خلق لله ؛ فآله خلق
وتصلي له فتعبر أنا
ونأجيه بالهداية فنحفظ
هو للروح راحة وأمان
لن تطيب الحياة في البعد يوما

قشور متبور

علمنا حضارة الغرب حقنا
قد رأينا عبادة العقل فيها
ورأينا شقاؤها في نظام
أصبح الناس فية قد بين غاو
هم أناس إذا رأيت وجودها -
قد رمونا بدلائلهم في قشور
فسلونا بها عن الحق ؛ لكن
فلنجانب سجون قوم مراعى
ولندع نخلة الشياطين تتردى
ولتعت بالذي جنته يداها
ولنفج من مصحف قدس
قالى الوحي من جديد ؛ فهتدى
والى الله فلنعبد بعد ياس

كيف لزها يدنيا وثقنا
كيف القت بأهلنا في الحقائق
متبور مستهتر متناحر
وضريح - وبين أشاك وساجر
وبعضاقهم طباع الكواثر
تأفهات مزيفات بوائير
دشنا بعص الحضيف المحاذير
يستطيعون ميتة في الخطاير
أهلها في مقاصف ومخاير
فعلها غدا تدور الدوائر
طاقة تهر الزمان المعاصر
شرعة العقل حرمت كل عامر
من بقول متبهاات حوالير

ميراث لا نظير له

والى هممة الجندود فهنا
ولنصير هذه الامانة - اتنا
راية الحق والجهاد الشا
فلنقدس جدوة رقبونجنا
وعزوا تحتها فكانوا منادة

والى ساحة الهدى قلببادر
وارتوها ؛ فلا لمقى الاوامر
نتلي حملها بحكم الاوامر
وجمواها بالمرجفات البوائير
وبتاة ؛ لا غافلين قواهير

يزفوا كالشموس في كل اقسق
واقاموا على العدالة حكمها
ملا الارض رحمة وسلاما
وجد الناس كلهم بالتساوي
ورأى الدهر خير عهد واسمى
وزى الحق والحقائيق قيثانا
وعلى الارض امرؤ كالازاهر
غير رب الحياة نباد وعامر
ومحا سلفة العلفاة الاكاسر
مثلما وحدها بقطرة عاطر
دولة سرت الحجي والنواظر
فانحتي معجبا بتلك المائس

جهاد ظافر

من هتاء من سيفوجنا ، من رباننا
نفضى يمسح الفلام بنور
ومن الاطلس الربوض تولي
واقائت عروشنا كل صيرت
وبدانا « بظارق » ففترتنا
وانتهت امجادنا فاستتبت
وانتزعا بوقعة « الارك » نصرا
وجعلنا نير « المخازن » يوما
وقطفنا من « الفرنج » رؤوسا
واطحنا بتاجهم فتشظي
وسضى « دون » عبرة وتكالا
ركب الحق متن تلك وحافر
عن بخاري بجوبها وجزائر
ذلك المد كالسيول الرواحر
مستغيثا بسابحات ضواير
وسيقنا الى الوغى كل عابر
يوم « زلاقة » الحثوف البواهر
من علق مؤجج الحقد غادر
للطواغيت والعلوج مجائر
اقبلت كالسيول من كل حادز
ثم دقته في الوطيس الحوافر
ومثالا لكل لعن ووافر

عواصف التجريب

وجتمنا بجولة كان فيها
وجعلنا من الفداء شعارا
فطردنا بوحدة الصف جيشنا
عالة المحقق عنده . ولدنيا
فاذا نحن في حمانا كرام
والتحقنا بالركب بعد كفاح
فكتبنا ضحائنا بهدايا
ذكريات تضرنها باعتراف
خلقتنا احيانا وملوك
عرشنا رائدا ، وكنا هراير
وسلاخا كاذبة بنخر ساخر
ملا البحر والزبي والدساكر
قوة العزم البيت كل جاسر
شرفاء بكميا عرفنا اكار
مستطير مؤجج النار عائر
يتأبى ويهتدي كل ثائر
وتداجي اصداءها وناسر
نلتهم احرارنا والحرائر

جعلوا من عروشهم للعمالى
يسلاح القرآن والعزم مآدوا
ساحه سورها ظني وشواجر
هذه الارض كابر ابر كابر

الجولان وسيناء وفلسطين

واعلنا - كما بدانا - جهدا
قرعنا « بالشام » راية عز
وملائنا « جولانها » جولانها
وجحيم من القذائف ترمي
تباري به زواحف م
تتلف النار في حديد ويبيل
ترجف الارض منه رجفا مريعا
اي محق هناك بالنار بردي
خاضه جيشنا بعزم قابل
شرفوا اطلال البطولة حقا
وتقاليد امه ورثوها

فالتقى خاضع الجهاد بفارس
وحمينا هضابها والمفساد
بين قصف من المدافع هادر
كل هول مستفزع متطير
كالروابي ، وحائنات طرائر
ماحق مغرط التراسة ساعر
بدوي تنشق منه المرائر
كل حي من قوهلت فواغر
واتجلى الروح عن كفاة قساو
ولواء كالنجم لاح لنافير
شيمة لا تلبس منها مكانر

بطولة باهرة

يا لابطالنا ، لقد اطرؤنا
لقتوا معشر الصهايين درسا
انقضوا نهضة العروبة صدقا
ثم حبوا رصاصهم في صدور
واداروا سلاسل الاسر قسرا
فبكت اعين الصهايين نثرا
وتلقت « عجوزهم » صقعات
وراي « العز » اليهود يعين
قتداعى لنا راي صا ثمنا
وراي ما يتناه ذكاهدينا
وبدا لليهود ما لم يخالوا
لم يفدهم عنادهم حين والى
مزقت جلله ينادق نار

وشفر شيطان بتلك الزواجر
فاسي الوقع ، مستحر الفواقر
يوم دقوا من اليهود المتاخمر
حاققات مقبحات قواجر
فوق اقدامهم وجول المناجر
قطع الله منيمو كل دابر
حين غوت نعايج تلك المساكر
فرعنا يستقره ، ويساور
كهيساء على الشرى مختابر
تتخطاه زاحفات بوانر
انه واقع بهم من بواقر
عنه جيش عشت الشيل داخر
وحراب مستولة وخناجر

ومن الجور ينقطون إذا ما
ضربت على اللثام مصاب
أقرعتهم وأذهلتهم فعادوا
تلك والله فرحة الدهر رقت
ولنا أختها « بيناء » صارت
أطقت في صدورنا نار غيظ
أخرق « السام » طائرات ذواعن
قمعت تلكم النفوس الكوافر
مثلما يعرفون عشتا أصغر
حول استأفنا رتين المزاهر
حدث الدهر حول تلك المعابر
له كانت ضلوعنا كالمخامر

صمود إلى الأبد

موقفه تبرف العروبة حقاً
بهر العالمين في كل صقيل
أظهر العرب مثلما هم أبناء
جدعوا فيه أثف بغبي غبيد
فهم العرب لا يباح خفافهم
قوة الاتوياء من كل تسويع
أقبلت تمخر العباب وتطوي
يتوالى بها زئبق سريبع
حلقات « القربود » من كل صقيل
وقف العرب دولها في سموخ
ناذا هم بالخير في خير عبيد
وإذا ملأ السماحة تنجيد
وإذا عالم الطواغيت يخرى
فرج برنا « وسباء أناسا
نصروا نصرة اليهود وصاروا
ناصبونا بها عبادة حقيد
غير أنا مدى الزمان مبقين

هو في صفحة البطولة فأخبر
خبر غبه طائر اللكر عاطر
في جحيم منفس الحر زافر
كان فيهم مثل الشجاعة الحناجر
لعبوا ولا يذل لواتهم
فانك - ساقها على العرب حاشر
شاسع الجور مثل لمع التواصر
غير وأن « ومعين غير فاطر
أرسلوها كالويل بالحق غاطر
ومن العزم منجد ومرازر
هو بالصوم والفتوح بفاطر
من دثار مبيت الشر مأكس
مطرنا راجف القرائن سادر
هم علينا مثل الذئاب الكوافر
بين خام لها « وسباء « وزافر
هي فينا مخالف ومناصر
عربا مسلمين شمساً أفاخر

قيادة عصماء

تلك عاينات مجدنا وعلائنا
ظاننا الدهر رأسه لهمام
قه فداها برايه وبقال

فليقل ما يشاء كل مياتر
علوي على العروبة ساعر
ويجيش من البوثر المساعر

وعناد من كل نوع وسعسى
 لم يدعها تقول هات ولكن
 ألهم الله قلبه فتخطى
 فدعا للجهاد كل أبى
 قال للغرب قولة الحق لله
 أصبحت حربنا لصيرون حقا
 كيف تبقى مدى الزمان حياري
 واليهود اللئام بالمكر صندوا
 واستحلوا محارم الله لما
 واستباحوا بالهدم منه التواخي

لم يزل يفتني به ويجاهر
 عجل العيون والجهود الكوائر
 حاجزا كان للحقيقة يائس
 وغدا فيه ينتحي ويشاور
 حرك الله فيه تلك المشامير
 فلباد إلى الوغى والنصابير
 وتلاجبي ومطلة ونحار
 حقا من موارد ومصائد
 نجسوا « قسه » بعار الجرائر
 وأباحوه للقرود الفواير

مواقف شرفية

جمع الله شمل يقرب لما
 فلك المقرب القبي المضى
 أرسل الجيش في مواخر موج
 ولوات امتداده كل يوم
 في سبيل الله والدين أبى
 وبه السن التواريخ تشدد
 بهم يضي وجوه المعالي
 وأقرت أرشنا بأبى

وجدوا من يرتطم ويظاير
 عرف الشرف فيه حين يناير
 وعلى طائرات جو هوادر
 متجدا زائدا بعزم مثاير
 خير سمى له المهيم شائر
 وبه أوجه الفروخ نواير
 في حمانا وأبجت كل خاطر
 وجميل طي الحضارة وأقر

الملك العبقري

تلك أخلاقنا بها نحل
 تلك عادتنا بها تناسى
 حشرات لشعنا باقيات
 جمع الله سرها في أمم
 خير من دبر الشعوب بصديق
 وتعدى شرائر الخطب حتى
 جرد العزم أظلمها أصملا
 وإذا العرش عرشه في قلوب

وتوالى أخواننا ولعاشير
 وتباها ألائنا والأواخر
 لم تشبها مدى الزمان حقائير
 عبقري من غيصر الظهر ضاير
 في نواها حكمتة وأوامير
 حسنت همه الهمام الشرائير
 فإذا الخطب عن مثاله قاصير
 هي بالحب خافقات غوامير

وإذا الترقى والمقارب تهوى
وإذا الأرض كلها تنباجى
توجتبه العلى بانفس تناج
لم ألت اليه يمة دهر
فأستوى فى معارج العز قبرا
حسنت حديثها عنواتر
بمرايا أعماله ، وتطاهر
من فخر امرضيع بالماتر
موجب هائم ، لفضله ذاكر
خالد الذكر - شامخ القدر ، ظافر

القافلة تسيير

كيف يرقى الى علائم وهمم
شاوره يسابق ؛ فهيهات يدنو
كيف يدنو من شاوره عن يرابي
وينادي بشعبه فى مراد
هاجتا ، لو دزوا ، هيام اصيل
انطلقنا لمجاده فطلقنا
واحد العصر لا ارى له كفا
ليس بدغامه البقال ولكن
قبراهينه الصنحاح تناجى
القد حمد والقد شكر لرب
وجانبا به اماما امينا
ونعاننا الى التعاون حتى
فالتقى شعبنا على كمل بر
او يدانيه فى الابد صاغر ؟
سنة طاع ، وحاقده ، ومفاسر
بسمار مزيم ، ويقامسر
ريحه ساقط خيس وخاسر
ارحبي من التوافد نافر
تغلى بحسنها ونافسر
كل انى يمله اليوم غاغر
هو حق برغم الف المكاسر
كل فكر يحقها وضامر
فيه اسدى ذخيرة بل فخاير
ظاهر الذيل ، سالم الضور ، صابر
رفى جاف ، وقر شاك وذامر
وتلاقت اعشاده والخناصر

بناء وتعنيح

فشهورنا على التخللف خزينا
وستواق من السدود جنوار
ممنات حديثها مستغنى
حسنت من المليك المفسدى
تباهى بصنعه معجبات
بين حقل ومعضل ويصاد
ورياض بالعلم خضر نواجر
باتباينه عن عيون نوافل
هو فيما عن ساعد الجند حاسر
توجده مستبشرات عواقس

مسيرة الفتح الخضر

وذفنا الى مسيرة فتوح
ودفعنا كالموج ما لته شط
فزحفنا من القرى والجواقر
او ليام كاستيل ما لته اخضر

واستعدنا ضحراءنا ؛ فقهرنا
 ونية هزت البيضة هزاً
 صكت الأرض صكّة فاجأتنا
 أبدعت سره قزحاً شهباً
 هاشمي وأطلسي صبراً
 حرك الشعب كيف شاء فليبر
 فتداعى إلى تخوم الصحاري
 ومضى يقطع القفار ويطوي
 وتخطى حواجز الفحل حمى
 وغدا حللنا حقيقة حقيق
 وفتحنا . لا بالسلاح ولكن
 وحماس فد رنا فالتصرا
 فالتقى - بفتة - شمال قصبي
 ومحا الله قزقة يقضباء
 وأعيد الفخار غدا طرباً
 وتناجى كل الأنام بفنح
 تلك العجوبة الأعاجيب حقاً
 أبد الله بالنجاح ضياعاً
 فالتشى بالسرور كل قزاد

ولاء لمن ينقصهم

يا سليل الرسول يا خير بشري
 حسن أنت في الفخام قنود
 وأمين على الامانة برجي
 نحن مولاي بالصفاء نوالهمي
 بينت مال الرسول ، أكرم بيت
 ونوالي امامة الحق فيهم
 ايتيجنا بعهد عز شريك لها
 وسرورنا بما صنعت لنا
 ويدك تذل العيون جميعاً

يا امانا من ذاهبات كنانهم
 وبناج بخالص النور زاهم
 مثله للدين ما يسير الخواهم
 خير بيت في الارض نام وظاهم
 لا نحاب في حقهم اونسدادهم
 واليكم تراثنا اليوم عاهم
 صار في هامة النفاي صفائهم
 ولدين ، لشرعه انت تاضهم
 لفلسطين ، والفداء الفضاهم

لك في كل موقف حتميات
قد رايتك متاعيتا في وئام
وسمعك للحقائق تدعو
ليس تخضي لك المآثر يا مسمون
كيف يحصى سجل تلك المزايا
كل أيامك الحيمان القوالي
فلتعيش في كرامة الله يا مسمون
وتحييتك الاله من كل رينسب
وليبارك ولي عبيدك رب

تلافى خصاصة وخصائير
والى وحدة الصفوف ثبات
كل لاد وغافل ومشاووز
هو من انفس المني والمفاخر
وهو السيل بالمناقب واخبر
حي اقياد غيرة ونبات
فلك المجد حوله اليوم دائر
وليمت حاقليو ياغ وغادر
عادل الحكم ، باهر الصنع ، قاهر

الرباط : المدني الحمراوي



جل عيد العرش

أن يحسب ذكرى

لشاعر مغربي العزيز الكبير

لشاعر مغربي زكريا

أي بشري تغمر الشعبة إيشامينا ؟
 فمظني يستلهم الذكرى فقلامنا ؟
 أم رسالاتك في عشرين عامنا ؟
 وهو مع طول العدي ، يبتني الدوامنا
 لتتاجنا ، حثيتنا ، وغرامنا
 في احاديث الهادي والندامنا
 كلمنا حين لها اليقظان ناعنا
 أزلني ، زحفه راع الانعامنا
 فلي دمانا ليس يدري الامرامنا
 عمتنا كيف لا نغفرض هامنا
 مودم المنرب ان يزعمي الغنامنا
 شراوان لمضي على القفو كرامنا
 تركنا نغفادي الانعامنا
 سوفه تلقى بيدنا الائتمنا
 في البرايا ... جعلتنا تشامينا
 تيد بلفتنا في سرامنا البرامنا
 فقمنا للحشاشات انضمامنا

لست أدري ... أي عيد يتسامي ؟
 أي ذكرى ، هدهدت مجتمعي
 ذاك عيد العرش ، في خمس وعشر
 جل عيد العرش ان يحسبنا ذكرى
 انما الذكرى لمماضي قدبر
 يتيلبي القلب من اطيافه
 كزوى الاخلام في حلو الكرى
 انما العرش امتداد ، دافق
 نخب من غير من شارب صاوخ
 كبرياء المجند في انلابنا
 وأصيل المرق ، في اوصالنا
 ومفناء السروج في اخلاقنا
 والامتعات ، وما اعقلنا
 والجراحات ، وما اعيقنا
 والاضلالات التي ليغيبو فيها
 وكفى لأقزام خربنا ... انما
 ومضمت قافلة الزحف بنا

* * *

يا ملاذ البحر . في هذا الحمى
في بلاد ، خبا ، في اضلغى
وربوع ، طافحات بالوقا
كان ، صناع البقا اقدارها
ياخيرات بالشعارات التي
ها هنا نجد ، وفي هذا الحمى
بلد يخضر في حمراته
فوضيت فيه الملايين التي
فقطى العقل ... وضادت حكمته
من يكن يجتج للمسلم فقصد .
او يكن يثري بنا القيد ، فحين
هكذا علمنا انما
فمرنا فليرانا غللا

جلب في عيالك ، اقربك السلام
لم نزل جذوته تذكي الضراما
والصفا ، اضحى لها النيل التراما
فمشت بالعموم تجتاح الغلاما
جوعت شغيا ، وغلته كلاما
يرجع العقل انرانا واعترانا
بالمسيرات ، اعتدالا والتحامنا
وازع العقل ، اقتضيا واختكامنا
فصدد الدهر لفتياننا وقامت
عاش هذا الشعب للمسلم . حملا
ميم بالقدرة تجرعه الحماما
ان نرد السهم ، لا ترسي النماما
عن حجابنا ، فانتزعنا الاجرامنا



قتل الانبياء ما اكفروه
داس الكرمي فيه ذمته
وطفى في الارض ، لم قربا به
رب .. زخماك لقوم ، ذمهم
كان في اقدارهم ، جلادهم
ادهموا الدينا ، وقد ادهم
وغيبى ، عقله في اذنه
ايضا الشادر في غلواته
ان للحيق قاصدا ، عادلا
وسليمان ، على قناتيه
فاختفوا الاتناس فاشاء لكم
اصبوا ما شئتكم ... غير فهمي
نميل نبالتي والعدا في وطني
وذروني اذرك الدمع على
كم شملت الناس والدينا بها

لم نزل بالقي صيا متياما
فتردى ، يحسب الاسد تعامنا
عفتة . ان يطلع الرزق الحراما
عن ذي ... بانوا ايامي وثامني
وذئاب جافحات ، ترامني
فعلينا عاش امتنانا ، واجرامنا
وغرير - بعد - لم يطلع فطامنا
ان المظلمون غيتنا لن تمامنا
بصرع الظلم ، وجتث الطامنا
ارعب الجن .. وقد حر خطامنا
رعبكم .. قد كشف الدهر اللثامنا
وضميري فهو يهني ان يضامنا
كيف غالب الردى خمسين عاما
وحدة ، في حيا ذبت هيما
يوم كان الحق عنما يتعاسي

وتفتت بها طول القدي
فإذا الوحدة خليم ضائع
وخيال من خيالات الرؤى
وإذا الشعب : تولى امرها
ورجال الحكيم ... أما اخلصوا
وتخلص البعض من أظفائه
كانت الوحدة في عفريننا

ومن الناس تناسها احتسابا
وحساب لم تكن الإهتماما
ومرات من أظفائر القدامى
كانت الوحدة حقا ولزما
وانقاسوا ونعاسوا الانقاسا
وانساع الحزن الحر الهما
مسلا ألعسى ، وحيا وولما

الدار البيضاء : مفدي زكريا



ذاتية الاسلام

ذكرى مولد الرسول
للشاعر عبد اللطيف خالص

ذكرى تحدد النفوس معانيها
وتعيد للأيمان عهد بروغمه
وتثير في الأعماق قدس مشاعر
وتث في روع الحيارى حكمة
ويجول في أراهمنا مثاليها
يزهر الزمان بنورها متهاديا
وتقيم للوجدان صرحا راسيا
وتخط للإنسان نهجا باديا
تعدو بها القلب المروع صافيا
تفكر يتوق إلى الهداية حائيا

* * *

في مثل هذا اليوم جاء وجودنا
وثألت الأقراع في أرجائنا
واقتر ثمر الكون بسم رؤسنا
وعرا الجزيرة في صباح باسم
جاء الرسول بناذرا بفتنة
بهتدى البرية لاقتصاد طاهر
ويحسور الإنسان من ثمر الهوى
وبهتد الشوك البقيض معاقلا
حتى قدا الاتحاد ربيبا دارسا
وانهار الاستبداد رغم رسوخه
فإذا البرية اثبتت أرجاؤها
والدأبت الدنيا بهاء مثاقيلها
واكتمت الميزور جواهر وبواذيرها
وبدا خفائه للبعثاتير وأهيا
فبس من الرحمان يحوي العاجيا
ورسالة عظم بشيرا داعيا
يملو به العقل المفكر جالسا
ويقوده نحو الهندى عتافيا
حبت خيال الطافلين الجالسا
وعبادة الأجسام امرا نابسا
وانهدأس بنائمه متعافيا
وتوطدت فيها الحقوق رواسيا

﴿ ذاتية الاسلام : » نظمت رابعة المجددين خلافا دينيا بمناسبة عيد المولد النبوي واقترنت هذه الذكرى بمرور أربعة عشر قرنا على البعثة المحمدية وقد استدعى الشاعر للمشاركة بقصيدة القيت في هذا الحفل الذي نقل على شاشة التلفزة وأمواج الاثير .

وتحققنا اخلاصنا في بعضنا
وتحسرت أفكارنا وتوحدت
غرجت بها الحق انتمو نراقبنا
تدعو وتعيد ذا الجلال الباري



مبادئ الاسلام

قل للذين تنكبوا للعقيدة
اسلاما فسيق المذاهب رحمة
اسلام واعترفوا المتاع الفاتنا
وتقاربا بين الشعوب ووحدة
وعدالة بين الزوى وتساورنا
وتناسرا ، ولأروا ، ولاخبا
منقولها في الدهر ينقى شاربنا
وتنقى مجتمعنا علمنا راسنا
يقاوم التشريع جينا واقنا
بين الفئات تعاقبا وتواليها
وبادلا حرا وتقدما جارينا
تعيد المدين تخبأوة وتراينا
حق الفقير وقربوة تدانينا
شمال الحلال ولو تكديس واقنا
ذا المال كني يقن وفيسرا زاكينا
الله اعطاهما النظام منالينا
تنقى شرونا جمعة وماسينا
وتعيد علما المبتذل الباغنا



نكبة وخلاف

يا خير من حمل الرخاء لامة
قد جئت تدعو المسلمين اوحدة
وتفخت الاستيهاد في ارواحهم
لكنهم حادوا فضاوا في الزوى
وتحكم الاعداء في اوطانهم
يارب لقد عظم البصائب فداحة
ان احتلال القدس اخزي وصيبة
ان احتلال القدس اقمى نكبة
قد قدرته حواضرا وبوادينا
تبني صفوفهم بناء راسينا
وسلات انفسهم يقينا ماسينا
شعبا ضعيفا في الغواليم وانينا
واستعمر وهم انفسنا واراضينا
وخطورة وتحدينا متعادينا
نضم القروية خاقبنا او ماخينا
خلت بنا وفقت قضاة غائنا

ان احتلال القدس امير واقنع
ما حل بالامم لم يخطب مثله
فالخربة القمامة تنذب حقايقا
والمسجد الأقصى المقدس اقبر من النسي
وفراقده اليريدل الكرام لوثر
وعنت تياريح الاحاليق حطبة
وعلا صراح المسلفين جميع انهم
لكن - واستغناء - لم يعبأ بهم



طرق النجاة

كيف النجاة وقد تافرت القسوى
لا حول للعرب المضاعفة لصلهم
وتبادل التهم الرخيصة بينهم
والغرب ليس لهم سوى الشكوى الى
ان النجاة لفسى التطشور أولا
ان النجاة لفسى التطشور أولا
ان النجاة لفسى التطشور علقيا
والحول في فكرنا المعنوي وما
ان النجاة لفسى الرجوع لسنة
واناء ما نمت الالاد بفعلته
وتسابق نحو التقدم والاعلا
وتسند ازر صفوفنا قيسى وخيطة
وتروم اصلاح البلاد وجيشها
وبالاقتصاد الحر لرفع شأنها
ونخشب الاوطان شر مذاهي
فالقوميات المحدثات بدوسها
والاشتراكيات شمر كامن
والاشتراكيات اغنى الله عظم
لا شرق بقريننا يزخرنا بقولته

وتجميع الاعضاء صففا جاتيا
الا الصراح يرددون له عاليا
وتقلب في الوضع يغري العاديا
مين لين يرحم باكيا او شاكيا
للمسلمين الصادقين وثاقيا
حسب الظروف وفي التاجي حاليا
وثقافيا وضاعفيا وسياسيا
يجر من شر الرواسب راقيا
الاسلام كي تهدي الضمير الغاوي
في الدين والديا الاداء الشافيا
يرمي به عنا الخمير الوائيا
نلنا بها الامجاد دهر خاليا
ونعده للعاديات سعديا
ونقى البلاد ناخرا وتوائيا
سليت فؤاد الجاهليين الخاوي
ونعلنا شترا اتانا غازيا
ونقيضها حمل الهلاك القاضيا
بها بالركاة المسلمين بقاديا
لنعاره الافاك ما انفك داعيا

لا شرق يقرئنا ولا غرب فك
ان الخلاص اذا اودنا العز ان
ونذود عن اوطاننا نسي وحسنة
وتعيد للاسلام تسون جماله
ونجسد الاوطان غير مدها
وتكون اعلا لانتشار قنادم
ونحرر القدس الشريف واهله

ل بيتنا ان تكون موالينا
تدع التحالف يمنة وشمالنا
كبرى وارفع للتهوض حياها
وجلاله متلقا متعالينا
مخلوبة وجسدت فزاد خالينا
ونزال آملا به وامانينا
ونصد عن ارض العربيه غارينا



ابتهال

يا منقذ الاسنان من شرابه
جاء الكتاب مئوها بك مئيا
فتناء ربك خير مدح يرتجى
عازام مدحك بعدد ذوق مقبول
قد صار حبك غايته وتحتجبي
فاقبل مواطف مستهلم « خالص »
يا خير من عم البرية نور
اني فمدك خاتما متضرعا
وطرحت نفسي في ذراك محبة
انني غسرت من الحياة بوخر
وهبت بالديا اريد خطامها
وظللت في دار الشقاء سعادة
ولن دناك المنفون تقربا
قدمت في ذكرك ياخير النوري
وتلوت شعري في المحافل آملا
فارحم نروني اني بسلك والحق
وامن على الشرق السقيق بنحة
وتهب لاسترجاع مجد ضائع
وانصر امير المؤمنين امامنا
واخفف ولي العهد زمن بقائنا

ويلقن الافناء درسا راقنا
وتكفي بذلك مقفرا وتاجها
اعلى مقامك في الخلقية سايا
الا وكان العجز منه بادينا
وهدي لما ارتجى ومرامنا
عبث الهيام به فباح منادينا :
ولواله غمر القواليم طامنا
وطرقت بابك للشفاة راجيا
وتعلقا وتشبها وتقالينا
فان وضعت من الطرح امائنا
وعنددت مائها متاعا باقينا
وتركت الاخرى غافلا متلاجيا
فانا دعوتك مستجيرا عاجينا
مدى المشاعر سمين قوافينا
منك المداعة متفينا فانا
واجب لدائي رقة ودمائنا
تذكي حماسه وتوقظ غافينا
يخفي على الاسلام ليورا سايرنا
ومليكننا المحين الهمام الثاني
ورشدنا المحبون جفنا واقنا

الرباط : عيد اللطيف خالص

الاستسعاد

بملاح سيد الأسير

على نهج بانث سعاد

للشاعر محمد محمد العاصمي

والروح منى لداج الحسن تقبل
ان شاعني لكتاب الله ترتيل
فهرها في جمال الطير تبيل
ناداه بالوحى والفرقان جبريل
فكل لفظ من الالفاظ قنديل
جيل دعاه لعيد النضال جيل
كل العوالم للأجساد تليل
تسليها بظهور الحق شميل
نيل الرسالة ، والانسان مسئول
شوق وعشق وتكبير وتهلل
به زبور ، وسورة ، وانجيل
وفي اللطافة وجه الحق معقول
قيمت روعي ، ووافيتي الاكامل
بحل الدياجي ، فتجانب الاضال
من الضياع ، فلم تبق الأباطيل

قلبي بعبه رسول الله مشغول
اني ارى وجهه بالبحر يسمي
ذاك لجلال عبي روعي وهديها ،
فالتور من احيد الهادي استبان وقد
وفي احاديثه ذكرى وموعظة ،
ومنذ آدم والاجيال اجمعها
ان الخبيب الذي من اجله خلقت
بكفي قرشاً بته فخرا ومنقبة ،
يسأل الكور عنه همه وسعت
اطوي العصور الى ميلاده ، فانا
فسي عبده مؤلده فجر ينشرنا
كثافتنا صرنا نساها واترعتنا ،
هناك في المنيع الصافي وكثره
هناك اصل الهدى للكون اجمعه
والحق جاء لكل الناس ينقدهم

مجمد من حروفه السور تكتبه
 ووحدة الحب والمحبوب ظاهرة
 نفسي قدام حبيب كنت أشقته
 رسالة الحق أدامها فواصلها
 وتلك نجمة رب العالمين لقيت
 على الوجود ، وفي اعتاد تأصيل
 تلك الأمانة ترويتها وتحفظها
 ان الشوق في التوحيد قلادة
 للدين عظمى سوى الاسلام نسلبيه
 وكيف لا ، ورسول الله بلفظه لا
 والله فضل في القرآن شريعته
 ندعو لتوعية في الدين شاملة
 (ان الرسول لم يفسد استثناء به
 وغيرة المصطفى ندعو عزائمه
 شم الأنوف ، أسود في معاركها
 وصفتنا واحد عند القداء ، فلا

يد الله ، ويوضح الإنس ماغول
 في كل شيء ، والآيات تقضي
 قبل ازديادي ، وعبد العشق مؤسول
 أهل الحجى ، ولذلك السير مدلول
 حارت لأدراك لحوائجها التحليل
 محمد جوهري فرد نصول به
 أحيانا ، وعليها الطبع محمول
 عن غيرها جوهري الايلاء مفصول
 اذ فيه للروح تقويم وتقدير
 والحق دوما عليه صبح تغويز
 والبر قد ضمه ذكرك وتنويز
 حتى يزول بها غي وتنجيز
 مهتد من سبوق الله منسول
 فتحسن اجتهاده الفهم الياسيل
 يحيى شملنا بالنصر تفجير
 يرغى جحافلنا في الياس تاجيل



يا سيدي يا رسول الله ، أنت لنا
 أعظمنا المثل الأعلى لتبعه
 وسبلك الخس الثاني بغيره
 في كل قلب له رسم يرصعته
 احيا لنا نجوة الأجداد ، اذ هتفت
 وجنده من جنود الله منتصير
 توجيهه حكمة نصفي لروعتها
 من المحيط الى آخر الخليج له
 اذى الأمانة في (الجولان) مخيمها
 و (خط بارليف) قد زالت خرافته
 و (الاطلس) البحر في ابطاله ظهرت
 كم كجلا بضياء الفرس اعينهم

عزم ، وحرم ، وتوحيد وتكتيل
 فرائضنا منك للأعجاز تخويل
 على المسارم في الايقار محمول
 نور ، وينقشه بالحب ازيميل
 به علي مستمع الذئبة الاحاقيل
 على الظفافة ، وسيف الفدر مقلول
 والحر منطقته بالحق معسول
 عز ومحمد وتقدير وتجييل
 وعند اسناء للأبطال تسجيل
 والكفر من شدة الزلزال مخبول
 خوارق لهمو منها سرايل
 والعين قد زانبا بالعربس تكجيل

فوق العوالم رايات واكسيل
 وتحميه مظلم الوجدان ، مهزول
 وساعده من طيوح الشهب مفتول
 سمات لبناء الضجج تشقيل
 ورمونا اليوم انفسان وتاهيل
 من المعاصيل تركو والمداحيل
 فنحن في وعينا حزم وتوكيل
 تحررها ، فهو الوحيد تكميل
 عبر التواريخ تقسيم وتذليل
 فيها لامجادنا الغراء تخصيل
 اخواته ، فانجلي للشعب تنهيل
 احضانه ، وشبهوه الحق تكفيل
 لمجادنا ، ولسان الحمد ترسيل

ففيه العسر تيسير ، وفيه لنا
 يشيد شعبا قويا في احباله
 فنحن بعث وانما لمفكرينا
 ونحن نعمل في الورش الكبير ، وقد
 نرجو الكفاية في استنفار تروتنا
 وفي مسيرتنا الكبرى وموكبنا
 للعرش والشعب ميثاق تمن به
 ونحن رايتنا الصغراء قد عرفت
 والغرب الجرا لا يرضى اجالته
 والبع (الحسن الثاني) ، بدائمه
 في اقامة يرباط الفتح يا معنه
 والعرش قيم (فلسطين) الخبيبة في
 وفي مسيرتنا الصغراء قد بعثت



قالقوز منك لمن يرحوه مأمول
 فانت للعفو مبعوث ومجهول
 والبرد منك له يستبر وتأميل
 (لا يشتكي قصر منها ولا طول)
 لا راقى من معالي الثبل تميل :
 وفي (البشير) انفتاح القلب معقول
 قريحة شاقيا للومل تحصيل
 فان رضى فان العبر مكفول
 الصخر الخطايا ، فسر العفو مسدول
 ما أموزني من الريح الرساميل
 دنا وقتنا ، ومثل الغصن تمويل
 قلوبنا ، في البشري مراسيل
 ففيه للخير والمعروف تنويل
 من ربه ودعاء القلب مقبول

يا عمدة الكون ، يروح الجواهر جد
 ان كان كعب ، اتي بالذهب محترقا
 وان (بانت سجاد) فيه شياقة
 تلك المصلحة اثنى حشبا عجا
 يا حيدا مثل منه يشر قنسي
 (خطري) من (الحسن) السليم شرقه
 يا سيدي يا رسول الله جئت في
 آتت الخلاص الذي نرجو عوارفه
 آتت الشفع الذي في ظل رحمة
 يا رأس مالي ، ويا كثرى الوحيد اذا
 آتت الرصيد التي عزت تقاليد
 تسعي الى سيد المسادات في لطف
 ماخاب من قصد الهادي وساحته
 عند السجود فؤاد العبد يقترب

الرباط محمد العلمي

قد بلغنا المراد في ظل عرش للمشاعر محمد بن علي العاوي

حقق الملك نعمة التوحيد
 واقترت لنا العدالة بالحق
 أي نعم لدى المواطن الملقى
 قد أعادت لنا الميرة أهلاً
 وأربنا الأنام في كل صنيع
 وبدا الحق مشرقاً يتلألأ
 جصص الحق يا بلاد قتيبي
 أنت المجد للعلى لمخار
 قد حياك الله تجمها فريدا
 وجدير أن تفخري وتباهي
 رفرفي خيرة وهي انتخارا
 قد بلغنا به المراد وثلاثا
 قد بلغنا المراد في ظل عرش
 وبلغنا المني بفصل منك
 قد حياك الله رايأ سديدا

ومحا العرش باليات الخلود
 في فعدنا لأرضنا من جديد
 من بلوغ العلى وكسر القيود
 واسترد الحمى مناطق بيده
 كيف تقشى الرعى بغير حديد
 فوق أرض الحمى وماوى الأسود
 وأرقى راية البلاد وزبيدي
 أنت للعز للبعثا للخلود
 قاتلري التور من براك الفريد
 في بيماء العلى جميع البتود
 وأطرب فرحة بأزقى العهود
 عيشة العز والفخار المتيد
 مشمخ البنا عظيم الجهور
 دابة في الحياة فك القيود
 قاتل الحمى براهي سديدا

وارانا نواكب النضر تهتبا
قد دغاهنا مليكنا فاستجاب
فأرمال الحمى لشجرىر بيـد
لندا الهجد والشمال الحمىـر

* * *

راية النضر رقرقى وأعيـدي
رفرقى فى العيون فى كل حيقق
نحن حول العصا أرايط حتى
نحن فى فوق موطن المجد تيهنا
نحن فى فرحة واكبر عيـد
من تراب الحمى وأرض الجندود
وأرقصى فى سما غربن الأسود
ياذن الملك بالطلاق جندود

* * *

ربة الشعر وفردى وأعيـدي
حقق النضر للحمى وأرانبا
نحن من حوله تكافح حتى
نحن خلف الهمام خلف التقلى
كم حبا هذه المواطن عطفنا
كم حباها من المقاحر فجيـدا
كم ديار للعلم شاد فاعطيت
كم أباد يخاف للملك تيهـدو
وأرقصى فى ظلال عرشى منجد
ثمرات الفدا وبذل الجندود
يسترد الحمى جميع الجندود
أبد الدهر من كبر الجندود
أيوا وكىم بنى من سـودود
يتللا بكل نحر وجيـد
ثمرات الحيقى لكل مريـد
فى سهل الحمى وفوق النجود

* * *

يا بلاد الجندود حلك عيـد
قد أتى والنقوس ترغبل فى المـر
أي أرض كارتينا تهجبا الأسيـد
خلقت للسلام والعدل والنخـد
ما رأينا لولا المسيرة قوبـدا
يا لخضراء هزت الكون لمـدا
يا ليا من تسمية ظلتهمـدا
حقها الله بالعناية والفضـد
هو أبى من الفاعيد وظيـد
وتشدو زوالع التهجيبـد
وترعى حقوق بيض وشـود
خلقت للسلام والعدل والنخـد
يرجعون الترى بغير الحديـد
أذن الملك بافتحام الجندود
فى طريق الفدا حمير البنـود
فأعطت ثمار بذل الجندود

* * *

يا أبا الشعب والمسيرة والنفس من روحاني العظمى وباني السندود
 ما لما شيدت يمينك للناس من غير ولا لهم من يدرك
 كل يوم نراك تسلك بالسحاب طريق العلى ونهج القلود
 وهب الله أرضنا بك مجدا وجباها الطريف بسند التليد
 ومنحت الصحراء منك أهملنا أقدمت كالعروس في يوم عيد
 تنجلي للناظرين وتبيد في صفوف شبيبة ويرود
 عمها من بقاء ملكك تروى يتلأأ من تاجك المنقود
 أنت جريها وإنشأت فيها لبنيها الإباء كل معبود
 فرج الناس كلهم يوم خذلت بك رايح الرسل أرض الجودود
 ورأينا العيون ترقص نشيد في وتفتي بعهدك المحمود
 هكذا نلت للبلاد فاضحت حنة تشبهني لميس وغيد
 عثر للدين وأمة وبلاد أنت فيها محقق التوحيد
 وليندم شبلك الولي لمبود في سمو ورفعة وصعود

فأس : محمد بن علي العلوي



أموي

ذكرائك عيد لنا

للشاعر العالوي بدر رحمن

تعاينق فيها جمال الحياة
تحرك في قلبها الأغنيات
أدائيق فيك جمال الصفات
وبرهنت حسن أحسن التضحيات
وهبت لأمسى الملى حبات
ومررتك في ثباتنا لؤلؤات
فعاينت يملأدي برغم الفؤاد
بجدهتها منك بالمعجرات
برغرد خلف السوق المثبات
رفسوق السلال و فوق العصاة
خلصودا لأممالك العليات
تسير بحقي إلى السمكات
تجدي المدافع والقتلات
فيما هو ماضي ومما هو آت
حمام السلام نهر الهرة

أموي ذكرائك عهد لنا
نهر المساعر في عمقها
جمال ورودى وهما إذا
زومنت الطوائف في أرونا
وزدفت لمرأ على أصرتنا
فتحرك نور لنا في المدي
لأنيت ممالك الرعى بيننا
ستفسر المصيرة أجيالنا
ويبقى بها السلم في عفر
واسرى مع الشمس فوق القصر
بركبت على مناجات الهدي
حققت أماني الشهادة النسي
وكذبت من قال في عفرنا
بجائلك النور في عفرة
من العفر الحبر الزاحنا

وهبت زمال قدادة القضاة
فانزع السدي دق ناغوبها
ودويت في ليلها مقالة
فتمنت بروحك في سمعها

تغني لمولاي :، بعنت الحينة
وايقظ تلك الربى من عبات
وعطرت في فجرها الامنيات
أفاقت على رجعها ذكريات

احرام يا مدلسا المقلدي
ذليت قوادي يغاني الهوى
تبحر فوق فسواي النسي
تبعث الحقائق في حياها
وخابت على رملها خطوتي
وما زلت اسبح في رملها
ويمن التلال اري جاونسي
فكذبت فيما اري مقاسم
واظلت في افهام خيحتي :
انقدرني اخي : يا ويحتسي
وكتبت القتها غميتي
ولكن عرفت الإنشادي التي
فحملها طيها في المدي
ورددت في سمعها غميتي
حيندازي الفسادة مايننا
الى دارنا نستحث الخطين

وهذه التمثال ومهد الزينة
علمت بلاقي معاني النيات
عندون المسلا ورحش القلافة
نبت الخيال لميق الحينة
فمن قلاوت : التي قلبوات
الى ان تودعتني الخطوات
تصيق عليها سبيل التجاء
وان صفعتني هنا صفعات
التصيح وحدثنا في شمعات :
وطلق في قامسي العلقبات :
وتجهد في فكري اليومات
تحدثنا من وراء القتمسة
ومن لغواهم :، والإسمات
أخوك : أخوك : غليسة استمات
فانني جنون على الاخوات
« فاما الحياة واما الممات »

وحدي الملاح في طهرها
يقل « المرابطة » من جفنها
وتحكي ومالك عن قصرها
أخبر في الرمال اذا ضمتها
وظالت فلينا سبون النجوى
ونمت : برقم العدي : وحدة :،

كسا كنت يا احبابا لم نزل
وتغني بطيها منه المثل
وتحكي النصاب ويحكي الجليل
وصمت من الهوى لا نسل :
وأخرقا فوقنا : ما العميل :
واشتعلنا فيها نثار الانمل

وطارت من القسوح ازواجنا
وابصرت نور النبي الهادي
فبذاك المقظم عاجلنا
ودور هتافك في موكب
فهذا اللقاء فخر لنا
أهلي شعبي لفرحنا
فدعنا تضافح آمالنا

وهام بي الشعر في زورق
اناخي خالي وما مر بي
تلمس قلبي نفاة المنى
أخي في المشاعر ان سنا
فلك المعادة في اوجنا
تكاد الزهيرات عين حولنا
وهدي النجمات في اقبنا
وفي عندك الآن جمعتنا
قدانيت لمولاي وردنا
امولاي ذكراك عند لنا
ولكن حبك في عمقنا
فحبك يراشدني في المدي
متنضي جيتنا على درجنا
قدمت عظيم قريسر الرؤي
بماثلك الخلد في حقلنا

وهمت عليه الى ان وقف
اناخي حياتي وما قد جلق
ويقلج صدري بلوغ الهند
وميلك عقرها لانف
هناك هناك على متعلق
تطير اشتياقا الى من غطف
عرائن شمسين ليمدر تنرف
اجوز فنيا عروس السمرف
ليطرف منهن ما يقتطف
نجمد فبها الهدي المتعرف
يقوق السراج ومهما وصف
مقيدة شمسا عليا جلف
ومضي على لهجنا من خلف
برسر الامارة ومسر الشرف
وباسمك شعب ابي هتف /

مراكش : العلوي بدور حسن

أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي

للأستاذ محمد العاصمي صمداني

بالحق دون خوف أو وجل . أمثال الفقيه عبد الواحد
الونشريسي (1) والفقيه عبد العزيز بن موسى
الزرويلي (2) والفقيه عبد العزيز القروي (3) وغيرهم
من اطلقت اسمتهم عدالة السلاطين المرينيين .

وقد تعددت مشاركات الفقهاء في مباحرة
شؤون السلطة بحسب استعداداتهم حتى نجدهم
وقد اجتمعت فيهم صفات المرينيين والمدرسين
والفقهاء والمفتين والقضاة والسفراء وغيرهم من
المهام منفردة أو مجتمعة .

ومن جملة من اجتمعت فيهم هذه الصفات
نخص بالذكر الفقيه المفتي علي بن عبد الحق
الزرويلي المشهور بابن الحسن الصغير أحد كبار
فقهاء العصر المريني الأول والمعروف باطلاعه الواسع
على علوم الفقه وأصوله .

لا يعرف تاريخ مولده ولا مكانه إلا أن
المصادر (4) تجمع على أنه توفي بمدينة فاس سنة 719
وقد ناهز المائة سنة ، ولعله يكون قد خرج من قبيلة
بني زروال بناحية فاس . وقد عاش في خلال هذا
العصر الطويل خمسة من ملوك المرينيين هم أبو
يوسف يعقوب (5) ، وأبو يعقوب يوسف (6) ، وأبو

سيد تولى المرينيون حكم المغرب . واختارهم
بالدين والعلماء من رجاله شغلهم الشاغل . فمن أجل
ذلك قرروا إحياء الفقهاء ، واستندوا إليهم كثيراً من
مناصب الدولة داخل القصور وخارجها لكتابتهم
واستشارتهم وتربية ولادة العهد وتولي شؤون القضاء
والتدريس والسفارات .

وهذا الاهتمام البالغ برجال الدين والعلماء يبرز
المنحرفة الإصلاحية التي كان يرسمها هؤلاء الملوك
العلماء لتكوين المجتمع الإسلامي بالمغرب ، ومن جهة
أخرى : المساهمة الفعلية التي كان يشارك بها هؤلاء
الفقهاء في سبيل إيجاد هذا المجتمع ، وهو ما يوضح
لنا أيضاً الصورة التي عرفها العصر المريني في عهد
العلماء والفقهاء .

وقد انتشر حيث كثر من الأسماء في هذه
الفترة ، عرابطاً بها وصلته العدائية على أيديهم .
بسبب الممانعة التي كانوا يلاقونها من أولئك الملوك
لاعتاق الحق وإزهاق الباطل ، ولو أصابهم غلبة
وزاوة أحياناً ، مما يبرز الاستقلال التام الذي كان
يتمتع به القضاء في أيامهم . وما زالت بعض الأسماء
ترتبط بكثير من عصور الشجاعة والبطولة في الجهر

1. أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوئشريسي قاضي فاس ومفتيها صاحب تاليف عدة توفي 874
2. مفتي فاس العلامة خطيب القرويين وأصاحبها . الأثر بالمعروف الناهي عن المنكر توفي 880
3. الفقيه العلامة شارح المدونة وناظر المارستان بفاس مات 750
4. الجدوة ج 2 ص 472 - الدرر ج 2 ص 439 - سلوة الانفاس ج 3 ص 147 وغيرها ...
5. أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق تولى 656 وجرأ إلى الاندلس برسم الجهاد أربع مرات
6. أبو يعقوب يوسف بن يعقوب تولى 685 وتوفي 706

ثابتة عامر (7) ، وأبو الربيع سليمان (8) ، وأبو سعيد عثمان (9) .

جاء في التعريف به عند ابن القاضي قوله :
الفقيه المالكي الحافظ المحقق : كان قيسا على
يهديب البرادعي حفظا وقيما . وكان يفتح في مجلسه
ما يشف على الثمانيين ديوانا فيعرضها عن ظهر قلب
... واحد الاقطاب الذين تدهون عليهم الفتيا
بالمغرب (10) .

دراسته :

درس أبو الحسن الصغير بفاس على جليته من
شيخ العلم الاقائل المشهورين أمثال :

- 1- أبو الفضل راشد بن أبي راضد الوليدي
الحافظ المحقق المقيد ، شيخ شيوخ المدونة
في عدة تأليف منها كتابه في الحلال والحرام
وأجزئه في المسائل التي سئل فيها ، وأملأه
على كتاب يهديب : أخذ عنه أبو الحسن
الصغير ولازمه واقتصر عليه . وكان الفقيه
راشدا لا يتعد بمدينة فاس حكما أو جوابا في
نازلة حتى يحضره . ويمشي به . فلم تخلو
فراسه فيه (10)
- 2- استحقاق بن يحيى بن مطر الورداني المعروف
بالأعرج ، وكان آية في الملوثة . وهو صاحب
الطرز على المدونة ، وفقيه فاس ، أخذ عنه
أبو الحسن الصغير وجماعة . ويرقى بفاس
سنة 683 (11) .

- 3- أبو زيد عبد الرحمن بن عقان الجزولي الشيخ
الفقيه الحافظ ، شيخ المدونة ، كان أعلم

الناس بفقهنا مالكا وكان يحضر مجلسه
أكثر من ألف فقيه معظمهم يستظهر المدونة
عام سنة 741 (12)

وظائفه :

كلف أبو الحسن بعدة مهام عليا منها يداخل
بلاد أو خارجها ، فتولى قضاء مدينة تازا أيام أبي
يوسف يعقوب المريني . ولا ندري متى أم كم قضى
في شملته ، كما ولاه حفيده أبو الربيع سليمان قضاء
مدينة فاس خلفا لأبي غالب المغيلي سنة 708 (13)
وكان يدرس بجامعة الأندلس بفاس (14)

مهمة السفارة :

وقام بمهمة السفارة للملوك المرينيين إلى مملكة
غرناطة بين سنتي 708 و 710 وهي مدة ولاية أبي
الربيع سليمان . قام أثناءها بالقضاء دروس بجامعة
غرناطة ووصفه لسان الدين في الأحاطة ووصف
مجلسه فقال : كان ربة آدم اللون خفيف العارضين .
لبس أحسن ذي . وقال كان حسن الاقراء وقورا
خيورا ثبا (15)

ويستوفينا هذا الموصف من ابن الخطيب نقلنا
لقراءة صلوة من شخص لم يكن قبله ولد بعد (16)
وقد كان من الممكن أن يمر الخبر على أساس النقل إلى
السمع التاريخيين وذلك مما اعتمد عليه ابن الخطيب
في احاطته إلا أننا لا نقف إلى تعقب خيارى أمام قول
ابن الخطيب حين يؤكد أنه حضر مجلس اقراءه
بغرناطة (17) ، فكيف حصل ذلك ؟

- (7) ابن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بويج 706 وتوفي 708
- (8) ابن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بويج 708 وتوفي 710
- (9) عثمان بن يعقوب بن عبد الحق تولى سنة 710 وتوفي 731 وهو بابي مدرسة الطنطيين بفاس
- (10) درة البحال ج 1 ص 146 - الجدوة ج 2 ص 472 - السيرة ج 3 ص 148
- (11) الجدوة ص 164 ج 1 - درة البحال ص 112 ج 1
- (12) الجدوة ص 401 ج 2
- (13) روض القرطاسي ص 394
- (14) والأردع حومة قرب قنبدق اليهودي حيث توجد جامع الباتجة الجدوة ج 2 ص 401
- (15) الاستقصا ج 3 ص 177
- (16) الكاتب الشاعر ذو الوزاوتين لسان الدين بن الخطيب السلطاني الغرناطي ولد سنة 714
- (17) الأحاطة المجلد 2 مخطوط

مهمة التدريس :

لم تكن مقرراته ولا وظيفة القضاء بقادرة على ان يبعد ابا الحسن عن المهمة التي عاش لها معظم سنوات حياته ، فقد كان يلقي دروسه كما سبق بجامع المزدع بطالعة قاس (سيد الزائر) وزبما بغيرها ، وعرف من تلامذته عدد من الاسماء التي اشتهرت بمقدرتها العلمية ، وتضمن في هذا المجال اكثر من اربعين سنة كلها في التدريس والفوضى حتى انتهت اليه الرئاسة العلمية وكان من تلامذته :

1 - ابراهيم بن عبد الله الزياتسي الفقيه العالم الصالح ، أحد اعيان تلامذة ابي الحسن الصغير وكان مفتيا بقاس (21)

2 - ابراهيم التسولي التازي القاسي من اهل مدينة قاس . . . له تقايد على التهذيب وآخر على الرسالة ، قيدهما ايام قراءته اياهما على ابي الحسن الصغير ، وقيد على المدونة بمحضر شيخه ابي الحسن كتابا مفيدا ، وشرح الرسالة شرحا عظيما الفائدة ، ولازم ابا الحسن ، وكان حل انتفاعه في التفقه به (22) وقد توفي سنة 749 .

3 - محمد بن ابراهيم بن حبيب الله وبكنسي ابن عيشون ، كان مستكثرا في الرواية مشاركا في امور الفقه وقروعه ، قرا على ابي الحسن الصغير (23)

4 - محمد بن عبد الرحمن الكوسوطي من اهل قاس ، الشيخ الفقيه المتكلم ينقل الفقه مشوبا لاهله ، والحديث باسنيده . . . قرا الفقه على عبد الرحمن بن عفان الجوزلي وابي الحسن الصغير ، وله عدة تأليف منها القور في تكميل الطرور . وكتابه الدرر في اختصار الطرور وتلخيص التهذيب (24)

التوفيق بين التاريخ وتفسير ابن الخطيب ، يجب ان نفترض ان ابا الحسن قد قام بسفرة ثانية غير هذه ، وهي التي يسير اليها ابن الخطيب ، وهو ما تؤيده الاحداث التاريخية ايضا .

فالجل اذا تكمن في ان الرحلة ورجلان ولغيتين مختلفتين ، فمتى رحل ولاجل ما ذا ؟

اما الرحلة الاولى ، فكانت من اجل خطبة اخذ ابن الاحمر لابي الربيع سليمان اثر الخصالحة التي تمت بين المملكتين ، فان توردة لاهل سبتة على بني الاحمر سنة 709 بعث ابو الربيع قائده فاجرح حاميتهم ، وانصل الخبر بابن الاحمر ابي الجيوش نصر بن محمد ، فخشي عاقبته على علاقته بالمرينيين ونصرتهم له فانفذ رسوله الى ابي الربيع راغبين في السلم خباطين للولاية ، وترفع بالتزول عن الجزيرة وولده وخيولها ثريا للسلطان ابي الربيع في الجهاد ، قبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما اراد ، وخطب فيه اخيه فالتكحه اياها (18)

اما الرحلة الثانية فالمفروغ عنها انها وقعت بعد صريح اهل الاندلس للسلطان ابي سعيد عثمان في وفد من صليخائهم ووجهائهم : ابو عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلنسي والشيخ ابو اسحاق بن ابي العباس لرد هجمات الاسبان عنهم (19) .

ومن المعلوم ان ابا سعيد عثمان اعتذر عن اجابة طلبهم لمكانة عثمان بن ابي الفلاء شيخ الفراء لديهم (20) ، فلعل السفارة كانت في رد الجوانح وشرح الاسباب مع ابي الحسن أثناء عودة الوفد وكان ذلك سنة 719 وهي السنة التي توفي فيها ابو الحسن ، ويحتمل وبين ولادة ابن الخطيب قريبا من ست سنوات ، وهكذا توفق بين سنة وبين تصريحه حضوره بجلب ابن الحسن وهو في هذا السن .

(18) الاستقصا ج 3 ص 101

(19) الاستقصا ج 3 ص 108

(20) وهو عن المرينيين الذين جازوا الى الاندلس برسم الجهاد فلولوا واستقبلهم بنو الاحمر لتكوير على المضرب

(21) جندوة الاقتباس ص 86

(22) دورة الحجال ص 96 - الجندوة ص 85

(23) دورة الحجال ص 23 ج 1

(24) الجندوة ص 222 ج 1

5 - محمد بن علي بن سليمان السطلي - بطلي - من بطون أوربة بنو أخى فاس ، نزل مع أبيه مدينة فاس ، وأخذ الفقه عن المقرئ أبي الحسن الصغير صاحب التقييد على المدونة (25)

6 - عبد العزيز القروي : جاء في النس الفقير وعز الحقير : والفقيه أبو الحسن الصغير تلميذ الفقيه أبي محمد عبد العزيز القروي ... وهو الذي جمع تقييد المدونة على الفقيه أبي الحسن وهو الآن مخفى بفاس (26)

7 - أبو سعيد عثمان السلطان المريني ، جاء في الاستقصا : وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بني أمية من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن الصغير (27)

وقد طبقت شجرة أبي الحسن الإفاق الأمر الذي كان يملأ عليه بجليته ، فكان يقول كما يقول ابن الخطيب علي كرسي عال يستمع القريب والبعيد . ولعل أن يكون السر في ذلك أيضا جاء في الإخطابة صبره على هوج طلبه التبرير وسوء طريقتهم في المناظرة والبحث ، وقوله : كان هذا الرجل فيما على بيداب البرابرة (28)

بل أن شهرته تعدت الوطن إلى خارجه ، فيبعد عننا نجله صاحب الجدوة في ترجمة محمد بن يحيى المسفر الباهلي يقول : دخل مدينة فاس ولقي بها أبا الحسن الصغير المعروف عند أهل إفريقيا بالمعري صاحب التقييد على المدونة (29)

مهمة القضاء :

وفي ميدان العدالة نجد أبا الحسن يقيم بمهمة القضاء بفاس ، فإذا به يقضي بين حديد على الأمور دون خوف أو وجل ، وعنده أبو الربيع فانطلقت يده على الظالمين وأقام الحق وجري في العدل على صراط مستقيم .

فيعد العصافرة التي تحدثنا عنها بين ابن الأحمر وأبي الربيع سليمان : كانت يرسل ابن الأحمر تردد إلى حضرة فاس - فسيط أحد هؤلاء السقراء وهو في حالة سكر - فامر العدول فاستروحوه فاشتدوا منه رائحة الخمر ، وأدوا شهادتهم على ذلك ، فامر بإقامة الحد عليه ، فجاد - فاضطرم الأندلسي غيظا وشكيا أمره للوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على الأمانة التي لحقتهم فثار الوزير وأراد القتل بأبي الحسن ، فانتقم بالمسجد ، ونادى في المسلمين حتى قامت الفتنة وثار العامة وبلغ الخبر السلطان فانتقم من أهل الفتنة بغير امتناعهم ، وقبر الوزير للأندلس (30)

تمثيله :

أن رجلا تفرق جهوده بين هذا البلد من الأيام ، لن يتأتى له الظروف للتأليف والجمع ، غير أن اشتغاله بالتدريس والفتوى دفع كثيرا من تلاميذه إلى أن يقدوا تقابيد كثيرة من شروحه وتعليقاته وزودوه على كتاب التهذيب للبرادعي ، وعلى رسالة أبي زبيد الغريواني ، كما ترك تقييدا على المدونة التي شرحها في عدة مجلدات ، وتاليا هو الدر الثمر في الشارح والأحكام .

وقدر ما تدل هذه التقابيد والتأليف على اهتمامه الأساسي بالتدريس والفتوى بوضع قيمته كرجل يهتم بالتقيد والفحص والاجتهاد ، الشيء الذي تحقق وظيفته الأولى كقاضي بغير ، بما أوتي من قسوة وذكاء وخبرة أفضل الطرق للفصل في قضايا الناس والتفريق بين الحق والباطل .

وقد توفي أبو الحسن الصغير بفاس سنة 719 هـ ودفن خارج باب غجيبة بجبل الزعفران .

محمد العلمي حمدان

(25) شجرة الرجال من 218 ج 1 : وجدوة الاقتباس ج 1 من 228

(26) النس الفقير وعز الحقير من 24 - الجدوة ج 2 من 451

(27) الاستقصا ج 3 من 113

(28) الإخطابة المجلد 2 - الخطابات

(29) الجدوة من 296

(30) الاستقصا ج 3 من 102 .

العلامة الحاج محمد الهاشمي ابن خضراء السلاوي

للاستاذ أحمد معيننو

بكل أسف لا يوجد منهم ولا واحد ؟ والله الأرض من قبل
ومن بعد .

ومدينة سلا إحدى مدن المغرب ودعت قسرى
السنة المتضربة عدة علماء أيراء ورجال أعيان الواحدة
تلك الآخر . ومن الحق والإنصاف أن آخر في هذه
الكلمة الوجيزة نبذة يسيرة عن عالم بقي فقدينا .
وقاض نزيه يكنه . ورئيس مجلس الاستئناف
الشرعي للدولة المغربية قيرناه ، فيحوت هذا العالم
تقدت هذه المدينة ركنا من أركانها ، وعالما نفوذا من
من فضلائها ، وقاضيا وزا من زهادها .

هو القاضي النزيه ورئيس الاستئناف الشرعي
النصوص الأيمن ، والمسلم التقى الذي لا يخاف إلا
الله العلامة الجليل « سيدي الحاج محمد الهاشمي بن
خضراء السلاوي » . وأشراف مواقفه الخالدة . .
وأواضعه الجرم ، ونصحه لجلالة السلفان المولى
يوسف رحمه الله شأن علماء المسلمين المخلصين . .
مع ملوكهم المسلمين الأوفياء للحق والشرف .

لشرف مواقفه الخالدة ونصائحه المخلصة .
وساوكة الحميد وزهده وورعه اختوت نكر توجنته
على صفحات مجلة الدعوة الحق « الفراء التي هبسي
الرابطة بين الأجيال السالفة ، والأجيال المقبلة ، هي
بند رجالات الاخلاص والتوفاء لخدمة الصالح العام ،
بكل جهات البلاد الإسلامية ، حتى نتعرفنا على الفقير
الذي يحتاج بلاد المسلمين بفقدان علمائه وأديانهم
عسانا نتدارك الخال قبل فوات الوقت ولات ساعة
متدم .

انه لمن دواعي الأسى والأسف ان يفقد المغرب
المسلم جل علمائه وصلواته . في التصفت الاخيسر
من هذا القرن . لقد عرف المغرب مدنيته وقبضه
بالخصيب الكثير من العلماء والصلحاء والرجسالي
البررة ، يؤدون رسالتهم العلمية والتربوية على الوجه
الافضل والصالح الأمة والوطن . سواء في ذلك
دراساتهم لمواد العلوم الإسلامية ، ضمن حديث
وتفسير وفقه وأدب وأصول ومبطلق وحساب وفلك
وتاريخ وجغرافية . وجميع علوم الآلة . فحيثما حلت
منه بالسهي أو لجبل ، بالقرى أو المدن فخصلا
من المدين كانت تتقابل في خير العلماء . في خلائق
دروسهم . وكثرة تلامذتهم . ووفرة انتاجهم وكريم
أخصائهم . كما تجدهم في اطر الدولة المختلفة يربون
المناصب بفضائل العلوم الإسلامية مع الاخلاق
السامية والاستقامة ومراقبة الله عز وجل . فرسى
كل المجالات .

وهذا الصنف من العلماء والادباء بطنه حبل
ويندثر ببتايغ وبسرعة ، وكأنه لم يكن ! اقفوت الديار
منهم واحسرتاه .

ففي الفترة الأخيرة توالى أحداث الموت أثقل
فأغل بعد فاضل . وعالم بعد عالم وقاض نزيه أو
مفت صالح أو رئيس مستقيم فكادت سمات الهدى
والرشاد تفقد ، وطبقات هؤلاء الافاضل تضججل ،
ولا من يخلفها . وللأسف على ما أقول فصحت عيني
طالبا بهذه المدينة على نحو الثلاثين عاما كل منهم له
قدر ومكانة ، كل منهم يدرس في فنه وهويته ويسن
بلديه وطبقات من التلاميذ الجياد . سواء بالمساجد أم
الروايا . أم المدارس صباح مساء . ليل نهار . واليوم

أسماء

عن عائلة سلا الشهيرة بانفقل والكرام والعلم والادب . وحسن الإرمية . تنسب هذه الأسرة إلى قرية بائسقية الحمراء من هذه القرية انتقل جسد هذه العائلة الفقيه الجليل السيد علي فسكن مدينة سلا واليه تنسب هذه الأسرة المجيدة . كما ارتحل آخرون من هذه القرية لأفانة والسكن « بجبل لعلم » جوار الشيخ الداعية الشهير « مولاي عبد السلام ابن مينيخ » رحمه الله وفريق ثالث من هذه الأسرة انتقل من أرض المغرب لأرض فلسطين الحبيبة . ثم منها لأرض الحجاز مهبط الوحي . ولا تزال منهم بقية هناك ويلاحظ أن أفراد من الذين أقاموا بمدينة سلا انتقلوا إلى فاس .

والد الفقيه « عز العلامة الشهبير والمؤلف الخبير » والمستشار المؤتمن للسلطان المولى عبد العزيز « السيد عبد الله بن خبيرة فقد عينه بمنصب « قاضي القضاة » بمدينة فاس فكان أحد مستشاريه الذين يرأون الله ويؤدون النصح لملك البلاد على الوجه المطلوب . وقد توفى إلى رحمة الله عام 1394 هـ ودفن بالزاوية الناصرية بفاس . وجده هو العدل الأستاذ الفقيه السيد الهادي ابن العلامة السيد محمد بن العلامة السيد أحمد ابن الفقيه السيد علي . ورجو السلي ورد من القرية الخضراء السكنى بمدينة سلا من الساقية الحمراء .

هذه أمة وجيرة عن أسرة العلمية الشهيرة اختصرتها وقد يوجد في هذه العائلة عدة شخصيات علمية جسيمة بمؤلفات نظرا لتكون ابنائها تنافوا العلم أبا عن جد . ومن ذوي الشراء الفكري رحمه الله الجميع . الكل انتقل للدار الأخرى . وبقيت ذراتهم شائرة . ومجالسهم فقيرة ومجدبة . وتلاميذهم يهملون في أودية من الجهل والبيلة والشكوك والانيار .

ولادته

ولد الفقيه بمدينة سلا عام 1278 هـ في أحضان العلم والقضية . الحق بالكتاب القرآني حسب الاعراف المغربية فحفظ القرآن الكريم . على الفقيه الورع « ابن عبد الرحمان » ثم على الفقيه « الحاج

سحمة بزيعل » شيخ « الموحدين والمقرئين بهندة » بمدينة « . ثم اتى للدراسة العلم . فاجل عن والده العلامة سيدي عبد الله وشيخ الجماعة سلا أحمد بن الفقيه الجزائري والعلامة المفتي الطيب بن المدي الناصري . ولما اشتد ساعده وارتفع من مبادئ العلوم الإسلامية . ارتحل لمدينة فاس التي كان والده يتولى فيها رئاسة القضاء في عهد الدولة المرينية . فالتحق في تلك تلامذة « الجامعة القروية » وتلمذ لشيخها الكبار كشيخ الجماعة سيدي أحمد ابن الخطاط . والعلامة الفقيه سيدي محمد القادري . والعلامة المفتي سيدي أحمد بن الجلال الإمباري . والعلامة الشهير سيدي التهامي كتون . وغيرهم من رجال العلم والدين . الذين تزخر بهم « جامعة القرويين » وقد درس بكلية القرويين نحو سبع سنوات . ثم اندرجه الله رجل للمشرق لاداء فريضة الحج . واجتمع بعدة علماء اعلام ينسلك البقاع الشريفة . كشيخ الحنابلة بالحجاز عبد الله القدومي . وتلمذ بالمدينة للعلامة أحمد البرزنجي . وشيخ الحنابلة أبو الخير أحمد ابن عبد الشهبير بمرداد . الحنفي . ثم مفتي الحنفية بمكة صالح بن صالح كمال كما أخذ عن عدة علماء بالشام واجازة الكثير منهم حسب الاعراف المصنفة لند للمسلمين .

اشتغاله بالتدريس

افتتح عدة دروس بالمسجد الأعظم وغيرها وانتفع بعمله خلق كثير . وتلمذ له الكثير من جيله المدية . حيث كانت دروسه أفادة واستفادة . وفي هذه الاثناء اختير برتبة العدالة ثم لمنصب الامانة بقدة مرابي بالمراب . ثم استبدت إليه خطة القضاء الشرعي . وفي عهد المولى يوسف رحمه الله عينه رئيسا لمجلس الاستئناف الشرعي بالمحضر السعيد . وكان جلانته يقربه إليه كثيرا ويستشير به ويعتمد على توجيهاته وصراحته في الحق . وإكمال علي تقواه وورعه . ووقوفه مع الشرح الاسلامي مياعة الشدة والحسرة غير هباب ولا وجل ففي مدة رئاسته لمجلس الاستئناف الشرعي كان عيد الحماية التفيض يعمل ويحاول تجريد القضاء الشرعي من جهامة . لتفتيت الشعب المغربي وذوبانه . كان هذا العالم القدي بجانب وروعه وثقافته يتخذة جلالة المولى يوسف مستشارا نصوحا ومفتيا قوي الأرادة بالله . لا تأخذه في الله لومة لائم فيتمتع بعز حكمة الحماية المفضضة على

أصدار الظهير شريف تتنوع بمقتضاه اختصاصات القضية الشريفة في المعاملات وأمنادها بالمرات والقوادح وهم من هم ولكن جلالة المولى يوسف الذي اجتماعه بالمستشار الفرنسي الذي أتاه بالظهير المستنوع كالفخ . ليوافق عليه جلالة الملك . ويصدر العسل به أمنا أحضر عالمنا للمجلس بأذن من جلالة السلطان ولكنه من نفس مشروع الظهير المعروف عليه وقال له : اقرأه وتديره . وقل لي بقل التبرع الأسلافي فيه . فتناوله وقراه وتمعن ففتولده وينوده ثم قال : يا مولاي : إن وافقتم على هذا الظهير . فإن الغرامة العادية المصنوعة من عند الشريعة حتى يسوم ليس حري بها أن تحرق وتجرى وإمام هذه الصراخه قام المولى يوسف في وجهه المستشار الفرنسي قائلا : لا أوافق على إصدار ظهير شريف يخالف الشريعة الإسلامية . ويقف في وجهها رجال من الأحوال : تم فحيت أيام وجاء دور آخر من تدليس الحماية البيضاء : التي كانت تعمل في السر والعلن على مخارطة المسلمين وإيهادهم من التحاكم لكتيابه الله وسنة رسوله . وكانت المؤامرة هذه المرة تحاول إسدان الظهير المبرري الشهير الذي كان يدرين وجهه عند الاحتلال . للعمل على الحيولة بين النزاع الإسلامي . وسكان المغرب المسلمين . ولكن جلالة السلطان المولى يوسف أعاد الكرة هذه المرة وما أكثر موافقه بجانب شريعة جده عليه السلام . فاعتبار أحضار هذا العالم النعوج أيضا وإنه يستشار الفرنسي بين يديه يحاول نيل موافقة جلالة السلطان على إصدار الظهير المبرري بتقسيم المغرب شطرين : عربي وبربري . بعدما عاش في كنف الإسلام شعبا مسلما موحدا . طيلة ثلاث عشر قرنا دون أن يلحق بالشريعة الإسلامية ما يشينها . فتناول جلالة السلطان نفس الظهير المعروض على جلالتة للموافقة ولكن منه هذا العالم النعوج وقال له : يا مولاي إذا صدر هذا الظهير . وجعلت موافقتكم عليه لا قدر الله فإنه القضاء المبرم على وحدة المغرب الوطنية . ولدينية والاجتماعية والسياسية . فما كان من جلالتة إلا أن واجبه المستشار الفرنسي رفعا صوته : لا أوافق . على تقسيم دولة المغرب وأمة المغرب . الأمة المسلمة الموحدة منذ عرفت هذه البلاد الدعوة الإسلامية وهي متمسكة بشريعتها لا عرضي بها بدلا .

من هذين الجانبين نستطيع أن نتعرف على المخاوف العظيمة التي أصابت المغرب ولا أقول : ميلا

لأن هذا العالم الأمين قل نظيره ومواقفه هذه لجلاله في موقف نهاء المسلمين النصحاء المرتدين .

ومن هذا العرض (الوجيز لحياة) الفقيد الكريم . نتعرف على مواقف هذا الشيخ القديرة الذي رسالته غير متوقفة . ووقف بخيائه الجلي على لقم البشرية بتلقين مبادئ العلوم للأجيال وتكوينهم وفتح الرجال للخافير والمستقبل . بلغ الامانة لكل من حاله واستغناه بصرحة وثقة بالله .

وأقام هذه الحياة المليئة بالمعاني والفضائل كان جلالة محمد الخامس رحمه الله يتبعه مستشارا أمينيا وعالما نصحوا . كان يقدره ويحبه . وجاء دور جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب . قرأ بين الجسيرة بدير وأجلال أربعة من العلماء الأعلام ومشايع الإسلام : اثنان من مدينة فاس الفخاء : عسا شيخ الإسلام . النعوج (سيدى محمد بن عبد الرحمن الأرقبي) . والعلامة الشهير المؤتمن السيد أحمد الشيبوي واثنان من مدينة سلا لفراء : وهما صاحب الترجمة السيد الحاج محمد الهاشمي ابن-ن خفراء . وشيخنا شيخ الجماعة العلامة الحاج أحمد بن عبد النبي . سيميه في العلم والدين والورع والاقتدار والإمانة والإخلاص .

أجل . فقد اتكل جلالة الملك حمزه الله « وسام الاستحقاق الفكري » وقسمه على صدر كل واحد من هؤلاء العلماء الأعلام . وذلك في شهر مارس 1970 م جزاء خدماتهم وشريف هيامهم بنشر العلم والفضيلة والوقوف في وجه الظلم والتفكر والتدريس موقف الشرف .

لنقتصر على هذه السلسلة الوجيزة من حياة فقيد الغرورة والإسلام الذي أوفاه الأجل المبحوم وانتقل إلى الرفيق الأعلى مؤفورا الكرامة مرفوع الرأس .

وعاء لامرته الصغيرة والكبيرة ولعلماء الإسلام الذين خلدوا المواقف المشرفة تجاه البغى والعدوان والاستعمار . وعند الله يالون الجراء الأولى .

ولقد أوفاه الأجل يوم الأحد في عام 1392 هـ وحضر اجازته جميع أهل الفضل والفلم والدين حيث ودعوه لمركبه الأخير داعين الله جل جلالته له بفتولة الصالحين .

سلا : الحاج أحمد معيتو

أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستائوي

أكبر شخصية علمية في بيت المباركين

للمستاذ محمد الشاوي بحسب نسوة

ذا أهمية كفضله وهو القرن العاشر وبداية القرنين
الخامس عشر. اننا نستغرب ان لا نقف له على وثائق
تاريخية نجدنا من اول دخوله لاعظم جامعة توجد
في عصره . فله تعرض كتب لتراجمه الى تاريخ دخوله
الى جامعة القرويين ولا الى شيوخه الذين اخذ عنهم
بها علومها التي كانت تدرس بها والنسب يطلقها
القاصدون . فتحدثنا عن دروسه الفقهية والحديثية
والاصولية وغيرها ، وتعرفنا بالسماء شيوخه بين
احصائهم . بل لم تحدثنا هو نفسه فيما وقفت عليه
من تراثه الفكري عن مكان استقراؤه الذي كان يدرج
عليه والذي كانت سماؤه تظله . لم يحدثنا بتفصيل
عما يفهم منه انه ولد سلا بفاس وانه دخل الكتب
الغلاة وله في تاريخ كذاولج جامعة القرويين . وكل
بذكراته المستندات التي وقفت عليها انه كان يقطن
بفاس لا غير وذلك حيثما تعرضت لمبحثه (2) التي
جرت عليه والتي اذنت به **الى دخوله المجمع فاس**
الجديد في عهد الفولي اسماعيل رحمه الله . فتمت
عرفنا انه كان يسكن بين ابناء هاته المدينة العتيقة
عاصمة العلم والعرفان .

فلولا هاته القصة لما وضعنا ايدينا على مكان
شكناه الاولى . وبعد صدور العقول القوي عليه انتقل
منها الى حاضرة مكناش التي قضى بها بقية عمره الى
ان يورثي بنرايبا واسلم الروح الى خالقها . لكن

هذا الرجل هو اكبر عالم في هذا البيت (1)
المبارك في شتات العلم الظاهر بينهم
وقرء وحاز قصبة السبق في علم الباطن . فجمع
بين علمي الشريعة والحقيقة ، وحلق في سماءها
تحليقا عاليا ، وسما بهذا البيت سموا رفيعا . فكان
ابرز عارف واكبر مفكر بين اقاربه الجبالدة الاعلام ،
ومسافرين من الية الانام ، هو ابو العباس الجديد بين
عبد القادر ابي الولي الصالح سيدي محمد بن مبارك
الشاوي . والكلام على حياته تنجاذ بها نسوج
متعددة ومناهج متشعبة . ويمكن ان اجعلها تسب
العناصر البارزة في حياته التي بيدنا اولها بالبحث
والدرس في هاته المجلة :

اوليته : فاما اوليته فالها ما زالت عتدى جامعة
اشد العرفان لان المصادر التي وقفت عليها سكنت
عن تاريخ ولادته ومكانها وعن نشأته ودراسته الاولى
وكيفية . فلم تتعرض لشيء من ذلك . ولبي يخفى
لاشارة ، فلم تراثقه في هذا الطور الذي يقطع المراء
في اوليته الى ان يسب ويصل الى ولوجه معاخذ
الدراسة العلمية ويعرّف اماكن الضيقة المسهودة لتلقي
العلوم والمعارف .

ومما يستغرب منه اشد الاستغراب ان شخصية
كشخصية ابن عبد القادر التستائوي الذي علا عصره

لا يبرهنه عن البطل أنه قد تحدث عن بعض أشيائه الذين أخذ عنهم بفاس ، وذلك في يائيشه الشبي نطقها في رجال القرن العاشر ، كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً في ترجمة أشباهه فهذا كل ما حدثنا به المصادر التاريخية عن أوليته وعن انتقاله ، ولا محجب في ذلك فإن أخص تلامذته وهو أبو العباس أحمد بن عاشر الحافى الذى أشاد به كثيراً والذي تتبع أثره الأدبي لم يفرج عن الآخر على شيء مما رجونا .

أما موضوع درجته العلمية وما قيل فيها : فإنه

يعد يخلق من أكبر علماء وقته ومن أشهرهم وأبعدهم حيناً ، كان مشاركه في علوم الظاهر والباطن عازياً بأسرار القوم وحقائق المعاني . قال ابن زيدان في أنسابه = ج 1 / 329 - أحمد بن عبد القادر ابن عبد الوهيب بن موسى ابن الشيخ سيدى محمد ابن مبارك التستافى الولي الصالح الفارق الشهير كان عالماً عاملاً عازفاً كاملاً منفتح المجالسة في نيل الفضائل ومعرفة حقوق الافاضل ، وقال فيه صاحب الاستقصار ج 7 ص 111 طبعة دار الكتاب = ومنهم المولى الصالح العاجل الفارق الشهير الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستافى فمن كبار أصحاب الشيخ ابن ناصر ومن حفدة الشيخ ابن عبد الله محمد بن مبارك الرغوى ، وقال عنه قبلهما تلميذه أبو العباس أحمد بن عاشر العادسي : شيخنا الامام ، وقدمنا اليه ، قطب أهل الدائرة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة : مولانا أحمد بن مولانا عبد القادر الحشى التستافى رضى الله عنه ورضينا بحياته .

فهذه شهادة هؤلاء الاعلام من رجال الفن والمزق وارباب الاعلام لاطمة بمكانة الرجل ، ومفصلة بمقدار درجته وعلو قدره في المفارقات والامسرات وهي درجة يتركها غيره من رجال أهل بيته أو يتألفوا بسواد من كبار رجال الشريعة الاسلامية .

علم وعمل اجتمعا لدى هذا الرجل في هذا البيت المشمس ، التبر الذي يعز حصوله وينبذ توافره لدى أحد من علمه البيت المبارك فيما اعلم ، بل انه شخصية فذة وقادرة من كبار علماء عصره ، ناهيك أنه كان يراجع العالم الكبير والشيخ المفكر العظيم أبا علي الحسن بن مسعود البوسى السندى قيل فيه .

من فاته الحسن البوسى يدركه فليشهده الحسن البوسى يكفيه

كما تدل على ذلك مراجعته مع التي ستعرض اليها فيما بعد .

وأما ليله الرائق وتفق شاعريته الفذة فهو شيء كثير رضع ليلانه منذ نعومة اظفاره وامتزج بالحنه ودمه من أول جولاته في ميدان الادب والشعر اللذين عرف بهما واشتهر اسمه مقرونا بهما لقبهما ، وسوف اقتصر على طائفة من ثمره الفنى السهل الممتنع وشعره الرصين الجزل المبدع الخلاق .

هذه نشرة : قوله في طائفة (4) الجزء الثالث

من ديوانه الشعري ما لفظه : الباب الرابع من ابواب هذا الكتاب التامع المقدار ، في ذكر ما فتح الله به علينا من مستطاعات الاشعار ، وهو باب استنعت دائرته . وقويت عارضته . وجمع من رقيق المعاني ودقيق البيان اللسانى ما فيه فستراح الالباب . وارتياح الاجاب ، فما تميت من جد مفروغ قسى قالب الجزل البديع . ومن هزل مسوج على عنوان الجد الرفيع ، فروضته قضاء لا تنفد ارهاضها ، ولا تفرغ من شمار اشجارها . دائرة المرام ، غير مستعصية على الافهام ، وقد رأت ان ابتدائه يقفاند نبويات ، واخرى بذكر الصالحين مشرفات ، ثم اسكنه سكباً ، واذكره فاكهة اوايا ، متاعاً لكم ولا نمانكم . ونزهة لارواحكم واجسادكم ، والله المستعان وعليه التكلان .

ومن هذا النوع الطريف ، ولماخذ الشريف ، ما كتبه صاحب الترجمة الى العلامة الجليل المقداد ابي علي الحسن بن مسعود البوسى رحمه الله اذ يقول بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله (ص) عانته : من احمد بن عبد القادر كين الله له الى من لا ياني ، ان تجعل قدمه على الرأس ، الشيخ الامام ابا علي سيدى الحسن بن مسعود البوسى ، سلام عليكم وعلى من بكم والىكم ورحمته وبركاته ، ويعبد امامك الله واحبك ، ثم امامك واحبك ، ثم امامك واحبك ، واكرم بتخليه محياك ، واخص بمشاهدتك اياه بروض محياك ، فاني كنت فيها ظننت اني كنت ، الى ان اسفرت الشمس وقبح ارج الشمس من القدس ، لقنت اني ما كنت كما ظننت . ولا حاولت مثولة ما تعينت ، فانعكس الفرح ترخا ، وعاد الشرح فرحا ، وحصل الانلال من الماء الزلال .

وما كنت اظن ان الفيل يشايه : وراى من لم يبلغ
 الخنايب ، فطال تعبي وكثر تعجبي ، وكيف لا
 اتعجب وانا انظر الى انعكاسات القضايا واختلاف
 المرديات ، وكيف لا اتعجب وان ليس للانسان الا ما
 سعى ، ومن فاز حكمة المستع ، ولست شعري ما
 يجنى الشيء مع عدم المسارعة اليه ، ولا الكراهية له
 مع العكوف عليه ، وكيف يلد غيبس المتارع للمطلوب :
 مع جهل السابقة من المحيوت ، وهل يباس ذو اجنابة
 وقد سبقت له العناية فيما تضمنه المحيوت من غير
 حجاب ، ولا المعبود من غير عتاب ، ومن امر يخلق
 النعال ، لمباينة الجمال ، ولم يمتلئ المقال ، ايطمع
 في التول على هذا الحال ، فما العيش الا وان يترس
 الجصير في جيب الراقدة عليه ، ويتعمد الشبح بخبر
 السائر اليه ، ثم المقصود من الشيء روحه لما يفسر
 جنبها اير يكن فالقم الفار قديمه ونسي في محبوبة آجله
 ثم اقتدى به في هذه الصناعة من قال اوتو اشيحاي
 بحياة ساعة ، ومن الظلم ممن قنن على الاستسقاء
 ويترك اخوانه في جهنم الانقطاع ، والفاخر معذور
 لله عاقبة الامور ، وانما يعرف بالمحك الايزيد ، ويحيل
 عند الاحتياج اليه الشيء العزيز والمهمزة والمضيق
 لا يجوز اقتنائه باعبار ، وقد لا يمتنع باعتبار ،
 وانما تشكو بني وحزني الى الله .

فلا البرق يبدو من وجهه فعبدي
 وغيري عما به الدهر قبله ففعل

ولا نسمة تهدي اليها خلوتي
 ونشيق منها عرقه الاطيب العجل

وقد كنت قبل البين ارجو لقاءه
 فاصبحت اذكي الان بالظيف اذ دخل

ومن قرية حتى كافي الزور
 ومن رفرات البعد اليه ما وصل

فلا غريب يلام يسبق الامر قبله
 ولا بعد ان لم يكتب الطرد في الازل

الخمسة لله على البيلاية والعاقبة ، وانا اسأل الله
 المفوز عن زلاتنا السابقة والالية ، ونحب من سيدنا ان
 يجعلنا من جملة اولاده ، واهل يوداده ، وهو عيسى
 جميعهم اذا يشاء قدير ، سبحانه من له العلم واليه
 الحكم ، ولا علينا ان نجرد محاطنا من النفس ، واتقني
 له في خطي الانسى :

فما العيش الا والزمان ميسر
 برمتك منها في مخاض عشاق

وقد اظهر الفيل الترييعى نوره
 ولذلك الميسرى وما عزله الساقى

فاول ستر دونها التمت ان ترم
 تراهاقت كيمنا تقوؤ بتروناق

ولا ترض منها باليسير من الهنا
 فتصبح مفروبا يبادر اشراق

الا فتادب واداب السير شاكرا
 لانعم رب واسع الجود خلاق

وان ظفرت عينك بالكسر فاكتمن
 ومث طوبا ان شئت او عسى باسواق

تكم من فني في الحي قد جل قتله
 فاصبح عطلوبا باقتناء اذواق

وادع الله لي فاني مع كبر سنى ما علمت ولا
 سميت ولا اروعيت ، هو لكيف بهذا القدر من تسره
 الفنى الذى يحول به ويضول في طريق القيوم الدال
 على تضلعه العلمى ويتحده فسى المعارف الربانية
 والاسرار الالهية ، فمن بحرهم اغترف ومن احوالهم
 ووجدانهم لطق واعترف : قد علم كل اناس
 مشربهم .

واما شعره : الذى يفيض بدوية وبلاغة ويتفجر
 بلاغة واصالة فانه شيء كثير القدر .. والاستقصا :
 ويخرج من الحصر والاحصا :

فقد رزق ملكة واسعة قوية وتفتحت شاعريته
 في سائر بحوره وأوزانه اذ ربما بلغت القنينة الواحدة
 من اشعاره المئات من الابيات .

ولبيدا بدالته التى قالها في مدح خير البرية
 ورسول الانسانية والى عارض بها داية الشيخ
 اليوسى قال فى مطلعها :

خرج باطلال الاحبة واقصم
 آثرهم يومنا لعلك توتلى

واجز اذا شئت الديار بمنزل
 قد ضم احداث العتيسير الهمد

وأهيب قلبك أن أردنا شفاعته
فات الروح روح قلب الأكرم
إلى أن تسأل :

لولا نبوي ما أقبلت منى مغرب
تشرق المظايا بشاريقون الأجميد
صلى عليه الله ما غيب صبا
ويكنى لزوية وجنسه ذو الكرم
ومنى طويلة تيفد على سيمائه بيت
الشاؤة لها سنة 1125 هـ

ومن هذا المغرب المحدثي قوله :
عظمت نفيسة الله عظمها
واستراحت نملها من أفساد
كل يوم روى من الله فضلا
وامتنانها ورحمة قلبى إفساد
سوى لجباري على ذلوبي جنيها
عازلة لنا مننازل الأفساد
فعمدا رحمة ومنها عطيننا
واحتجنا بنور شرفه هنادي
أحمد المختطف الذي من مناه
زان بها قلبى الأفوار والإنجاد
واحتدى كل سلك طرقت الأور
شاد من حاجر الأنعام وبناد
واوردي كل والد متوها المسو
فيق من رائج وأمنناذي
إلى أن تسأل :

عجبتنا كيف يدرك المرة قيسون
والنبي الكريم رجب النبلاذي
لغيره متوسلا تبليغ الما
قول في القريب من رجب جواره
أشاد حانه القصيدة في ربيع الأول عام
1092 هـ من الاتحاف .

ومن لرب فصاحة دليلة الآية المعصومة عيسى
الأسر كل الناس .

الأجل أيام الضباب والصبا
رجوع ومن لي أن أبشر بالبرد
لأن لا خشى من الدهر لك
فما عرني وحل ولا رعت من حد
نجر ذبول اللوز قيسى روى اتينا
وتحن تشاوي والأزمان أخو ود
وشملى حجوم ولم تدر ما النبوي
ولا ما النبوي واليهن في تطلع السعد
وقد أثرت آمنا وتكاملت
مقامنا والشوك يفيق من ورد
إلى أن عظمنا واستوى الأمر بأن ما
عبدناه من بين ويسدل بالصمد
والشعب فينا ظفر البين واعتدى
عليها واستخرج القلب بالفقد
فلا سال الإفاي عما جبري يهيبا
ولا سال الاحتناء عن لومة تردى
وسل أن تما رحر شجر فاتها
بين ما قد حل بالصب من بهد
واختر إذا لاحت بروق عن الحما
وإطربش التمرد والتدب من شد
وأن حب من أحر المعاهد تمال
فصحت يرتقى وامثنت من الزرد
ومهما ذكرنا مشرلا ومعالفا
عمرنا بها حتى الحباب ومن نجد
تشارعت الاقواق من كل جانب
واقبلت الاجزان في خيلنا تردى
الا ابن عتاروا حين مروا اخبروا
إوادي الحما أم نموا جانب الطود
ومال لا نكي طيهم وأنهم
أخلاء صدف والغرام بهم وردى

قف ساعة نستحضر الرابع عنهم
الأربع أربع يرشد الناس للتعبيد

أقد دهموا بالروح لهذا تهملي
ومن عجب بيت تراءى بلائحة

وجل غاليم ما قالهم من صوارف
الدهر وصرف الدهر من شأنه خردى

هم الناس كل الناس يجهل ذكرهم
وتحيا يوم أروى النفوس من الهمد

هم يستقيت المرء شئد خفريته
بهم تقبل السرا بهم ربنا بسندى

وعا حكاة لمبده الحافي : ان الشيخ سيني
الصالح المعطي كتب مترجما بالآيات الآية :

بلغ السيل الزوى يأسد اتسني
وعدا السيف على حسن الودج

يرجم الرحمن من يرحمنا
نحن فى ضيق وهم يوحرج

ناستطوا المراح فيللى قنسة
ممت الناس وستموا بالفرج

واتهموا بضلة حام الجمال
طال ذا الليل ولا فخر بلج

فاجابه صاحبنا :
بلغ الصبح وفر السيل لى

حجل يمشى من ذلك البلج
لطفه فى قهوه حطما سرى

سريان النور فى جمر وهج
وانسب لفعول ان شئت ان

تدرا الاخشاء عين دام مبعج
وانظروا فجرا قريبا طالما

فى سماء العفر ناسى بالفرج
ولكنكف بهذا القدر عن شفره فى هاته الفجالة

من حياة هذا الاديب الشاعر الفجل : اما نعره فقد
جمع فى ديوان يبلغ لآلة اجراء فخره وقف على جزء

منها المؤرخ الكبير المولى عبد الرحمن ابن زيدان =
الانخاف 1 : 329 = وسوف نزيد المستزيد بنفسه
آخر من نوع الشعر التاريخي فقد ابدى فى هذا الميدان
واعاد وهو داخل فى نطاق تراثه الفكرى الذى تضافره
بالترجمة الآتية :

تراثه الفكرى :

(1) من تراثه وسائله التى نجدها فى تراثه الخافى
وهي المتضمنة للآيات التى فتح الله بها عليه
من محفوظات الاذكار ومرايلات ومكتوبات
واسئلة واجوبة وعصمهات من الاشعار
ومطبوعات منها ما كتبه لشيخه سيني محمد
ابن ناصر فاجابه عنها وما كتبه لغيره = الاعلام
7 ج 2 : 155 = ومنها :

(2) عقد جواهر المعاني : فى مناقب الشيخ عبد
القادر الجيلانى وهو شرح قصيدة اولها :

اقول لما اعنى الطيب علاجته
وقد بل عن شرب الدواء لعلته

الاكف ينجي الدين يا طالب المنسى
وعول عليه فى الامور المعيسة

(3) ومنها نظم رجال العلية مع شرح اوله : الذى
مطلعته :

بدأت بسم الله والحمد انجس
بالوح مرادى سنن كريم النيرة

واسأله تميمير نظم مروتى
بذكر رجال العلية الاعفوية

على حسب الترتيب : اذ كرزهم
ونأتى بهم فى النظم فى ضمن هيئة

(4) ومنها نظم رجال المشوق مع شرحه : يقول
فى اوله :

اقول وماقولى بشيء وانما
بروق مقال المرء بالحمد والشكر

وافضل اعمال العباد صلاحهم
على احمد المبعوث للعبد والنحر

وبعد فان عنت خطوط وخيمت
باب امرئ مثل كتيب من الوزر

فلا شيء أنجى من توصيلنا إلى الكثير
يا باهل الله في الضيق والعسر

يهم يرحم الله العباد يفتلهم
ومعهم علينا تهمي سحب القطر

هم الناس كل الناس من أم يابهم
تروح بلاج العر والمجد والفخر

(5) ومنها نظم رجال الممتع : يقول في أوله :

يقول عبد القادر الملقب الذي

يروم من المولى النصار اخلالينا

الا ايها المرء الذي اشتد خطيبه

واصبح يدعى الله المؤمن بما كبرنا

يوسل باهل الله ان رمت مصره

وعزا ونصحا في الاتام اجتنابنا

غنيتهم من كان في غاشر القرو

ن قد اخطوا بما كان خادينا

واذكر من ابركته وراعه من القيت

ومن كان في الوقيت داعينا

تبلغ اياتها مائة وخمسين بيتا وقفت عليها في
الكتاب الخطي المشروح بخط ابن عاتر الخافى وهي
مروجة بتعليق عليها لصاحبها يذكر ليلة وجيز الحياة
رجالها مع بيان سنة وفاته ومحل دفنه بختهمها
بما في الايات :

فلنحك كذا من شيوخ منظميا

ومن اجلهم لندر امر محابنا

وفي رابع من بعد الالف ومية

بآخر سؤال بهذا متناهيانا

والى ارجو الله بمتجنى ربه

من الخير والافصال ما كنت راجيا

(6) ومنها نظم رجال طبقات الامام الشعرائي وسع
شرحه : الذي يقول في أوله :

يقول ابن عبد القادر الملقب الذي
اتي نحو ابواب الكرام متسولا

والعرف شيء في انشاء امورنا
ابتداء بسم الله والحمد أولا

واحبون قلما حاولوا كل صالح
من الطبقات العر اصح مسئلا

كما ذكر الشعرائي جاء مرانا
وخسبك نظما حاز تاجا مكنلا

ويتشيع كل ابياته يتسرح بما جاء فيها على شاذه ،
ويقول في آخرها :

وقد كتبت والله يحفظ من غننا
بها في مقام كسان اوان نرحلا

وفي رابع من بعد الالف ومية
يدت في سماع المجد بدوا مكملنا

زوالا بعبد الفطر كان ختامنا
وظنى بها اعطى مني الله قنلا

واياتها نعط لسراء وسعنا
كذا نقط فاء عدها قد تحضلا

واسياخها تاتين فوقها
تزيد قليلا دون كيف فتكفلا

(7) ومنها نزهة الناظر :

تمت رسالته واشعاره التي كتبتها في سجنه
ذكرها له صاحب الاعلام ، فهذا كل ما وقفت عليه من
ترانه الفكرى واكثره كما علمت يرجع الى رجال
التصوف الذين كان مولعا بسيرتهم ومسيرتهم حتى
اثر ذلك في تفكيره ، واخذ منه الزخيان الكثير ،
لتخليد ما تركهم وتمجيد اقوالهم ، وقد قيل عن احبه
شيئا اكثر من ذكره ، ولكل وجهه هو مولاهنا -
فاستبقوا النخرات ، وفي الاثر من احبه قوما خسرو
بعهرو وفي آخر بعته المرء على ما عاين فليسه ،
خسرنا الله جميعا في زمرةم ، واعاد علينا من
بركاتهم .

وهذه المنظومات ان دلت على شيء فلما تدل على ما اوتى صاحبها من غارضة غريضة ، ومقدرة فائقة ، وصبر على مثل هاته الاعمال الجليلة ، وعلى توسعه في معرفة رجال القوم ، واتباعه حياتهم ، حتى يسير ما يسير له ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجازاه على حسن نيته ، واثابه بثوبه العاملين الصادقين المحبين .

وقد قال صاحب السر المثنى في حقه : كانت له ملكة في نظم الشعر وعارضة في الادب ولا يسعرب صدور مثل ذلك من احد افراد هذا البيت المبارك المشهور بالعلم والولاية .

وهنا يحسن ان نثبت ما قاله جميل بن مفر :

أرى كل عود ثابت في أرومة
أبي حبيب العبدان أن يغفيرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن
لأبي صادق يلقيهم حيث صبرا

وإذا كان هذا الرجل بهاته المكافاة العلمية بحيث خلف لنا اثراتنا فكيف يتجمل في ذواته وفي رسائله وغيرهما ، ومع ذلك لا يتصف من بعض المعاصرين بهذا الأستاذ محمد الأخضر لم يتناوله في أطروخته التي قدمها له الأستاذ محمد القاسبي ، إذ لم يفرج عليه ، ولم يذكره في كتابه المقتدى من عام 1075 - 1171 لأن عبد القادر التستياوي مترجما توفي سنة 1127 هجرية وقد تناول بالدرس معاصره الحسن اليوسي الذي كانت بينهما مكاتبات إلا بعد ذلك تقصيرا في حقه .

أما محتثه :

ومع جلالة في مقام القوم وعظيمة الواسع فانه لم يتبع من مكائده معاصريه بل من اخصى اقربائه بسبب (1) ادعاءاته التي تباغت عنه وهي انه يقول : اعطيت الشفاعة في اهل حمص ، حكى ذلك عنه تلميذه ابو العباس احمد بن ابي عسرية ابن احمد القاسبي كتبه في كتابته ، ثم سأل ان يوقع له عليه ، فامضى هذا صحيح كما سطر اعلاه ، بل واعظم من هذا انه كان يشير الى نفسه بانه صاحب الوقت او المهدي او ما اشتهر بذلك ، فتخوفت من مقالته هاته اقاربه ان السهم يرفعوا ذلك الى السلطان ابي النصر المولى اسماعيل رحمه الله ، فلما وصله ذلك شجته بسجن قاس

الجديد سنة 1104 هجرية ، وبقي في السجن نحو سنتين ، ثم سرحه ، ومن جملة ما قصصته رسائله التي كتبها في السجن انه ذكر فيها ان المئدين ثلاثة اولهم مهدي المؤخذ بن توعرت والثاني ذكر اسمه يظهر في اول المائة الثانية عشرة والثالث هو الذي يحضر في زمن الدجال ، ويكون والله اعلم في اول المائة الثالثة عشرة ، علق على كلامه هذا صاحب الاعلام بقوله : وقد علمت انه لم يظهر شيء من ذلك الى الان عام 1337 ، وقد قال ابن خلدون امام المؤرخين لا مهودية في الاسلام ، فانظروم فقد اشيع الكلام في هذا الموضوع (12) وقال صاحب طرفة المشعل الذي نقله عن نشر المثنى قوله : وكان هذا السيد احمد بن عبد القادر في ابتداء امره يقسم لشيخه بالله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم ما من ذنب صغير كان او كبير الا وقد ارتكبته ، ثم صرح في آخر امره بانه بلغ من منزلته عند ربه انه مشفق في اهل حمص ، ومن صدق في المقالة الاولى وصرح ولم يستح ولم يداج فيشفي ان نطن به الصديق في مقاله الثانية والله على كل شيء قدير انتهى ههنا التأويل من صاحب النشر لمقالة هذا الرجل العالم الجدير وكيم من امثاله صدر منهم البعض من هذه التطاغات والله العالم بالمخفيات وهو المجازي على النيات .

انتقاله من قاس الى حاضرة مكناش :

بعد هاته المحنة التي لقيها بقاس وبعد ما عفا عنه السلطان المولى اسماعيل رحمه الله وعقب خروجه من سجنه انتقل الى مكناش واستوطنها وبقي ملازما لسكانها الى ان توفي بها رحمه الله .

كرمه ورقة عواطفه النبيلة وشعوره الانساني :

ذكر صاحب الاتحاف = ج 1 ص 329 = انه وقعت وخيمة بينه وبين الشيخ الكامل الغسارف الموصل سيدي احمد بن تاصر ، فبقيت مدة يترقباه ، ويستنزل بمحاسن ابيه ورفاهه ، الى ان لبي مناديه ، فتخرج لتلقي تلك الفتنة كل ما ملكت يمينه من الانعام ، واوفد لقراءة كتاب الشيخ الشموع بالنهار ، وكاد ان يجري لكثرة ما ذبح من الدماء الانهار ، واخرج من القرش المرفوعة ما قدين عليه ، وقام عازي الراس خافي القدمين لقبض الكتاب الكريم الذي اتى اليه :

وأذا لم يكن من الإقبال بسد
فالق بالذل أن لقيت الكبار

ليس أجلالك الكبار بئذ
أما الذل أن تجعل المصافرا

أفلا تذل فانه القضية على فتوى كرخة ، واتساع
حاله وبذخه ، الذي كان يتشم فيه ، ثم حكى قصة
أخرى من هذا النوع ، فقال ومن ذلك أنه وقد علمنى
صاحب الترجمة قبة من أولاد الشيخ أبى يعزى فى
خروجهم لسيده فأكرمهم وطعموا وشربوا وحسب
خروجهم وخرج ليعيدهم وجد كلابا بالباب اعتدوا
لصيدهم . فقال لمن هذه ؟ فقالوا لنا لصيدهم حيث
لم يخبروه بها ، فقال لهم اليس يعلم أن تكون هاتك
الكلاب تصطادكم وتترهكم تدخلون وتخرجونها ولا
تخبروني بمكانها ، ما هذا شأن منجبة الكرام ، ثم أقسم
أن لا يتصرفوا حتى يصنع للكلاب طعاما ، وأخذ فى
مدايعيتهم ومجادلتهم ومؤاليتهم حتى حضر طعام
الكلاب فوضعه بين يديها ووقف عليها بنفسه حتى
أكلت ، فودعهم وانصرفوا شاكرين .

هكذا هكذا والإ فلا هو طرق الجد غير طرق المزاج

قصتان عجبتان تدلان على نيل هذا المرجس
وكرمه الجاهلي حتى مع غير الإنسان أخيه ، بل مع جنس
الكلاب التى يحرس الإنسان فى تنقده وحفظه
ويستعين بها فى إبطيائه وورباخته ، ألا تفل لاهل
أروبا الذين يزعمون أنهم هم السابقون لرعاية
الحيوانات وأنشاء جمعيات الحفاظ عليها ، والذين عن
حقوقها قل لهم أن هذه القضية من أجد علماء الإسلام
تجعلكم فيما تدعون الأسبقية اليه ، ألا تعلمون أن
رسول الإسلام أبى هاته الرافة والرحمة بمطليق
حيوان منذ ثلاثة عشر قرنا ، فقد قال : عليه الصلاة
والسلام « فى كل ذى كبد رطبة صدقة » انه ثم
يجعل مطلق الرافة بالحيوان شيورا انسانا وخسب
بل عد ذلك من الأمور التى تحسد للراحم بها صدقة
تذكر له يوم القيامة .

ولله در من قال :

هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا
اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزوا

هم يفتنون الجار حتى كأنها
لجارهم قسوف السماكين شول

شيوخه :

قال فى الإنخاف : منهم السيد عبد الكريم
الجزيرى أخذ عنه سند المصافحة وهو عن سيد
قدورة عن سيد المقرئ عن أحمد جنى عن محمد
الوهراي عن إبراهيم التلوى عن صالح الرواوى عن
محمد الشريف الفاسى نزيل الجزيرة عن والده عيسى
الرحيى وعاش أربعين ومائة سنة عن أحمد بن عبد
القادر المؤمن عن أبى العباس المثلث وهو صاحب
رسول الله عن والده سيد المصافحة أيضا عن
سيدى عبد القادر الفاسى وأجاره وقال له مصافحتك
بما صافحتني به الأشياخ إلى أنس بن مالك رضى الله
عنه قال صافحتني رسول الله أصرا فلم أرحوا ولا قرأ
كان ألين من كف رسول الله أصرا الحديث فيه زوايات
ثم قال صاحب الإنخاف قال صاحب الترجمة فى كتابه
نزهة الناظر وصافحتني أيضا سيدى محمد بن ناصر
البرعي وأجاذني عن أئمة الأخذ الذين صافحوه النبى
النبى (ص) ه بتقل صاحب الأزهار الدرية وزاد قائلا
ومن معتمديه أمام السنة وأعظمهم عليه سنة شيخ
الشريعة والحقيقة سيدى محمد بن ناصر الدرغى
وعلى يديه فتح عليه قلت وقد تعرض لبعضهم هو
عنه فى يالته التى نظم فيها ومنع الاسماع حيث
قال :

لقيت يفاى شيخها وأمامها
هو «ابن علي» الفخر المجيد عطاءيا

وخيار شاهدنا ابتهاج جفاله
وقد كان الخيرات فى الوقت صافيا

وعلى ابن علي المولى الشريف بدالنا
جمال عيت المدفون المصافيا

الى ان يقول فيها :

ومنة احدثنا للإمام محمد
ولنا شريلا أوسع الكاس صافيا

وعاملي القطب التهام أسن تاضر
واوسعتي برا وان كتبت جافيا

مدحه :

من ذلك ما قاله تلميذه المعتبر له بفضلته وعلمه
ابو العباس احمد ابن عاشر الجاقي بهذا الفضائل
ومثلهما بما لره

- 1) ابداكم جميع ماصدقنا
 - 2) انجل مبارك حنني اصل
 - 3) مقامك لا يوازيه بقيام
 - 4) اثنا بحركم نرجو اعتراضا
 - 5) ولدنا بانيكم تبقي اعتناضا
 - 6) فكم فوجت من كرب شداد
 - 7) مثارك السنية ليس بحس
 - 8) عليه من السلام الوفاء النصف
- سلامنا نلق عند العائنين

= وفاته ومكان ضريحه :

قال ضاحك الاتخاف = توفي رحمه الله بكناس
ليلة الاربعاء فاتح رجب سنة 1127 ودفن قرب روضة
الشيخ عبد الله بن حمد خارج باب البراديين وقبره
هناك مزارقة شهيرة عليه بناء لا بأس به

وله عقب بزرير = يقال لهم = القادريون .

الرباط محمد التاودي بن عمر ابن سودة

قال في تعلقه على هاته الايات وابن علي غفر
العالم الكبير الشهير نافر عني قاس في وقته السيد
عبد القادر الفاسي رحمه الله وآخر اجتماعي معه سنة
1081 واخذ منه سند المضافحة كما تقدمت الاشارة
اليه وكما اخذت عنه الحزب الكبير وقبى سنة
1068 كتبت اقرا عليه الصاغاني فباس وقال عني
سيدى محمد ابن ناصر اجتمعت معه سنة 1081
واقبل علي غابة الاقبال . ولم يلق لما صدر عني
من قبيح الاعمال . واجازني في كتب العلم وخافحتني .
ثم عدت اليه سنة 1084 فاملني بما هو اهل له عني
الاقضالي . وقال لي : انت من اهل الانس والسدلال
وقلت له والله لا ارجع لداري من هذا السفر المبارك
حتى اشرب من شراب العاشقين . وذات يوم
ناولني شيئا فشربته وقلت له هل بررت في يميني
فقال لي نعم بررت في يمينك . وقال لي انت بضعة
عني غدا يوم القيامة وآخر ما سمعت منه : اوصيتك
بتقوى الله العظيم والتكبير على كل شرف في . ومن
اراد الميزنة من معرفة اشياخه فعليه تلك المنظومة
مع شرحها فقد اطلت النفس في هذا المقام وناهيك
بالرولين العظيمين الشيخين سيدى عبد القادر
الفاسي وسيدى محمد بن ابن ناصر ان يتخرج
صاحبنا علي يدتيهما واخذ معلوماته عن اماليهما فهما
قدوة في باب العلمين القاهري والباطني رحم الله
الجميع .

تلامذته :

قال في الاتخاف : اخذ منه العلامة الطيب
السيد عبد القادر بن العربي ابن شقرون المكناسي
واحمد بن ابني عسيرة بن احمد بن يوسف الفاسي في
خلق كثير واقول ومنهم تلميذه البار العلامة ابن
العباس احمد بن عاشر المعروف بالجالسي كما
تقدمت الاشارة الي ذلك في المجلد المكتوب بخطه .
ووقفت في تقييده لاحد علماء سلا على ان من تلامذته
العلامة المولف الدوازي فاسي سلا وهو السيد
عيسى البقمي . وايضا التلميذ كتب عليه وفقهية
مخطوطة بالخرانة العامة بالرباط . وقال صاحب
التقييد انه تبادل مع شيخه عدة رسائل حتى لسي
ذلك الاستاذ محمد المونتي .

- 1 البيت المبارك. بيت مشهور بالعالم والولاية وجددهم الاطفي هو سيدي محمد ابن مبارك المدفون بأرض ريدان البعيد عن مخرج المولى أبي بكر نحو 24 كلم تقريبا المتوفى بالولاية بتاريخ 10 ربيع الثاني عام 1006 هجرية وقد تبعت المشهورين بالعلم من شخصيات هذا البيت في ج 2 من كتابي : رجيسر قديما وحديثا .
- 2 سيأتي الكلام على هذه الميمنة التي غرقيا في حياتها .
- 3 هذا الرجل هو اول من قال بالنسبة النبوية الحسينية لبيت المباركين وقد تعرضنا لذلك في ترجمة جددهم الاعلى سيدي محمد بن مبارك في كتابي الميزان اليه :
- 4 من اتحافت اعلام الناس للمؤرخ = ابن زيدان رحمه الله ج 1 : 329
- 5 هاته المعلومات مأخوذة من المجموع المخطوط الذي اعاده الي صديقي الاستاذ العلامة سيدي محمد الرافعي بن عبد العزيز العراقي الحسيني الذي اعاده اليه والده وهو بخط ابن العباس ابن عباس الحناني .
- 6 لم اقف على هاته الفتنة التي قيلت فيها هاته الاشعار ولا على اسمائها ولعلوا فتنة يوم الوطن .
- 7 من الاعلام للقاضي المراكشي ج 2 : 155 .
- 8 فيسر النظام صاحب الترجمة القنصل بالكيال العظيم وبالتاج لكسرى وقال يصح المعنيان ههنا :
- 9 مجموع نقط الراء هي 200 ونقط الفاء 80 فاذا اضيفت لهما سبعة صار 287 الجميع بيتا . وذلك بحساب حروف الجمل .
- 10 مجموع اشياخها مأخوذ من تادون 400 كاف 20 أي لا تبلغ الزيادة نقط كاف ولعل المجموع 419 بيتا .
- 11 نقل ذلك عنه صاحب الاعلام للمراكشي ج 2 - 155 .
- 12 انظر صفحات 895 - 916 من الجزء الثاني من مقدمة ابن خلدون تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي الطبعة لجنة البيان العربي : الطبعة الثانية)
- 13 الباء القوة على كثرة التكاح أي الوطء وتشمل حتى القدرة على النفقة وتكاليف الزوجة فهي الخديت الشريف : « يا معشر الجناب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » أي وقاية من ارتكاب المحرم وليستغفب الذين لا يجدون تكاحا حتى يقبهم الله من فضله .
- 14 وينطق بالقادرين بسكون الدال ويوجد فخذ منهم بزعمهم غير القادرين ذرية الولي الصالح مولانا عبد القادر الجيلاني المدفون ببغداد .

غرناطة في عصر ابن الخطيب

للدكتور حسن السامح

الحاضرة وضواحيها :

تقع غرناطة في الجنوب الشرقي للأندلس ، في أرض خصبة ذات وديان وأنهار تغطيها الأشجار وتنتشر بها الأجنة الخضراء واليساط الخصبية ... وقد عملت يد الفلاح الأندلسي في خدمة الأرض والحدائق ونقلت من الأحجار والأشجار الطويلة كما غفل الفكر الفلاحي والهندي في توزيع الري واختيار التربة للفراسة وتقليم الأشجار ... فانتشرت بنجاح عظيم أشجار الزيتون والتفاح والمشمش والخوخ والرمان والبرتقال والبدراق والليمون والليم والأبرج والمول والنخيل ذي التمار المختلفة الأنواع ، أما الجبال فقد كانت تستنيط منها معادن الذهب والفضة والرخاص والزئبق والمياه المعدنية والحمات الحارة ... وكانت اليساط تغطي من صفوف الجنوب والخضر كالزروع والشعير ، والحنطة وقصب السكر والأرز والقطن والقطن والفجل واللبان ، والقوق والبندق والبقريجل والفجل والفول الشيء الكثير ، ويحمل بها من أنواع الأسماك مما تزخر به الأنهار والشواطئ البحرية ، كما كانت الحياة الفلاحية تنعكس على نشاط المدينة الاقتصادي حيث اشتهرت معامل غرناطة بصنع الأسلحة ، والأقمشة الملونة والحريسة والمطافير الملون والكتان والقطان وحمامة الجلود ، والمقايير والأدوية والمطوور وصباغة الذهب والفضة والجواهر

والزمرد والألماس والجوز وصناعة القينسقاء وضع الإحجار والنقش في الرخام بالواحة وتقطيع الأسر والورد والباسمين والبنفسج والبوس والحيق ، وصناعة الصقارين من أنواع الأوعية الحديدية والحامية ، وصناعة السيروج والآلات الخرد ، وشبابيك النوافذ والأبواب ، وصنع الثياب والكثرة (أي استخدام الكبريت) .

وكانت غرناطة ولاية عظيمة تضم نحو مائة بلدة وقربة بضواحيها يسكنها مئات من السكان ، وشجاوز عددهم نحو نصف مليون نسمة أو يزيد حسب النمو الديمغرافي ، (ما لم تصيب بكتبات الأمراض والأوبئة التي كانت تفتاح العالم آنذاك بين القينة والآخرى كالمطاعون والكوليرا والتيفوس) ، وترتبط القرى بغير بعضها بشبكة من الطرق العريضة المرسوفة بالحجارة المتأثرة ببقايا هندسة الطرق الرومانية والقوطية ... وطبعا القناطر المشيدة بالأحجار والخشب ، حيث يزدحم المشاة والفرسان والعربات الخشبية بينما تقطع الأنهار الأشعة والسفن التجارية ، حتى إذا وصلت إلى العاصمة (غرناطة) اتبعت النوازل وكثرت الدكاكين وأتقنت الترح في الليل لخدمة الطرق وبرزت المنافسة مزينة بالشبابيك ، وأبواب الحمامات الرخامية المنسقة وكانت قصور غرناطة مبنية منسقة الأواب ، عظمة الحدائق المنسقة الزهور والرياحين ... ويحيط بقرناطة سور كثيف متعدد الأبواب الواسعة التي تعتبر مداخل المدينة

وعليها أبراج عالية ذات قبة متعددة ، ويذكر ابن الخطيب : وهو أعظم عذوخ لقرنطة أن بها أربعين برجاً يربط البيارين وهو حي عظيم به الدور التجارية والمعامل والدكاكين .

ولا عرو أن تكون هذه المدينة معترفة بقيم بها الأغنياء في الغالب ، مما يستوجب حيوة تجارية ودوقاً حضارياً رفيعاً ، ولذلك كانت الأسره القرطانية تهتم باقتناء الطلل والجواهر ، وتقتنى في الرياض وأدوات المنزل والبسط والزوايا ، كما كانت تنفق في الأطعمة ذات الاناوة المتعددة ، وأطعمة السطيلة والثغرية والخلويات من مخرفة وشباكية وأسفنجيات ومخاريط وكفك ، كما جاءت أوصاف ذلك في تجميع القليب ، واستوجبت هذه الحياة بسيادة نظام أسروي ذي أخلاق أسلابة نسبية ، حيث النظامة والعفة ، وشغف بالفروسية والحفلات الفاخرة ، وتقدير شخصيات الرجال في رقة الأخلاق ، ونظافة لباس ، وقصاحة اللسان ، مما جعل لغة القرطانيين تتمايز بالبدقة والبيان وحسن المنطق ، وكان لباس الرجل أشبه بما يكون لباس الأفرنج بطولون التمعور ويقعون القلائس على رؤوسهم ، أما القضاة فيلبسون الكسي .

أما جمال المراق فكان اعتدال القوام والمفحة والدلال ، والتطيب والتزين بالحلي مع قلة الإخلاق مع الرجال إلا في بعض الحفلات العائلية الخاصة أما النظام السياسي فقد استمر نظام الحكم في الأندلس في عهد بني الأحمر على ما كان عليه في الأندلس من تعرض السلطة للسلطان الذي يستعين بوزراء متعددين ، والذين كانوا يستبدون كلها قوت شخصيتهم كما نرى ذلك في ظهور شخصية ابن الجياب وابن رضوان وابن زمرلدة ... ومن طبيعة هذا النظام التنافس للوصول إلى المناصب ، والتماضي بالسلطة والتفاخر بالحكم ، وكانت تنحصر السلطة في يد السلطان ليحكم البلاد ويتولى شؤونها العامة ، والدفاع عنها ويتصرف في بيت المال الذي تكون عصادرة من الزكوات والضرائب على الأرض والفلاحة ، والفلاحة والتجارة والمكوس المفروضة والمزارع الخاصة والمصادرات ... وكان السلطان يستعين على الأعمال بوزير كاتب ، ليرأس الملوك والرؤساء ويتخذ الأوامر لتحقيق المشاريع ، ويستعين الوزير بمجموعة من الكتاب حيث يمكن ترفيقهم إلى مناصب الوزراء ، أما المتصب الثاني في الدولة فهو ، قائد الجيش (الذي كان يلقب في قرنطة بشيخ الفراه)

وكان معظمهم في دولة قرنطة من نسطي عرب نفوساً التحليل مسؤولية الدفاع عن الأندلس ، كما كان الجند في قرنطة مكونين من المجتدين من قرنطة والبربر ... وبالجنس مهندسون تقنيون لاستعمال البارود الذي كان أهم سلاح في حروب قرنطة مع المسيحيين ، ولم يلبث القشتاليون المسيحيون أن احتكروا مواد الخام لضعف مركز المسلمين في قرنطة عسكرياً كما كان لاير قائد القوة جيش بحري ، واستطول معظم يرايط بالجزيرة وساحل مالقة ، ويتجلى نشاطه في الدفاع عن الشواطئ وحمل المعونة من المغرب إلى الأندلس ، وتعين المواصل بين العلوتين . ثم يأتي منصب ثالث في الدولة وهو المسئول الشرطة ، المسمين من بين القبائل والمكلف باستتباب الأمن العام وحماية الثوار ، والمحاربين وقطاع الطرق وله سلطة تنفيذية واسعة ، ويحيطه حرس خاص كالجندرمة يلبس البسة حديدية ويضات نحاسية ، أما الجيش المغربي ليحتفظ بالخياب والبرنوس .

ثم يأتي منصب قاضي الجفاعة وهو قاضي العاصمة وخطيب المسجدة الجامع ويعتبر شيخ العلماء ومرد أحكام المغنيين ، والمشرف على التعليم ويعمل تحت إشرافه المحتسب وهو ، رأس البلدية اليوم ، يأمر بالمعروف ، وبطارد المنكرات والمختلسين والمطففين ، ويحافظ على مصالح المدينة من نظافة الطرق وجمال البناء وتناسقه ، وإدارة الشؤون كما تأتي مهمة صاحب الأشغال والمكلف بالحيوانات المتعلقة بالدخل والجراج وجميع الضرائب ، وكذلك المكلف بالبريد ، وتوزيع الرسائل ... وكانت المدينة تفتح بالسياتين والتجاريين والمهندسين ، والسماتيين والزلاجين وأصحاب الأعمال الدقيقة (الرقابية) في البناء والنحت والجس واللون ، والحيطة ، والخياطة والحرازة ، والاطباء ، والكحالين ، والعتابين والصيدلية ، والبراجين والشماعين والحدادين والخرازين ... كما بها عشرات الدكاكين والأرخية والعمل ، وقد تعاونوا جميعاً على بروز الفن القرطاني الذي يبدو في الفن المعماري بالقصور التناهقة والمنازل الجميلة المزينة بالتماتيل الرخامية والفيسقساء المونة والصور النهائية والخزونية كصور الأسد والفزلان وذميات المرمر والساعات العالية . وكانت القصور ذات تيب معقودة عكسوة في الداخل بالخشب الأبيض ، عليها نقوش فنية يحفظ

ثقافة ابن الخطيب :

لعلنا نستطيع ان نعرف ثقافة ابن الخطيب من خلال تراجم أشياخه الذين أخذ عنهم كالأدب الكبير علي بن الجياب وهو من الصغ شعراء الاندلس وكفاحي الجماعة محمد الشبتي شراح الخزرجية ومقصودة حازم ، وشيخ النجاة محمد بن الفجار ، وابن العواد وابن بيتش ، ومحمد الاسعري ، والطنجالي ، والرحال الوادي اسي وكفاحي فابي محمد الحفري وكفاحي مكناش الفقيه عبد الحق بن سعيد والعالم المكناشي يونس الوشرسي وعمر الوشرسي والفقيه الاديب المكناشي ابو جعفر الجنان وكفاحي مكناش ابن ابن ومالة والمري الصوفي السلوي احمد بن حاشر ، وابي اسحاق ابن ابي يحيى التيمولي البازي والحنوفي الكبير عبد الله بن موزوق التلمساني ، والكاتب العالم الرياضي يحيى بن هذيل وابن بكر بن الحكيم الرندى ، وابن الحسن الفيحاني وابي القاسم بن خزي كاتب رحلة ابن بطوطة ، والكفاحي ابن بكر بن شبرين ، والمحدث سعد ابن لمون النخعي وهذا التثبت من شيوخ ابن الخطيب دال على تنوع ثقافته واصبالتها فقد اخذ عن المص كتاب مصره واشهر رجالة من محدثين وساميين وفقهاء واذباء ورياضيين واطباء وكاتب وشعراء فلا بدع ان ترى ابن الخطيب هضم معارفهم المتنوعة وساغ منها ثقافة اخصيرة لودعها كتبه الكثيرة ، فكان الشاعر والكاتب والمؤرخ والمترجم والطبيب .

وظائفه :

لسان الدين ابن الخطيب عن اسيرة ططمنوع تعمل في خدمة دولة النصارى وكان أبوه متولسي مخازن الطعام بقصر السلطان يوسف بن ابي الحجاج ولما توالى التغيرات المسيحية على صواحي غرناطة خرج عبد الله الى معركة طريف مقاتلاً حيث استشهد بها سنة 741 فدخل ولده لسان الدين الى القصر ليشغل وظيفة امين سير للوزير ابي الحسن بن الجياب حتى اذا حل الوفاء للكنية الطاعون بعوض البحر الابيض المتوسط سنة 749 كان بين غحبابه ابن الجياب فخلقه في الوزارة امين سره ابن الخطيب الذي اخذ نجمه بتلقى في عالم السياسة والادب وقد لاحظ فيه السلطان ابو الحجاج يوسف مخاضه

كوفي او مجوهر آيات قرآنية وقصائد شعرية وعلى عضادتي الابواب آيات حكمية ... وتفنن النقاش على الخشب في التصوير على الابواب والتوافد والصناديق والطلاولات والكراسي كما تفنن صانع القماش في الترخيم والتشبيك والتلوين في الحائط ... ولم يبق الجبال المعماري ميتا بل ان قصص الموسيقى الاندلسية والموشحات القرطابية تتردد في اجواق متشابكة بالآلات العود والرباب والقانون والسدف ، والطار ... والكينارة حيث يتخلل هذه الانغام الآلية الحان واصوات جميلة ، ورقصات يتوارر فيها النطق وتهلل الارداغ وتميل الاعتناق - هذه هي غرناطة التي عاشها ابن الخطيب واحبها وارخ لها وفات من اجلها .

نشأة ابن الخطيب

ذكر ابن الخطيب في الأحاطة ان مولده كان في الخامس والعشرين من شهر رجب عام تسلاثة عشر وسبعمائة 713 م ... ودخل الكتاب في مدينة « لوشة » سقطت راحة كفافة الاطفال الاندلسيين آنذاك ، فحفظ القرآن وجوده ، تعلم مبادئ العربية على كثير من المعلمين وبالاخص على ابي القاسم بن خزي ، وتلقى بعد ذلك معلومات ثانوية فآخذ النحو عن شيخ النجاة الامام ابن عبد الله الفخار البصري وغيره من العلماء والعلماء والفقهاء - وكان ابن الخطيب منذ طفولته طموحا بعينه ذكاء حاد وقيم ثابت ونظرة بعيدة المدى . كما كان انتقال أسرته من « لوشة » الى غرناطة نقطة تحول في حياة اسيرة ابن الخطيب ، فقد عين أبوه عبد الله مقصدا في بلاط ابن الاحمر الذي استعمله على مخازن الطعام . فوجد ابن الخطيب في غرناطة الفرصة للدراسة على الذين أخذ عنهم الادب كشيوخ العدوتين الرئيس ابي الحسن بن الجياب - والفيلسوف ابن زكرياء بن هذيل الذي اجتمع يصحبه كما يقول ابن خلدون . فظهر - نيافة في الشعر والترسل والطب والفلسفة والتاريخ وماهي الا سنوات معدودات حتى لمع نجمه ، ولاحتل بتشجيع ابيه الى ديوان الرئيس ابن الجياب حيث عاش احدث الاندلس وتقلبات السياسة وقضاير غرناطة . وعرف بين مواطنيه بلسان الدين ابن الخطيب وبين القشتاليين المسيحيين بالعالم الكبير الفيلسوف ابن الخطيب

الذكاء والنشاط والحيوية فقربه اليه وكلفه بمهام
ستراتيجية وديبلوماسية وفق فيها توفيقا كبيرا حتى
أصبح من رؤساء غرناطة الذين لا يسلم رأي فزون
عشورتهم كالوزير المحاجب ابن النعيم وقشوان ...
وفي سنة (755 هـ) توفي السلطان ابن الحجاج مقتولا
بناءا أثناء صلاة عيد الفطر وخلفه والده أبو عبد الله
الغني بالله الذي أرسل ابن الخطيب سفيراً إلى بلاط
ابن عثمان المريني سنة 755 قى وفد حسن الوفراء
بينهم أبو القاسم الشريف أيقنقه بمساعدة الأندلسيين
في حلف القايين - غرناطة لمواجهة التتار
المسيحيين. ولما عاد إلى الأندلس انتشروا في موانئه
دخلت غرناطة في فترة عازمة حيث تأمر اعداء
السلطان محمد الغني بالله عليه وقتلوا فيها الوزير
المحاجب ابن النعيم وقشوان وأصبح سلطان غرناطة
اسماعيل الحجاج الذي كان معقلاً بالعمراء بمؤامرة
خمين الرئيس الذي قاد الفتنة الصالحة ، ورغم
تأمر اعداء ابن الخطيب عن متبنيه فقد ظل اسماعيل
في حاجة اليه فقربه واستفاد من خبرته وتجربته
تدريجياً بحيث خصوم ابن الخطيب أن يجروا في اقصائه
فقبض عليه وصودرت امواله وممتلكاته ، ولا شك أن
سمعة ابن الخطيب ومكانته السياسية والعلمية
والادبية ولباقيته الدبلوماسية ساعدت انصاره في
التصدي على التدخل بواسطة الملك المريني أبي سالم
لدى السلطان اسماعيل التصدي ليعزج عنه وعن
الغني بالله ليمنح لهما بالجزء السياسي نفسه
المقرب ، وفق الشريف أبو القاسم التلمساني في
هذا المصالحات أن الخطيب ومخدومه الغني
بالله إلى قاس في محرم من سنة 761 هـ وظيلة اقاعة
ابن الخطيب بالمغرب اتصل بكنار رجاله كآبن خلدون
وتحول في اتجاه المغرب كله فأقام بلا وشمالية
واخذ يدبر في السر قلب الوضع في غرناطة التي
كان من العسير أن تستقر نظراً لصعوبة الوضع
السياسي والعسكري بها ، حتى إذا كانت جمادى
الثانية 763 هـ (1361 م) رجع الغني بالله إلى
عرشه بقرناطة ووزارة ابن الخطيب التي منضيه
الوزاري بفضل معرفة الوزير عمر بن عبد الله حنديق
بن خلدون حيث استخدم ابن الخطيب من سلا فجاء
ابن الخطيب منها بعد أن ظل طيلة مقامه بالمغرب
بعبداً نائماً محمد المخلوع ، ومع ذلك تجاوز عنه
وردة لمرتبته وذكر ابن خلدون كيف أن عثمان بن
يحيى بن عمر شيخ الغزاة لحق أولاً بالطائفة لئلا
تضعف مركزه في غرناطة ثم تحول عنه وخاطب

الوزير المريني عمر بن عبد الله أن يمكنه من بعض
الثغور القريبة التي تحت طاعة بني مرين بالأندلس
والتي يرقبون منها الفتح ، ويذكر ابن خلدون تدخله
لذلك ، ولهذا ردت (ردة) إلى الأندلسيين لأنها
من الرأسمال وكتب شوغنا فحمد (المخلوع) فتولى بها
ووقعه عثمان بن يحيى ، كما يصف ابن خلدون مكانة
عثمان بن يحيى عند محمد المخلوع ... ولكن ابن
الخطيب يتصرف صياليا حين تأخذه الفكرة من
عثمان بن يحيى ، كما أخذه عن بعد من ابن خلدون ولم
يزل يدس ابن الخطيب لعثمان بن يحيى حتى يكتب
ويجنج واستبد ابن الخطيب بالحكم ولم يخط في
الاتصال مع جماهير الغرناطيين بما جعل الجميع يسعون
به لدى السلطان الذي أخذ يشعر باستبداد ابن
الخطيب ، وفي نفس الوقت كان ابن الخطيب يقيم
صلات مع بلاط المغرب حيث وفد امرا من السلطان
عبد العزيز بن أبي الحسن المريني في القبض على
ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يفلوس المنصب شيخاً
على الغزاة بالأندلس عن قبل بني مرين الذي أخذ
يطالب بالحكم ويضرم الفتنة مع وزيره مسعود بن
عيسى وخشي السلطان المريني عبد العزيز من
هذه الفتنة المتدافع عنها من قبل السلطان محمد
المخلوع ملك غرناطة ، وكلف ابن الخطيب بالقضاء
عليها ، كان موقف ابن الخطيب سائدة دولة بني
مرين بشرط أن يكون له مكان في بلاطهم وقبلاً ترجح
في القبض على ابن أبي يفلوس مما أعطى لخصوم ابن
الخطيب الحجة على تلاحقه بين البلاطين ، وخيانتة
لقرناطة ، ولذلك قرر ابن الخطيب اللجوء إلى
المغرب لما اقتضح أمره ... ولواقع أن هتاتة
التصرفات التي كان يلجأ إليها ابن الخطيب سلبته
مكانته السياسية ، ورغم أنه كان يطمح إلى العمل
في بلاط بني مرين نظراً لايته من الأندلس فإن أعماله
والانحرافات التي اتخذها لتحقيق مرامه وضعت في
فحص الاتهام بالإضافة إلى افكاره التحررية الصوفية
والفلسفية الميوثة في كتبه والتي تدخلته لدى القضاء
لمصالح قوية مما ضعف مركزه السياسي
رغم بعد نظره ومنذ تأسيس مملكة غرناطة على يد
النسرين وهم يعمدون في سياستهم الخارجية على
بني مرين ، وعندما تولى محمد التصري أرسل عقب
ولايته بقليل وفداً من اكابر علماء الأندلس مستنصرين
بني مرين قلى أبو يوسف المريني دعوتهم وتوجه إلى
الأندلس سنة 673 هـ مجاهداً وبما أن المرينيين اعانوا
الغني بالله على استرداد ملكه فقد كان لشيخ الغزاة

عثمان بن يحيى قريبهم نفوذ قوى فى بلاط غرناطة سابق به ابن الخطيب الذى لم يقف مكتوف الايد بل رد عليه اعتقا ود هزيمة شر هزيمة فاقضاه سنة 764 هـ عن الوزارة حتى اذا خلا له الجو استبد بالحكم فظهرت معارضة شديد استبداده بالحكم بزعمها كثير من خصومه الذين اخذوا يكيدون له فى السبيل ولحق ابن الخطيب وهو المرحف الحصن ان خصومه ينزلون به الى مهاوى الهلاك ولا سيما نسيده الوزير ابو عبد الله بن زمرق. ولقاضي ابو الحسن النباهي اللذان عملا جيدا لتنظيم حملة مركزة خطيرة تهدف الى اقضاء ابن الخطيب والتكامل به ... اما ابن الخطيب فقد ارسل ملك المرينيين عبد العزيز يلوذ بحماه ، ولما قبل التجاهه الى المغرب استأذن سلطانه ليقوم بجولة تفقدية فى جنوب الاندلس. وما اذن له حتى حمل معه خاصته واهله وغير من جيل طارق الى سبتة سنة 773 حيث خصه بلاط المرينيين بكنانة متارة اما خصومه فقتلوا تابعوا حملاتهم المفروسة ضده واخذوا تقريرا خطيرا انيقوه فيه بالزندقه والاتحاد والفرار بالحلول على مذهب غلاة الصوفية والاتحاد على مذهب الغلاة فقتلوا وقرروا احراق كنيسه فى حقة غرناطة فى جمع من العلماء والفقهاء سنة 773 ثم كتب ابو الحسن النباهي رساله الهام الى ابن الخطيب كما ارادته بصفته قاضي غرناطة بتهمة الاتحاد ، وكتب قسما ذلك حكما شرفيا فى ادانته صادق عليه سلطان غرناطة ، وطلبوا حكومة المغرب بتنفيذ الحكم بقتل ابن الخطيب ، ولكن ملك المغرب ابنى ان يتفقد الحكم ورغم جميع الاغراءات والهدايات فقد ظل ابن الخطيب بعيدا عن يد خصومه ، وما ان توفى السلطان عبد العزيز خاضي ابن الخطيب سنة (774) حتى وجد اعداء ابن الخطيب الفرصة مواتية ، سيما بعد ان تربع على عرش المغرب السلطان السعيد الذى كان ما يزال صغيرا برعاية الوزير ابن زمرق العازى الذى الق له ابن الخطيب كتاب اعلام الاعلام فبمس بوسع من ملوك الانبياء : قبل الاختلاط تكتيكا للوصاية على العرش ولحق ابن غازى لم يستطع الصمود امام ثورة الامير احمد مزابى سالم المرينى المطالب بالعرش الذى تجع فى استعادة واحتيج ملك المغرب سنة (776) هـ (1374 م) وهو الذى كان حذيقا للفقى بالله فقيح سليمان بن داود وزيراً ، وكان من اول اعماله ان القى القبض على ابن الخطيب ... وما ان ذاع الخبر حتى غادر الوزير ابن زمرق الاندلس الى

فاس ليحاكم بنفسه ابن الخطيب وينفذ فيه حكم القاضى النباهي ، وامام جمهور المتفرجين كان ابن الخطيب يحاكم بقسوة واحاطة امام الناس ، ويضاد بعض المتفرسين بقتله ... وما ان اعيد الى سجنه حتى بعث الوزير سليمان جماعه من العملاء الاجراء ليقتلوه فى سجنه خوفا من ان ينقلب عن حكم الاعداء وقملا تسور عليه هؤلاء السجن قتلوه خنقا ثم حملوا جثته الى باب الشرفه فاس فدفن بها ... واخرج مره ثانية من قبره ، واشرموا النار باسلافه ثم اعيد الى حفرته ... وبقي قبره متواضعا زاره المتقري ، وولف قمع الطيب المتوفى سنة 1041 هجرية وشاهد مرقع دقة غير مسرور مع الارض ، بل ينزل اليه باعداد كثير وفى مطلع هذا القرن جدد قبره واظهر جلاله احد المعجبين به ، ثم شيدت اخيرا على قبره حبة فخمة تقريبا المروج الطيب الكاتب العظيم .

تفاعل ابن الخطيب مع عصره

تأثر ابن الخطيب بعصره واتر فيه ... تأثر به من حيث دراسته الاولى وثقافته التى استبدها من معطيات عصره . كما تفاعل مع احداث السياسة والمصلحة والادبية والاقتصادية فقد كان وزيرا وسفيراً كما كان شاعرا كالما صوفيا ... احدث كثيرا واعطى كثيرا ، وامنا فكون اقرب الى الصواب حين تقسم حياته الى ثلاثة احداث موفوثة بالمتن (فمن ولادته (713) الى ذوابته وهو طالب يدوس ويستوعب ويستفيد ومن سنة 749 وهو سياسي كفاح وبناضل باشراف واعتزاز وغبرون وتمسك ... وقد انتج فى هذه الحقبة أكثر تأليفه فى الادب والطب والتراجم فالف تاج المعاصر ، والكتيبة الكيفية والاكمل الزاهر . وبالتايه بعد الكفاية . وغيرها من تأليفه الادبية ذات الطابع التاريخي والموسوعي كما الف الموسيقى (فى الطب) وهنسو من أهم مؤلفاته فى هذا الميدان وفى سنة 760 عاش التكية بعد الانقلاب الذى حدث فى 28 رمضان 760 هجرية حيث استولى على الحكم الامير اسماعيل ووقد ابن الخطيب على المغرب سنة 761 فطاف بين المدن واشتهت تامله فى الحياة ونضجت هجرته ، وتعلق قلبه بالتمسك وكان انتاجه غزيرا فى هذه الحقبة التى الق فيها كتابا عن تراجم اعلام المغرب وعذكراته الادبية وتعليق فى الطب وكتب فى النقد والخصومات

وأشهر نتائجها (تغيير الاختصاص) ، وتقاضية الجراب ، والسمعة البدوية ، والحلل المرموقة ، ورقم الخلل كوكناية الدكان وعشلى الطريقة في ذم الوثيقة . والفية في أصول الفقه ، والمعلومة في معارفه المجتوبة والرجز في عمل الشرياق الفاروقى . . . وزنايل ابن الخطيب في الموسيقى والبيطرة واليزرة . . . وبعد عودته من المغرب أخذ ابن الخطيب يقاوم حسد الحاسدين ، وسوس الدولة بحزم وعزم وقد أصبح ذا وزارتين طويلة هذه الفترة كان ابن الخطيب رجل الجِد والصرامة والمتفوق المكفر عن خطايه وقد أتيح في هذه المدة (روضة التعريف) مبعرا عن اتجاهه الجديد وإمله أن يتترك الدنيا وتخرقها ولكن القدر كان له بالمرصاد فلقى سن خصومه ودساسهم ما جعله يجعل بالفرار إلى المغرب آملا زيارة الحجاز لإداء الفريضة ، ولكن القدر حال دون رغبته فتابعه أعداؤه مطالبين بدمه إلى أن حوكم دون مراقبة أو دفاع ثم تمويه الدهماء عليه النجس فقتلوه مقتولا ودفتوه ليخرجوه من قبره ويحرقوه قبل أن يدفنه الدفن الأخير .

ابن أبي الخطيب السياسي :

في بلاطين متنافسين أحدهما في قصر الحمراء بقرطبة حيث تعيش الإنجليس آخر أيامها أمام القزو المنظم الطويل النحس للقوات المسيحية المجددة بالمدينة التي تتخبط آخر أيامها (وثانيهما) في قاس حيث دولة بني مرين المبتدئة في انتصارات مغفرة إلى تونس والقونينة على بركان من التافى والخلايا الصوفية ، والتناقض الاجتماعية . . . وبين البلاطين صلات ود وصداقة تفرقها الغزو وقد القانية التي تعيشها الاندلس والمغرب فيضطران إلى التسلل والتأزر ، إذ أن المرينيين جاءوا لينفذوا المملكة الإسلامية المهنددة في الاندلس بعد أن عجز الموحدون عن اتخاذ الموقف فجاء المرينيون ليلدوا الجهد حتى يستخلصوا قرطبة من أياد المسيحية ، كما أن النصارى قرض عليهم الالتجاء إلى بني مرين ليستمدوا العون المادى والعسكرى حتى يلقوا في وجهه الغشتاليس ويختفى تحت برق الصداقة والسود تنافس عنيف بين البلاطين على البيطرة والحكم والسياسة بالانتصارات والفلية . . . وإذا كان رجال الأدب والعلم والفن يعيشون في غفلة عن الأحداث فإن رجال السياسة يستمعوا ويعيشها وتخرج نتائجها

.. وهكذا عاش ابن الخطيب أحداث السياسة وتخرج عبقها حتى النهاية . أما في الاندلس فإذا كان رجل الأدب يصور الأحداث ورجل العلم يحللها ورجل الفن يستبطنها فإن رجل السياسة يصنعها وتبدو عبقريته حين يكون بعيد الرؤية أصيل النظرة يعرف حركة المجتمع وتماثله وآماله وطموحه ومقدراته وإمكاناته . كما يعرف خصمه مغرقة دقيقة وخصوم بلاده ومجتمعهم ليقود السفينة بحزم وحزم ودون توقف ، يتمتع بلذنه حي ويرى أشباح المستقبل قبل أن تصبح ماثلة بين يديه . وقد كان ابن الخطيب في مستوى المسؤولية ، ولكن الأحداث تجاوزت مرحلة الإنقاذ فكان عليه أن يؤجل ويماطل دون أن يضع لها حدا ، ولهذا فإن الخطيب كان مترقبا للهزيمة ، وقد شعر أن القضاء عم وأنه لن يستطيع لسه زدا .

ون الصعب أن نرصد أعمال ابن الخطيب السياسية وما أكرهها ، ولكن تشير باقتضات السي مواقف التي كان لها الأثر الأكبر في ارتبائه وقد سبق ذكر نفس ابن خلدون في تاريخه عن رجوع ابن الخطيب إلى الاندلس بعد خروجه منها وكيف أن أبا سالم المريني تنفع له لدى بلاط غرناطة ليعود مع مخلوعه إلى الاندلس ثم كيف عاد محمد المخلوع إلى الاندلس في عهد حكومة عبد الله بن علي الفاهر في دولة بني مرين فقد استقدم ابن الخطيب مسلا بعد أن ظل بها طيلة مقامه بالمغرب ناسبا محمد (المخلوع) ومع ذلك تجاوز عنه ورده لمرتبته واعتباره ويروي ابن خلدون أن عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الفزاة لحق أولا بالطاغية لما شعر بضعف مركزه بقرطبة ثم تحول عنه وأخطب الوزير المريني عمر بن عبد الله أن يمكنه من بعض الثغور القريبة التي تحت طاعة بني مرين بالاندلس ، والتي يرتقبون منها الفتح كما يروي ابن خلدون تدخله لذلك ، ولهذا أردن مدينة إلى الاندلسيين لأنها من ثرائهم فنزل بها محمد المخلوع ومعه عثمان بن يحيى كما يصف ابن خلدون مكانة عثمان بن يحيى عند محمد المخلوع . . . ولكن ابن الخطيب تأخذه القبرة من عثمان ابن يحيى ، ولم يزل يلش له ابن الخطيب حتى تكب وسجن واستبد ابن الخطيب بالحكم ولم يحتط في الاتصالات مع الناس بما جعل الجميع يسعون به لدى السلطان الذي أخذ يشعر باستبداد ابن الخطيب وفي نفس الوقت كان ابن الخطيب يقيم صلات مع بلاط المغرب حيث نفذ أوامر السلطان عبد العزيز

بن أبي الحسن المريني في القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يفلوس المنصب شيخا على القزاة بالاندلس من قبل بني مرين الذي أخذ يطالب بالحكم ويضرم الفتنة مع وزيره ميعود بن ماساي ويخشن السلطان المريني عبد العزيز من هذه الفتنة المخفية بالسلطان محمد المخلوع ملك غرناطة وكلف ابن الخطيب بالقضاء عليها وكان موقف ابن الخطيب معاند بلط بن مرين بشرط ان يكون له مكان في بلاطهم وفصلا نجح في القبض على ابن أبي يفلوس مما أغضب لخصوم ابن الخطيب الحجة على تلاعبه بين البلاطين وخيانه لغرناطة ولذلك قرر ابن الخطيب اللجوء الى المغرب لقا الفتوح اخوه ... وهذه التصرفات التي كان يلجأ اليها ابن الخطيب سلبته مكانته السياسية ورغم انه كان يطمح الى العزل في بلاط بني مرين نظرا لايامه من الاندلس فان اعماله والاجراءات التي اتخذها لتحقيق مرامه وضعت في قفص الاتهام وشككت في نواياه وافقدته مكانته

وفي عهد السلطان يوسف حيث اشتدت وطأة الهجوم المسيحي على المسلمين في عهد الفونسو الحادي عشر وكثرت الامدادات المغربية لغرناطة برز اتحاد اسطول القشتاليين والاراجوان والبرتغال وواجه القوة المغربية المتمثلة في الاسطول القوي والقوة المربطة بالثغور مما لزم عبور السلطان أبي الحسن بنفسه الى الاندلس ليراجع القزو المسيحي بنفسه ، ومما جعل بلاط غرناطة ثانويا امام مسؤولية بني مرين في مواجهة التحدى المسيحي الجديدة وحيوية وعزم . وقد اثار هذا الموقف الدقيق حساسية البلاط الغرناطي وتوجس خيفة من تدخل بني مرين في شؤون الاندلس ما لم يفلكوا الخجة لمواجهة

المغاربة وهم المدافعون عنهم بعد عجزهم الفطري ، فظلوا خائفين من نتائج هذا التدخل ، ولذلك لجأوا الى الوسائل الدبلوماسية للسيطرة على الموقف من جديد . وفي هذا الوقت الصعب لجأ ابن الخطيب ليكون نقطة الارتكاز في تغطية سياسة مرتبة تعيد الثقة الى غرناطة والى بني مرين ايضا ... فوافده محمد بن أبي الحجاج الى بلاط الى عمان المريني سنة 755 ... وقد نجح في مهمته نجاحا كبيرا ويقول أحد اغضاء الوفد القاضى أبو القاسم الشريف : لم نسمع بغير قضي سفارته قبل ان يتسلم على السلطان قبل هذا

ولكن الوزير ابن الخطيب كعادته يمتلكه الاعجاب بنفسه وبتملكه القور فيسير عليه الاحقاد ويضعف موقفه امام الخطر المحدق ، وهكذا تردت غرناطة في فتنة عارمة انتهت بالهجوم على قصر الحمراء سنة 760 حيث قتل الحاجب رقبوان وخلع الفتى بالله وخرج اخوه اسمعيل من سجن الحمراء يساعدته صهره الرئيس عبد الله وامه البقيعة في قصر الحمراء ورغم مصالحة ابن الخطيب لحكام العهد الجديد فقد كان مشكوكا في نواياه فاعتقل وصودرت امواله ، ولولا صداقة الملك أبي سالم المريني للسلطان المخلوع ولابن الخطيب لكانت النهاية سيئة واليعة بالنسبة ايضا معا ...

وهكذا يبدو نقلة الضيف في سياسة ابن الخطيب وهي القور والاعجاب بالنفس وعدم الاهتمام بالقضايا الصغرى التي تؤدي الى المواقف الحرجة الشخصية .

الرباط : حسن السائح

قطعة العمد

بلابل قرطبة

للأستاذ محمد بن أحمد الشماغي

ما تختار ، ولا تجد خرجا في السؤال عمن الجديد
الواصل من الديوانين الشعرية ، حوارين لشعراء
الاندلسيين والمشاركة والمشاركة ، خصوصا المحدثين ،
من الذين أمدوا ذخائر الشعر بطرائف معجبة بمعانيها
ومبالها ...

والادباء غلة ، والشعراء خاصة لا يفوتهم مؤلف
ميل حرقق الادبية المستفسرة عن الجديد في دنيا
الادب ، فهم دور حرق وقبول الجذب ، وهم ايضا
دور اصدار فاحصة منقية ، وهم - هداهم الله - دور
اذان رقيقة ، وعواطف رقيقة ، يوزعها النسب ويجركها
أهمس الخافت ، لقد سمعوا - وهم - يجالسون
الكئين - صوت الفتاة ، فتاة القصر الاموي النبيلة ،
وكان منوة تسونا فقا خالصا ذابرة عذبة ، جذبت به
اساليب التدريس - ايام الدراسة - علي حسن الالتقاء
وجودة الإنشاء ، وسمعوا الضحكة الحقيقية غير
المتبدلة ، عندما دعا داعيها ، وكانت هذه الضحكات
في مناسباتها دالة على خفة الروح ورقعة الانسان
وحسن الاستجابة لحلاوة النكتة .

أحسن من هذا ، أنهم رأوا - وبالروعة ما رأوا -
غيتا خضراء زبردية ساخسة ، تقطن بشجيقها
وبشجاعتها ويترودها ... وتزين الاحتراق انتفاها
جيلة ، تعلوها خواجيب مجوزة ، كما أن امارات من
الشعر الأشقر كانت تطل من حول الصباغين ، ومن
فوق الحاجبين ، متبدلة على بشرة مشرقة ، غاية في
الاشراق ، وترا أي الكف والمصم في بضاعة ، دالة
على صحة وامرة وليونة بأذخة .

تفرق الجند ، وذهب الخراسي ، وتغلب
الديوان ، واحتجب الوزراء ، وولى القائلون على
شؤون العاصمة ، قرطبة ، وشؤون البلاد الاندلسية
كلها ، وسلموا في مسؤولياتهم وتركوا الامور تجري
كما قدر لها . فعمت الغوضى ، وساد الاضطراب
فترة من الزمان ... وهاجى الحالة قد عنادت الى
البدوء ، واخذت الرؤساء الجدد ، يباثرون بهاهم ،
كما اخذ هؤلاء بتسجيل الاحداث وكتابة التاريخ في
التيات بلاجفاتهم . وترجع الحق على الباطل - هذه
المستطاع - في قضية الخليفة المنكوب (المستبد
بالله) ... اما التكريات الجميلة عن بنى امية ، فلم
يبقى لها سيم الا دلى اغواء الشيوخ والسجائر ، الذين
يستندون في احكامهم على عواطف ساذجة ، نائمة
من قلوب سعلت حقا بالايام الغوالي ، ايام المعبد
والمر والرفاهية .

وما مرت ايام حتى شاع بين الاقوام ، فسي
اوساط خاصة ، ان الابواب الامامية للقصر الاموي
توزحت خضاريفها الضخمة واخذت قلة من الخراسي
تدخل مكانها ، وراج الهمس ان غادة هيفاء فائقة الحسن
اخذت تقادق القصر الجليل ، وذهب في الطرقات ،
لا تصاحبها الا خادمة خاسية صغيرة ، وان من تبعوا
خفواتها وجعلوا انها تقيد دكاكين الزواجر وباعة
الكتب . ومن ايضا على دكاكين الجوازين وباعة الخلي
والعطور ... الا أن وقفاتها تظل عند الكئين ، من
حيث تتصفح العديد من الكتب ، ثم تختار متبها

والكتبيين والوراقون معهم - ككل التخاذل -
يعترفون على لياقة مناهية . لقد استطاعوا أن
يجاذبوا زبائنهم الفاتنة أطراف الحديث ، وأن يعرفوا
بها جنسهم الشفوفين ، وهم من حملة أقلام الشر .
ومر بقي الشيطان الشعر ، ولا عجب أن هيميت الشفافة
وحسنت البصار ، وانزعجت الصدور عن أهات ...

انه ليعز على أميرة أدبية ان تجالس الأدباء .
لايم من خيرة الطبقات ، ولكن ذلك لن يكون ابدا على
ايواب الدكاكين او داخلها ، فلتتجسرا باستدعاء
الشعراء والبلهاء والمطرفاء الى مجلسها ، ان هذا في
امكان أدبية اميرة ، متفتحة القريحة ، ملتزمة العواطف ،
حياصة القواد . قوية الحافظة ، بما اختزن في
من عيون الأشعار ، قديمها وحديثها ، المشرقي منها
والمعربي . ان ذلك نتيجة التربية العلمية الادبية التي
نشأها عليها أبوها سليل الخلفاء الأمويين ، انها الحسنة
الكبرى التي أسداها للبلاد الاندلسية ، ولهدى الفساة
بالذات ، حتى تركها هكذا تلهج بالشعر ، وتنقب عن
الجديد في الشعر وتروم عميرة الشعراء ، ولا مجال
لها الا الرضاى تنبه بين اشجارها وازهارها واغصانها
تارة قائرة ، وتارة سائرة ، واخرى متعددة ، والشعراء
حيثما كانوا متانسون متهودون يملكون فرديد
المقطوعات الشعرية وحدهم ، ومع انفسهم ، ويتعمدون
منها وهي تحالج صبورهم وتتفجر بها خلوقهم ، هم
يريدون المستمع ، المستمع الشغوف الطربوب ،
الذي يحسن الاستماع ، ويذوق رقة وطراقة منعتا
او متشدا ، بل الذي يكاد يخرج من قايه عند الاستماع
من شدة الطرب والاعجاب ... هذا اذا كان الامر يتعلق
بشاعر ، اما اذا كان يتعلق بشاعرة ، فالمسألة مسألة
رحيق عاطر حلوي ، من زهرة قواحة متفتحة .

وبخاسة الانثى الرقيقة الشغور ، المكبوتية
العواطف ، المعانية من تصاريق الاقدار ، التواقة الى
عودة ايام العز ، ولو في بعض جوانبها ... وجدت
الاميرة ان نظرات هؤلاء القوم عامرة بالشوق والحنين
والخشوع لسلطان الجمال ، كما ادركت انها كلما
اقلت في المرة بعد - المرة - وجدت عدد الخالسين
يتزايد ، وانهم في فترة وجودها يسودهم اضطراب
ملحوظ ، فلا ذلك الجالس مستقر هادئ في جلسته ،

ولا ذلك المخملي كف عن حيلته ، وعن حثك لحبسه
وجذبها ، والثابت لا يستطيع التحكم في انطباق
شفتيه ، ورايع يفتح الله عليه في القول ، فهو
يقول ويكرر القول ، ولا يترك مجالا لآخرين ليقلوا ،
ممكن ان العذر ، انه يريد ان يكسب الاعجاب
وحده ... انما الاذكي من الجميع هو ذلك الفتى
الوسيم ، الرقيق البسمة ، المتناسق الاطراف ،
العريض الكتاف ، الفاجح الشعر ، الاسمر اللون ،
المتن الاشارات ، انه يلمح ولا يخفق ، يعلق
باعتصاب ولا يشرق ، يرفض عن طريق السكون ،
ويقبل عن طريق الابتسام ، وأحيانا هو مبسم في كل
الاحوال . انما عند رغبة الزائرة في الانصراف ورفع
طرفا ثائها حالها منحونا بالرغبة والظية والرقية ، في
فترة لم تنفد ما بين زافع البصر وخفقه .

ولم يبق عند غموض ، ان اكتشف للوراقين
والكتبيين وجلساتهم بان الزبونة المواقبة هي قيسى
حقيقتها (الاميرة ولادة) ابنة الخليفة الذاهب
(المستنصر بالله محمد بن عبد الرحمن) واكتشف
الامر لها هي ايضا ، عندما غابت احببي الوراق (عن
احد الجلساء بالذات ، فقال لها ، في معانبة شيطانية ،
ليست مشرقة في شيطانها :

انه ابن زيدون الشاعر المشهور ، انه كم هو جميل ،
لو كنت فتاة لتزوجته ، او على الاقل احببته ... !

احمر وجه القدراء الساحر قليلا ، واقابت على
الكتبي ، دون تردد ، وفدست له دعوة اياتي عمو
وجلساؤا الكرام الى القصر ، وجلدت بشدة غير
متناهية ، في طيها اغراء خفي : اني لن تقبل الا بحضور
المجموعة كاملة ، وان اى احد يجيء بمفرده . ستفطر
الى انقائه في الروض خارج مكتبها النفيسة
المريزة ، وخارج المجلس الادبي الفاخر بفروشاخه
وانائه . ولا يوم عينا يومئذ .

غير ان الادباء عمدة ابدا ، يركبون رؤوسهم
ويقايرون فيعصون الاوامر ، ولا يخشون قسي ذلك
احدا ، وانهم يعتقدون ان الخشاوات لمن شديدا
الاوامر في اية حال . بل يلداهن ان تعصى اوامرهن
من بعض الرجال ... وهكذا ، بعد الزيارة الاولى
والثانية والثالثة للمجموعة ، اتسل (احمد بن عبد
الله بن زيدون) ودخل القصر ، وانفا من نفسه ،
يخطو في المفرات بثبات ... واستأذن للدخول على
الاميرة ...

فلاحظ كثرة الاستعمال ، مما يدل على إعجاب الأديبة بهذه القطعة بالذات ، التي ترمي ولا شك شيئا قبيحا عميقا نفسها .

واقبلت الأميرة اقبال المسعد رائحة قاتنية ،
خلابة وقد أزال عنها حجابها ، وكاد الزائر المتلهف
يقفز من مكانه مسرعا ، ولكنه - لبرائته - تجلسد
وتصبر ، واكتفى بأن خفض رأسه محييا باحترام ،
وقسي أن الكتاب مارال بين يديه مفتوحا ، عند
الصفحة المغلومة .

ابتسم وقالت بعد كلمة ترحيب لا تغلو من رفع :

- أرى أن الشعر يعجبك لا

- ومن لا يعجبه شعر الفزال ، أنه عزال خلفه
وابداعا ...

- أنت مطلع وعارف ياهدا ، هل يلفك قوله :

يقرف عقل المرء من أربع :

عشيتة أولها ، والحسنة ،
ونود عيشية ، والفاظه .

بند ، عليها يدور الفلك

وتطليح الزائر الإريب الى الأميرة ، وخطرت له
المحظة القريبة ، وهي قادمة اليه فعلق :

- إن هذين البيتين على دوخنة كبيرة من
الفسق . ولن أدم الدليل الملبوس ، الذي لم
يتناول عليه العهد

أدركت الأميرة للميحة فقالت :

فيمنا قصدنا أيها الأديب ، الله لنا منكم أيها
الأديب ، ما إن ترموا حتى ترجعوا إليهم من حيث
أتى ، ما أكثر خراحتنا منكم لا شفاها الله !

- حقاسيدني ، في الميدان شهداء وشهيدات ،
فليرحمهم الله برحمة الفن والأدب .

- أمتأكد أنت يا ابن زيدون ؟

- لا يا مولائي لا ، التأكد والمجزم والاعتقاد وما هو
في حكم ذلك ليس من شيمتنا نحن الشعراء فنحن
متمسكون واهمون ضالون ، إلا أن بعضنا أهمل
استنار كما قال شاعرنا عليه الرحمة .

كان المساء ، الذي جاء فيه - من أمسيات
الربيع - والربيع جميل في كل بقاع الدنيا ، ولكن
جماله في أرض الإندلس أروع وأبدع ، كل الإزهار
مفتحة ، كل المورود ، الورد - على الخصوص -
تفتحت تفتحها تاليا على غصيناتها ، وفاج عطرها في
الأنحاء ، والغيرى أرسل فحات من الزواجر
العطرة ، التي هي قليلة في تلك اللحظة ، ولكنها
ستزابد بذهاب أشعة الشمس وظل الليل ، أما
الخزامى والريحان فقد حركته مرسات اليمانيين
فجاج العطر أخذا منعشا .

كانت هناك حيفة ، تغلجها أغصان دائمة
مورقة ، ويحيط بها جدار زجاجي صلب وأرضها
مفروشة بساط مزخرف بديع ، وتوسطها منضدة
عن خشب الفؤز المخرم ، والمنظف بخشب اللينون
الفاقم ، وبحول المنضدة رسمت كراسي مبطنة بنسيج
حريرى ملون ، مرتحة لمن يجلس عليها ، وعلى وجه
الطاولة وضع ديوان شعر مجلد بأثاق ، كان أول شيء
أخذ باهتمام الزائر ، فتناوله باستمجال ، محافظا على
الصفحة التي وجدته معلنا عندها ، وقصده أن يعرف
شيئا من اهتمامات القارئة الفاتنة ، وكانت القصيدة
مكتوبة بخط أنيق بالغ الأثاق ، تلاحظ فيه إمارات
الخط الأنورى الدقيق ... وكانت الأبيات التمس
وقفت عندها هي هذه :

إذا أخبرت عن رجل يرى

من الآفات ظاهرة ضحيج

فسلم عنه : هل هو آدمي

أن قالوا : نعم ، فالقول ربيع

ولكن بعضنا أهل استنار

وعند الله أحسن جريح

ومن أنعام خالقنا علينا

بأن ذنوبنا ليست تفنوخ

فلو قاحت لأصبحنا هروبا

فرادى بالفلأ ، عاستريح

وضاقت بكل منحل صلاحها

لنن ذنوبه البلد الفسيح

أعجبت الأبيات الشاعر الشاب ، وتوقف عند سهولة
الفاظها وصدق معانيها الفلسفية وتمعن الصفحية

— ضديقت : ان هذا هو ذا يميز الشعراء من غيرهم ، وهو امر لا يحتاج الى جدال او فيما حكمة انما شعراء الاندلس اكثر تسككا واسموهما : واعسرف شعراء الدنيا في الضلال !

— لا املك الا ان اؤيدك يا مولائي : فكان لسائل الغدب يتطرق غما في قصيري في كل مرة : وكيف لا اؤيدك ولرضنا هلم ارض خصبة : وماؤنا ما يرايق : وهو اؤنا جواء سعيد : وجمالنا جمال قاتن : وحبنا حب شهاب .

احفوت وحبنا الاميرة حبيلا : واقبلت على اصمحت تغلبها : فكانت تستجد بها لتسغفها بما يؤيد وجهة نظر مخدتها : فهو جدير بان يغزو ويؤيد على طول الخط فان جاء ذلك من الديوان فبها وانعت : والا فهي تصفها صنوع المعنى الجائل تنسجها في آيات شعرية !

وتطلعت اليه فوجدته يعاني (مغاضا) : شعرا ان المعنى رائع في ذهنه مستترج بشراب من قلبه لذلك فهو يريد ان يقول ما قال شعرا : ان الشعر ليس المعاني جودة وروعة .

وهكذا كانا معا يعانين أزمة داخلية : كادا يفجيان معينا في بحر : لا يعرف بالاضيق متى يستيقظان منه . الا ان قطرات المطر تسببت من بين اوراق الدالية فتبعتها الى نفسها عندئذ تقطعت ربة المنزل : وذهب زائرهما الى مقادير السقينة للدخول الى اخفى حجرات القصر ...

ويندهام ويكر لطيفين قالت الاميرة :

— ان القاعة مليئة بلندوتنا الشعرية . لكنى ارى اصحابك لم يحضروا بعد ، اترك زعت متهم ام طاردتهم : ام هم يخشون سطوتك يا سليمان الاقرباء .

— ان شئت الحق يازينة القصور فاني اقول منع الشاعر الغزال :

وان رجائي في الايب اليكيم

— وان انا اظهرت العراء — قصير !

سكنت الاميرة الادبية مرة اخرى : وعلاها حياة غير شديد : ولكنها لم تتردد في اخذ كفة الدائنة

في كفها الماردة : وادخلته الى حجرة مجاورة للقاعة الكبرى . المخصصة — عادة لاستقبال الضيوف ...

وكانت فترة قصيرة : وتركته يتصفح هذه الحجرة الصغيرة الاليفة بفرشها وبساطها ومنكأتها وسائرها ويتعدد المقننات فيها والصرايف الجميلة : تميز تلك الرفوف العديدة بوعليها مآث الكتب : والتي هي جزء من الخزانة الاموية الفائرة .

واقبلت الامر : ومعها خادماؤها يحولن الصواني الفضية : وعليها ما يكفى من المشروبات والتفصيل والفواكه ... وبدأت المناجزة : وكانت جسامعة لليلة ممتعة : طبع بطابع المروة والعلق من جانب : وبالحدق والمجازة من جانب آخر . ولقت نظر الزائر ابن زيدون في الحين ان الاميرة عصب راسها بعصابة غرضعة : كتب عليها : بخط جميل شبيهه بالخط الذي كتب به الديوان :

انا : والله اصلح للمعالي

وامنى مشيى واليه فيها

وامكن عانقي من صحن خدي

واعطى قلبي من يشتهيها :

فرا الاديب الحاذق ما كتب في لمح البصر وسكت . ولكنه لم يصبر طويلا على السكوت فباليها — سؤال باحولاتي : الديوان الذي كان بالحدقة : هل كتب السارة بخط يدك ؟

احفوت واحصر وجهها لحظة : ثم عاد الى اوتيه العادي القيسي . واجابت بخراة :

— نعم ، كل الاشعار التي تعجبني اكتبها بخط يدي . هذا وفاء عني لمن احب اشعارهم : وتحسن الشعراء اعرفهم بمعاينة الشعراء من اجل عبادة الفكرة الجميلة والمعنى الدقيق في اشعار حلوة تأخذ بالاياب .

لم يفلت الفرصة فلمع :

— العهد بالشعراء ان يكونوا اوعياء : وبالشاعرات ان يكن يوفيات كذلك . وبعد الجردين — من يجتى اذا وجدت بشيء وقيت به .

وهنا كان الشاعر يعب من كآته : وبضربة معلق بخدي الاميرة الراهرين .

وظائف الحديث وتسميه ، وتلويحت غواصيته .
 ووجد الشاعر الزائر في تناعره الباردة ما يقيد من
 الإخبار . وما يمتع من الطرائف والمكاتبات والصفاءات
 والخطارات والمحفوفات كما وجدت فيه كل بريقها :
 رقة جانب ، وحداقة وإطرافه ، وذاكرة وأمية تسعف
 بكل جديد لذيقه ، وحرب لها على الزور الحيناس . لها
 أشاد بحكم البيت الأموي : وبالفصائل التي له على
 الفكر والفن والعبقريّة والفن . وزاد فعبيد أسماء
 الكتاب والشعراء والزجالين والحكماء . والفلاسفة
 ... وعاد قد ذكر بالعتراز الشعراء الأمجاد : الفزّال
 يحيى الجاني ، وابن شهيد ، وابن جرّ . . . استغادا
 الكثير من أشعار هؤلاء ، وتذوقها تذوقا تقاربا فيه
 أكثر مما اختلفا . واستمر عنهما ذلك حتى الزمان
 الأخير من الليل . عندئذ لفت نظر الشاعر الولهان أن
 جلسيته الأدبية سرقت جفولها سنة مسن السوم
 قتركا .

وما لم يحذقه المعروف إلى المعبرة والقلم وكتب
 أياتا عفو السابعة :

ودع الصبر محب ودعك

ذائع من سره ما استودعك

يفزع السن على أن لم يكن
 زاد في تلك الخفّى : الأشيعك

يا أبا البندر نشاء ونسنى
 حفظ الله زمانا اطالعك

إن يطل بعدكم إلى قلبي
 بت الشكوقصر الليل معك

تخرج من مكانه يريد الخروج ، وترك الرقعة
 على المائدة . مائدة الأتس والمفاتيح . والفن نظيرة
 يغيب قوى من الاعتجاب والبهجة على النائمة أمامه .
 وقام لمغادر القصر . فكانت ليلة عريضة بصعب
 اعتلاهما .

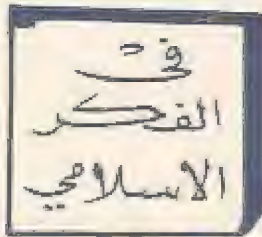
سار في مغزات الروض الذي كان في حالة من
 الأذهار والتفج ، والبلابل تطلق التغاير الأولي بعد
 أن افسح لها الشعراء المجال . أما في الطريق فقد
 كانت قرطبة لا تزال مستسلمة للرقاد فالقوم فيها عادة
 ينامون بعد متعب الليل . ويستيقظون قبل متعب
 النهار .

محمد بن أحمد أشماغو

الرباط



من ثمرات الفكر



الفلسفة الأخلاقية

تأليف: الدكتور أحمد محمود صبحي
الأستاذ المساعد في الفلسفة الإسلامية

تعرض هذه الزاوية - في نطاق عناية المجلة برصد الانتاج الفكري في المحيط العربي والاسلامي ، وتبني مضامينه - الى ما تتفق عنه القرائح من عطاءات في شتى ضروب المعرفة ومناحيها ، وما تجلوه الابحاث والدراسات المقدمة في هذا النطاق ، من وجهات في النظر والتحقيق والتعميق ، وما تبرزه من خطوط فكر في التقييم والتقدير ، وما تحمله الصياغات الادبية في طيها من تأملات ورؤى خلال الحياة ، على اختلاف الصور والاحوال .

وجوهر التوخي في هذه العروض ، اظهار القارىء على ما تنضج به دنيا الفكر هنا أو هناك ، مما يجد فيه المعنى بمواضيع الثقافة والمعرفة بعض ما يفيد : وان كانت الفائدة في هذا المصنوع مختزلة ، تنبئ عن اتجاهات البحث والرأي في الموضوعات والقضايا ، دون ان تغفل في العمق الموقور - على اى حال - لمن شاء الرجوع الى المصنفات المتطرق اليها في الحديث .

وواضح من هذا ، ان النهج في هذه الموضوعات ، شوف لا يكون - بالضرورة - نهجا نقديا ، يتناول الاعمال المعروضة من زاوية نظر تستهدف ابراز الراجح والمرجوح في العمل ، وبلورة مواطن الضعف والقوة في محتواه ، ذلك ان القصد في الاساس هو التقييم والتعريف ، وليس الوزن والتقييم .

على ان هذا الاجتزاء ، لا يمنع - مع ذلك - من لمس الموضوعات المتطرق اليها ببعض اللمسات النقدية ، ان اقتضى الحال ، الا ان الامر في ذلك ، لا يحدو نطاقا محدودا ، يركز فيه خاصة على استجلاء مواطن الاجادة ، واستخلاص اجمع الخلاصات مما هو مفيد وممتع في الموضوع المطروح ، وعلى الله الاتكال .

تعددت الآراء على نطاق واسع في موضوع الأخلاق ، تبعا لدقة جدول هذا الموضوع ، وتشابه منازع التصور والرأي فيه لدقته هذه ، وتعدد المفاهيم حولها .

والأمر - كما يعلم - يندرج في إطار البحث عن الإنسان ، وبما يدخل في إطار هذا البحث من نتائج يتصل بعضها - من زاوية النظر العلمي الحديث - بعلم النفس أو بعلم الاجتماع أو بغيرهما ، بينما يتصل بعضها الآخر بالعلوم المادية كالوراثة وعلم الأحياء ونسوى ذلك .

وهذه الاختلافات من هذا القبيل ، مجال التعريفات الأولية لها ، مثلما نرى في التعريف الأكثر تسهيا ، ومن ذلك : أخرجت الأقوال في تعريف الأخلاق بين مختلف المدارس الفكرية ، المعتمدة بالموضوع . وتباينت بقدر ذلك تصورات المنظرين عن الأصول المستمدة منها الأخلاق (هي العقل أم العاطفة أم الإرادة أو خلاف هذا ؟

وتنحدر جذور هذه الاختلافات في الموضوع ، عن الفلسفة القديمة - منذ عهد الإغريق - المدين خصبت خصيلة أطروحاتهم في أمر الأخلاق بجملة من الآراء والتشظيرات تتناقض بينها بين جوانب ، فيما تتكامل من جوانب أخرى .

وقد كان سقراط - من أوائل من نظرروا في المسألة وتوسعوا فيها حتى اعتبر غثنى علم الأخلاق وجاء أرسطو . وكانت له في الموضوع جولات تبلور من خلالها رأيه فيه على أساس القول بمسندم الارتباط بين فلسفة الأخلاق وما وراء الطبيعة .

وهو ما اختلف فيه أرسطو عن سقراط الذي كان يرى - على العكس - الأدامي لقبيل الأخلاق عن ما وراء الطبيعة .

ومثل اختلاف النظرة الأرسطوية عن مذاهب سقراط ، كان اختلافا أيضا عن الفكرة الأفلاطونية في الموضوع .

ويطالعنا كتاب الدكتور محمد محمود صبيحي عن « الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي » ليركز خاصة على هذا الفرع من المباحث الإسلامية (فرع الأخلاق من وجهة نظر المفكرين الإسلاميين ، وليرسم - من خلال ذلك - لوحة معبرة عن شتى الاتجاهات النسي تيناها هؤلاء المفكرون في القضية ، ووجه التعارض فيما أخذت به في شأنها مدارسهم المختلفة .

لكن من تقوم فعلا - في نطاق الفلسفة الإسلامية - فلسفة أخلاق ذات ملامح فكرية كاملة ، على غرار ما يعرضه التراث الفكري للأمم الأخرى ، العريقة فكريا ؟

يرى المؤلف « أن الفلسفة الأخلاقية من أقبل فروع الفلسفة حظا من عناية الدارسين والمؤرخين (1) للثقافة الإسلامية » (13) ويستشهد على ذلك بأين خلدون وابن حاعد الأندلسي مثالا ، اللذين اختلفا الإشارة للأخلاق فيما استعرضاه من أصناف العلوم . بل إن الاتجاه بين المؤرخين والدارسين المحدثين - كما يذكر في هذا السياق « أن ليس في الفكر الإسلامي مذاهب أخلاقية : بعبارة ذلك باستثناء المسلمين بتعاليم القرآن والحديث عن النظر في المسائل الأخلاقية .. » (14) « إلا أنه يعود بعد ذلك إلى التفتيش على مثل هذه الوجهة في الرأي فيذكر أنها تحتاج إلى مراجعة لأسباب كثيرة .

منها ، أن هؤلاء الدارسين قد دأبوا على انكار أن يكون للمسلمين فضل في علوم أخرى غير الأخلاق ، الأمر الذي يفرغ التشكك في نزاهة مثل هذه التحليلات التي يأتون بها ، سواء في هذا الموضوع أو نحوه .

(1) الأرقام التي تتخلل الكلام ، تشير إلى أرقام صفحات الكتاب .

ومنها : أن الأحوال السياسية والاجتماعية التي جرت في المجتمع الإسلامي بعد توسيع الفتح ، والاحتكاك بالحضارات الأخرى لم يكن من شأنها إلا أن تطرح عليهم من القضايا والمشكلات الأخلاقية ، ما يدعوهم إلى تناول الموضوع الأخلاقي من وجهة فلسفية متطورة ، وتبليغ المعطيات المطروحة عليهم بصدره .

ومنها : أي من الأسباب التي تدعو إلى نيل الادعاء بقصور المسلمين في البحث الأخلاقي لاستنتاجاتهم بالدين عن مثل هذا البحث ، ما هو ملحوظ بين أن الثقافة الإسلامية تشتمل على علوم لا تكاد ترتبط بالدين كالعلم والكيمياء والرياضيات فكيف يحول الدين دون البحث في المشكلات الأخلاقية لسبب أن الأخلاق بطبيعتها أقرب العلوم إلى الدين ؟

وحسبنا يؤخر إليه المؤلف ، فإن الظن في عدم وجود فلسفة أخلاقية عند المسلمين لما يرجع إلى مؤثرات المذهب الأرسطوي ، المذهب إلى أنه نجح في البحث عن الأخلاق « الانتداء بالواقع المتأخرية الواضحة أي استبعاد صلبور الأخلاق عن مبادئ أو عقائد أو على الأصح عن الميتافيزيقا (19) » وهذا عكس ما ذهب إليه المسلمون ، وعن ثم ، حسب المتأثرين بالتفكير الأرسطوي ، أنهم لم يأتوا بشيء يقدّمه في الأخلاق ، طالما أنهم نجحوا في إيجاد ميتافيزيقيا في تصوراتهم حول هذا الموضوع .

ويذهب المؤلف في الفصل الثالث من كتابه ، إلى تحليل السبب الميتافيزيقي للأخلاق ، ليخلص من ذلك ، إلى ما أراد التوصل إليه من القول ، بأنه كانت للمسلمين فلسفتهم الأخلاقية ، ولو أن منطقيا يختلف عن المطلق الأرسطوي اختلافا جوهريا .

« إن من غير المتوقع ، كما يورد المؤلف ، أن تقوم فلسفة أخلاقية في الفكر الإسلامي دون أن تكون مستقاة من أصول دينية . وليست الأخلاق علما كالعلم أو الكيمياء أو الطبيعة أو الرياضيات ، ولكنها تشترك مع الدين في تعلّقها بالإنسان وتنظيم حياته وسلوكه ومن ثم : فإنه في الفكر الإسلامي ، لا بد أن يكون الإنسان هو الذي يحدد القفل ، والاعتقاد هو الذي ينظم السلوك (24) » . وفي إيجاز لهذا المعنى يذكر المؤلف في خاتمة الفصل قوله : « خلاصة القول أن النظر سابق على العمل ، وأن الاعتقاد يتقدم السلوك

ولا تبعه ، وإن ما بعد الطبيعة موضوع استدلال عقلي ، وأن التسبق اللازم لدراسة الأخلاق ليس بمفكوري الإسلام ، أن استوجب استناد القيم الأخلاقية إلى أصول ميتافيزيقية ، فما ذلك إلا لأن السلوك لا بد أن يشق مع الاعتقاد ، وأن الأخلاق لازمة عن الميتافيزيقا لزوما متلقيا ، لا حقة عليها زمنيا » (30) .

وفي دائرة هذا التصور ، التصور الإسلامي المتعلق بفلسفة الأخلاق ، يبنى المؤلف هيكل الموضوع الذي تناوله في رسالته والذي يطبق عليه العنوانان الموسومة به الرسالة ، وقد صدر سبيله إلى التغلغل في تفاصيل هذا الموضوع ، بالكلام على النهج الذي يعتزم اتبعه ، ويرتكز النهج على عرض المشكلة الأخلاقية عند المسلمين من خلال اتجاهين رئيسيين من اتجاهات الفكر الإسلامي ، هما آراء العقليين من جهة ، وآراء الدوقيين .

والزعتان - وفقا لما يراه الكاتب - تبطلان في الأصول ، كافة الفرق الإسلامية « فالمعتزلة يلتزمون عند الأصول الخمسة ، وأن جعلهم كتاب الفرق عشرين فرقة وقد تزيد أو تنقص ، كذلك قد تفاوتت أقوال الصوفية بين متفلسفين ومعتدلين ، ولكنهم لا تبتكع يلتزمون عند بعض الأصول ، وإلا لما جمعهم اسم التصوف » . (33)

لكن : في أي إطار يمكن أن تعرض المشكلات الأخلاقية التي دارت حولها اختلافات الفرق الإسلامية لا هل يمكن النظر إلى حصيلّة فكر المعتزلة والمتصوفة المسلمين في الموضوع ، على أنه يمثل تسقا خاصا في الفكر معزولا عن تيارات الفكر العالمي ، أو أنه من الملأ إدراجها في نطاق هذا الفكر ، باعتبارها صورة من صورته ؟

يرد المؤلف على هذا السؤال بصدد عرضة منهجه في البحث فيقول معترضا على من ينكرون على موضوعات الفلسفة الإسلامية أية منزلة عالمية :

« إن عرضي باحث لدراسة مشكلة الفلسفة الإسلامية ، فإن هذه المشكلات تبلو من دراسته كما لو كانت محلية وليست عالمية ، إسلامية وليست إنسانية ، أن هذا النهج في الدراسة - فضلا عن أنه قد عزل الفكر الإسلامي عن التيار العام للثقافة الإنسانية - فإنه يحفل في طياته التناقض ، إذ أنه يشتمل طبع المشكلات بطابع محلي بحث ، فإنه جلد

حريص على أن يرجعها إلى أصول ومصادر اجنبية يونانية ، أو هندية ، أو فارسية » (35) .

ويركز في موطن آخر على هذا المعنى فيشير إلى أنه « قد تكون هناك عوامل متعلقة بالبيئة الإسلامية هي التي أدت التيارات الفكرية والمذاهب الكلامية بين المسلمين ، ولكن ذلك لا ينفي عن المذاهب جانبها الانساني ، وطابعها العالمي ، والا لما نسبوا لولاة المفكرين أن يؤثروا فيمن بعدهم ، ولما استطاعت هذه الفلسفة أن تجعل مشعل الثقافة إلى الغرب لو كانت ملكاتها وآراؤها مقصورة عليها تدور في فلك خاص بها... » (36)

وبادخال المؤلف في الاعتبار فكرة المسلمين في الربط بين الاخلاق والفصل على انهما متلازمان متكاملان (31) يخلص في خاتمة الفصل إلى بؤرة عناصر تنتهج في البحث وتستغرق ثلاث مراحل هي :

- 1 - عناصر فقه الاخلاق ، أو أصول الاعتقاد
- 2 - مقتضيات الاخلاق من الاعتقاد إلى النظر
- 3 - أصول العمل وقواعد السلوك من النظر إلى العمل (37) .

* * *

وننتقل - بعد هذا - مع الكاتب ، إلى تحليل « لجواب المسئلة الاخلاقية عند العقليين » ونموذجهم البارز « المعتزلة » والمعتزلة - في سياق قولته : « هم المعبرون عن النزعة العقلية في التفكير الاسلامي » ليس ذلك لانهم استدلوا على العقائد السمعية بادلة عقلية فجيبة ، ولكنهم لانهم وثقوا بالعقل إلى حد أن لم يفارقوا النفس مع العقل ، ورجحوا دليل العقل ، ولجأوا إلى تأويل النص ، لقد كان لهم الفصل في أن كانوا الأوائل في الإسلام الذين دفعوا العقل إلى منزلة أن يكون مصدرا للمعرفة الدينية (تأكيدات استفادها المؤلف من بعض المصادر) (41) .

وفي هذا يختلف المعتزلة عن الاشاعرة « في جهة وجوب الاحكام بالشرع أو بالعقل » فهي عند المعتزلة انما تصب بالعقل « وهذا ، في نطاق انصباب فهمهم الخلقية » (42) . (فيما استفاد المؤلف من بعض المصادر) .

وبأى في اثر هذا التمهيد عن العقليين الاسلاميين أو المعتزلة ، استعراض ، امتد على عدة فصول لاحقة - لإبراز المسائل الفلسفية التي خاضوا فيها من زاوية رؤيتهم للأمور على ضوء هذا المنزع في التفكير .

ويختص الفصل الأول : بمبدأ العدل الالهي ، والعدل فيما ساقه المؤلف عن الشهرستاني الذي نقل عنهم بدور تعريفهم لهذا المبدأ بأنه « ما يقتضيه العقل من الحكمة » وهو اصدار الفصل على وجه الضوابط والمصلحة ، فالعقل يقضي في نظرهم أن تكون جميع الافعال الصادرة من الله والمعلقة بالإنسان المكلف ، بمقتضى الحكمة ، وعلى وجه المصلحة ، وتوضح النزعة الاخلاقية في هذا الفهم للعدل ، اذا قورن بمفهوم العدل لدى الاشاعرة : أن الله يتصرف في ملكه ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد » (46) .

ومسئلة فلسفية اخرى تتصل بالموضوع فالجباة المعتزلة ، كما عالجها غيرهم ، وهي مسئلة تحليل وجود الشر في الحياة .

وفي تحليل المؤلف لفلسفة المعتزلة في الموضوع ، يذكر في ذلك :

« .. من الخطأ القول بأن كل ما يتفر الطبع عند أو تكرهه النفس فهو قبيح ، فان الألم وان تفر الطبع منه قد يحسن ، بل قد يجب كما هو الحال في الجحامة والفصل ، ومن ثم فقد وجب أن يطلب الإنسان الألم اذا لم يكن ضررا محضا .. » (56)

« ... فالخير والشر والنعم والنقم كلها تستوي ، لا من حيث انما قوانين الطبيعة التي تتحكم في مصير البشر ولا تعيا بوجودهم أو بنظرهم ، وانما تستوي من حيث صلاحيتها للإنسان ذاته ، كما تستوي الرافة والحزم من الوالد ، ايها يصلح لتأديب ولده ... » (57)

ولا ذراك تدلول وجود هذا التكامل بين الشر والخير في الحياة ، يرى المعتزلة فيما ساقه المؤلف : « ... أن الإنسان يمتحن بالنعم والنقم معا ، وليس عليه إلا أن يكون صالحا ، اصياه الخير أو الشر ، فلا تغنه النعم ولا يحزره عند اللاء ... » (61)

وتتصل فكرة الامتحان هذه ، امتحان الإنسان ، بنظرية اللطف الالهي التي اختص بها الفصل الثالث

من الكتاب . وفي سياقه يذكر المؤلف « ان نظرية المعتزلة في اللطف الالهي مكتملة لارائهم في تفسير الشر الميتافيزيقي والطبيعي - او المصائبي والالام الذين يسمان بارادة الله قسمة للانسان ، قياتي الشر الخلفي المتعلق بارادة الانسان ، ولكن العناية الالهية تاتي الا الهداية له واللطف ... » (62)

ويطالعنا الفصل الرابع ، لتجد فيه صورة اخرى من صور هذا الالتزام العقلي للمعتزلة في ادراك المعاني وتفسيرها ، ويضدد ما بسطه الكاتب عن نظريتهم في افعال الله وانها تهدف الى مصالح العباد « يقول في ذلك يحدد تحليل هذه النظرية « انه يقتضي حكمة الله ، لا يمكن ان يكون الخلق عبثا - وانما كل شيء يدل على احكام النظام والتدبير ، فكل ما في الكون لا بد ان يكون موجعا الى الغايات المعمودة وانما طالع النافعة ، وهي نظرية تخلع على الكون وما فيه من ظواهر ، تفسير اخلاقيا من حيث استحالة تصور المبدء في الوجود ، كما انه تفسير متيق مع مبدء العقل ، لان العقل وحده هو الذي يصفى على الموجودات والظواهر تصور التدبير والنظام ... » (48)

ويطوف ، على ذكر هذا سؤال عن الحكمة في وجود الكائنات الفارة والحيوانات الشريرة .

وللمعتزلة رأي في الامر يسوقه المؤلف ذاكريا في ذلك ما فاجواه :

« ... ان الغرض من ايجاد مثل هذه الحيوانات لغويا هي بالذات ، وذلك بتمتعها بالحياة ثم نفع العباد دينويا ، كما يظهر فيما هو حاصل من ان التبراق من العقارب والحيات اصبل في ذفع السموم ، ودينيا ، لان مثل الحيوان الكريمة ، تذكر بغذاب الله ، مما يدور النفوس للاتعاف والانرجار ... » (90) (بتصرف)

وفي عرض مستفيض عن نظرية المعتزلة في الثواب والعقاب حيث « جمعوا الدنيا والاخرة في نظرة شاملة جامعة ، يحكمها قانون خلقي واحد هو عدل الله ... » (103)

انتهى الى الفصل السابع عن « حتمية اقتضائ الانبياء بالفعل الصالح » وهو مبدء خلقي ، يثير نظرة المشتغلين الى الاخلاق في ابرز ما تتميز به .

وقد كان اختلاف حول المسألة من دواعي الاتجاه الى ظهور مبدء الاعتزال .

ويشدد المعتزلة ، تقيض ما عليه اهل السنة « في الحكم على من يخالف ايمانه عمله ، حتى انهم يرون « ان من اقتصد خصال الخير ، فقد ابان » (110) .

وتسلمنا فصول هذا الباب عن المشكلات الاخلاقية عند العقليين ، الى الباب الثاني ، فيها يتناول المؤلف فيه عن فلسفة المعتزلة الاخلاقية .

ونحدي مباحث الفصل الاول من هذا الباب الى نظرية المعتزلة في التكليف الشرعي والعقلي وما يترتب عليه .

ومما يضعه التكليف على المكلف من تبعات « طرد الاعتقادات والظنون السابقة على التفكير » (119) وليد التقليد الاعمي في التفكير وخاصة .

« وبعد تخليط العقول من الاعتقادات الفاسدة المبينة على الظن ، فان اول ما يجب على العاقل المكلف ، النظر المؤدى الى معرفة الله » (122) . « معرفة توجيده ، معرفة عدله ، معرفة لطفه ، معرفة حكمته » (123) .

« ... هكذا يصل المعتزلة بين معرفة الله وبين واجب الانسان ككائن اخلاقي ، فلا قيام للاخلاق دون معرفة الله ، ومن ثم يتعد الفصل بين الاخلاق وبين اساسها الميتافيزيقي » (123) .

وفي مزيد من تحليل نظريات المعتزلة ، يتخصه البحث بالكاتب - عقب هذا - الى قضية الخير والشر ، او الحسن والقبح في الافعال والاشياء ، هل الفرق بينهما حقيقة موضوعية ، مستقلة عن كل ارادة ؟ هل هما من الصفات العينية الموجودة في حقيقة الافعال ذاتها ، او ان الامر غير ذلك ؟

يجب المؤلف في مرغه للاراء المدلى بها في الموضوع الى « ان الذي يدل على ان الحسن صفة ذاتية للفعل الحسن ، وكذلك القبح للفعل القبيح ، ان عدله من الافعال ، ما لا صفة لها زائدة على مجرد الوجود كالطعام والشراب وفعل الساعي والنائم ، ايا الافعال الاخرى ، فهي محل حكم اخلاقي كالمزج والدم والاباحة والحظر والتحليل والتحرير » (129) .

« ... والعقل كاشف من وجه الحسن والقبح في كل فعل بعينه . وبين ثم - ينبغي النظر والتأمل في الصفة التي يتقرر بها الحكم على الفعل حسنا وقبحا ... فالمستدل في حاجة الى الاستدلال ليعرف ما من أجله يحسن الحسن ويشجع القبح . يوقى حصولهما في بعض المواضع والأفعال ، ولكنه متى علم ذلك بالعقل ، علم صفة الحسن أو القبح ضرورة » (131) .

« ... ومهما يكن من اختلاف المعتزلة حول دور الإرادة في تقييم الفعل ، فإنهم لم يتخذوا موقفاً مذهبياً الثاني في الأخلاق الذي يحكم على الأشخاص وفقاً لسلوكها فحسب . فهم قد اعترفوا بأن الإرادة متدخل في حسن الفعل وقبحه ، ولكن بقدرة تحتل لا يستلزم الحكم عن الموضوعية . وهم لم ينكروا مطلقاً أثر الإرادة في الشرعيات من حيث أن الأعمال بالنيات ومن حيث أن معظم الفروع الدينية ، يشترط النية في أدائها ... » (143)

« ... لكن هل يطلب المعتزلة من الإنسان في كل أفعاله أن يفعل الحسن لذاته ، وأن يتجنب القبح لذاته ؟ أما القبح فيجب عندهم أن تتجنب لذاته ، ولكنه غير واجب على الإنسان أن يفعل كل حبيب لذاته ... » (153)

وبسببنا فعل الحسن والقبح ، من جديد ، إلى جعل إرادة وعلاقتها بالفعل ، وحرية الإنسان فيه .

وبمذهب المعتزلة في هذا ، على ما ضاع المؤلف إلى « مطلق البشاشة الإلهية في أجل التوحيد » وإلى تقرير حرية الإنسان في أصل العدل لضرورة يقتضيها التكليف ، وتجنبها الواجبات الأخلاقية والشرعية (161)

« وليست مسؤولية الإنسان على العقل فحسب ، وإنما تمتد إلى تلك اللحظة من الإرادة التي تكون عندها عزماً على الفعل ، وقصداً إليه » (174) .

وبنفس المؤلف بعد تحليله لنظريات المعتزلة:

حول الأفعال المتولدة عن الإنسان هل هو مسئول عنها ، ولمفاهيم الأخلاقية فيما يتعلق بمعاشي الإنسان وعيانه : إلى الباب الثاني الذي تناول فيه موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره الأصل العملي الوحيد في فلسفة المعتزلة الخلقية (191) .

وينتصب القسم الثاني من الكتاب على تحليل معطيات النزعة الأخري الإنسانية في الفكر الفلسفي الإسلامي ، نزعة اللوحيين أو أرباب التصوف .

والقاسم المشترك في عموم الموضوع - كما يعلم - هو الأخلاق ، ويربط نزعتي العقليين واللوحيين ، في هذا الصدد خيط من التكامل ، يجعل أحدهما متمم للآخر ، وسادا لما به من ثغرات . وفي هذا يذكر المؤلف :

« لقد شيد المعتزلة للإخلاق ميثاقين رائعين ، لسنن المرقف الأخلاقي إلى أساس حبيب من الإعتقاد . ولكن بدت أقوالهم هزيلة في نطاق العمل ، فعسورة على الأصل الخامس (الأمر بالمعروف) .

والصوفية من جانبهم قد طرحوا جانباً الخوض في المشكلات الفلسفية ، ولم يقدموا في نطاق النظر شيئاً ملموساً ... ذلك أنهم شغلوا بالعمل عن النظر في الأصول ، فهل يستطيع الصوفية أن يثبتوا حضور المعتزلة في نطاق العمل ؟ وهل في استطاعتهم أن يكشفوا عن قيمة العمل في فلسفة الأخلاق بالتدريج الذي أفصح فيه المعتزلة عن قيمة الاعتقاد ؟ » (245) .

وفي رحلة طويلة مع رجال التصوف ، يذهب الكاتب إلى استجلاء هذه السمات ، سمات العمل في فلسفة الأخلاق الصوفية ، ويتناول الفصلان التاليان في نطاق هذا النظر ، موضوع ضرورة ضحية الشيخ المريء وهي « من قبل الشيخ يعقوب وارشاد ومراقبة دقيقة ومجانبة للمريء وتصحيح أوضاعه وتعليمه وتصحيح بأسوار الحياة الزوجية ... » (فيما نقله المؤلف عن بعض المصادر) (249) ثم الذكر ، وله جانب خلقي أو سلبي ، ويشتمل في كونه وسيلة لمجاهدة النفس ، وجانب روحي أو إيجابي ، ويشتمل في انحصارهم المريء في الله » (253) .

وفي مرحلة مواءمة ، يتصدى المؤلف لمشكلة العمل عن خلال الفكر الصوفي ، عموداً في هذا المجال على شأن التوبة « ومراقبة خطوات القلوب بأفكارها بواعث الأعمال ، وتخلصها بعد هذا إلى البحث في « التوبة والرضا في حسن الأفعال وقبحها » . ثم إلى الصلة بين الأخلاق وحنمية تطهير الباطن ، بتلو ذلك القول عن المنطويات الأخلاقية للفروع الدينية وتدخل الأخلاق للمقاصد والأحوال (من 257 إلى 293)

والإزعاج التي قد تعصف بضعاف العقول ؛ نتيجة
خواء الاعتقاد » (317) .

* * *

إنها دراسة علمية جادة ؛ هذه التي ضمنها
المؤلف رسالته ؛ وعلى الرغم من تشعب الموضوع
وعورته ؛ فإن المؤلف قد استغفر الوسخ - كما هو
ظاهر - في تجلية جوانبه على ضوء المصادر القريبة
والأجنبية التي رجع إليها في اتجار العيل ؛ وإن كانت
الاستنتاجات التي توصل إليها خلاله قابلة لزيادة
الناقشة والتحقيق ؛ شأن كل محاولة فكرية ؛
خاصة إذا كانت من قبيل هذه الموضوعات التي
تباينت فيها الإفهام ؛ وطال الجدل بشأنها ؛ على امتداد
الأجيال والدهور .

الرباط : م . البرجالي

وفي ذيل هذا العرض حول العقليين والدوقيين
من الفكر الإسلامي ؛ تأتي نظرة يختتم بها الكتاب عن
هؤلاء الذين حاولوا التوفيق بين الاتجاهين الدوقيين
والعقليين ؛ ويدعوهم المصنف بالملفحة ؛ وبعد انقاص في
القول حول اخوان الصفاء . على اعتبار أن فكرهم
يمثل هذه التوفيقية ؛ المتراوحة مشاربها بين الفلسفة
والتصوف .

وبعد لمحة سريعة عن فكر فيلسوف الأخلاق
ابن مسكويه لاتصاله بالموضوع ؛ يلقي المؤلف عرضا
التيصار ؛ وقد افضى لمتن الرسالة ؛ مشتمرا في
قصوره ؛ إلى أن الاتجاه إلى فصل الدين عن الأخلاق
« اتجاه يتعلو - مع شيوعه - على تصور خاطئ
للدن والأخلاق معا . ولا حاجة إلى أن يعاد القول
بضرورة استناد الأخلاق إلى معتقدات . وذلك لحاجة
الإنسان كمن يقف على أرض صلبة من الاعتقاد المتعلق
بماضيته (أصل تكاثره) وحاضره (الغاية من وجوده)
ومستقبله (مصير بعد الموت) حتى يجاري القسرين



على هامش مؤتمر وزراء الدول العربية

المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية قصد التنمية...

سيمكنها بصفة خاصة من تعزيز الجوانب التعاونية لهذه السياسات على الصعيدين الدولي والإقليمي .

وهكذا سيشارك وزراء الدول العربية بغضن المشكلات الحالية التي تتعلق بتكوين طاقة جديدة قائمة بذاتها في مجال العلم والتقنية بالدول العربية . يكون شاملا من ناحية المؤسسات لجهاز علائم لوضع السياسات واتخاذ القرارات ، ومعالجة مناسبة للبحوث والتقنية التجريبية وشبكة كافية من المرافق العلمية والتقنية ومؤسسات للتعليم والتدريب في مجال العلم والتقنية .

وسوف اليونسكو تميدا للمؤتمر عدة وثائق منها:

— وثيقة مشقوعة بالاحصاءات عن القوى العاملة والتقنية والاتفاق على البحوث والتنمية بالدول العربية .

— وثيقة من الشبلة اليونسكو في مجال العلم والتقنية في الدول العربية

— وثيقة تعرض لشبكات منظمة جامعة الدول العربية للتربية والعلم والثقافة في مختلف العلم والتقنية مع التركيز خاصة على القرارات والتوصيات التي اعتمدها مؤتمر الوزراء العرب المسؤولين عن البحث العلمي ورؤساء مجالس البحوث الوطنية في الدول العربية .

سبق أن أعلن عن المؤتمر الذي تنظمه كبل من اليونسكو ووزارة التعليم العالي من 16 الى 25 غشت 1976 بالرباط ، والذي سيقم وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية قصد التنمية . كما سبق أن بينا أهمية هذا المؤتمر الذي يتفقد لأول مرة في تاريخ العالم العربي ، بعد أن اتفقت مؤتمرات مماثل خاص بالدول الأفريقية بعاصمة السنغال في يناير 1974 ، وأن شرف المملكة المغربية لفظلم باحتضان مؤتمر كهذا ، الشيء الذي يبرز مرة أخرى ما يتمتع به بلدنا في حظيرة الوطن العربي من سمعة طيبة ، كما يبرز مرة أخرى الدور الفعال الذي تقوم به المملكة المغربية في ميدان العلم والبحث ، مساهمة منها في نمو العالم العربي . وتطور اقتصاده والاستفادة من تطور العلوم والتقنية . وفقا للتعليمات السامية لقائد الأمة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله .

واليوم نريد أن نعطى للرأي العام الوطني بعض الايضاحات عن اهم النقاط التي ستدرس في هذا المؤتمر الهام .

1) السياسات العلمية والتقنية في الدول العربية : الوضع الحالي وآفاق المستقبل :

سيتمحور المؤتمر للدول المشاركة الفرصة لبحث وتقييم الوضع الحالي وآفاق المستقبل بالنسبة لسياساتها الوطنية في مجال العلم والتقنية ، كما

— وثيقة نصف نشاطات اللجنة الاقتصادية لأسيا
الغربية في مجال العلم والتقنية .

أ (وضع السياسات الوطنية في مجال العلم والتقنية وتنفيذها :

مما جاء في المذكورة الواردة عن اليونسكو
الخاصة بجدول الأعمال المؤقت المفصل أنه بالرغم
من أن كثيرا من البلاد العربية أخذت خلال الفترة
الماضي تشيخ أجهزة وتضع إجراءات لرسم
السياسات الوطنية العلمية والتقنية وتنفيذها . فلا
ترال هناك بعض الاقطار بالمتطعة لم يتم فيها هذه
المهمة بعد . وتادرا ما بدأت البلاد العربية في ادماج
سياستها الوطنية العلمية والتقنية على أسس مشتركة
متفق عليها مع هيئة تخطيط التنمية الوطنية
الاجتماعية والاقتصادية . وفي هذا الصدد يمكن ان
يدرس المؤتمر أسئلة متعددة مثل : ما هي الاجهزة
والاجراءات الحكومية الأكثر فعالية لوضع السياسات
واتخاذ القرارات والتنسيق بين الوزارات وتدابير
التعزيز في مجال العلم والتقنية ؟ وكيف يكون التخطيط
للعلم والتقنية على المستوى الوطني ؟ وما هي الطريقة
التي ينبغي بها ترجمة هذه الخطط الى ميزانيات
برامج ؟ وماذا ينبغي عمله لتحسين وضع الباحثين
العلميين ؟ وكيف يمكن تحديد التقنيات التي يمكن
ان تكون مناسبة ؟ وما هي الشروط لقبول وتطورها
بصورة موفقة ؟ وما هي أهم عقبات التنمية التي تواجه
القول العربية حاليا والتي يمكن التغلب عليها بالعلم
والتقنية ؟ وكيف يكفل التنسيق على المستوى
الوطني بين السياسات التربوية والسياسات العلمية
والتقنية ؟

ب (تعزيز الطاقات الوطنية العلمية والتقنية :

أهل من الاغراض الأساسية لمؤتمر وزراء الدول
العربية المتكلمين بتطبيق العلوم والتقنية في شتى
التنمية أن يهيء لكل من الدول المشتركة اجراءات حمير
لمواردها الوطنية المنظمة لخدمة التنمية العلمية
والتقنية (القوى العاملة والموارد المالية) المرافق
والمعدات والمعلومات) ومقارنتها بما لدى غيرها من
الدول العربية وغير العربية واظهار اوجه التباين على
المستوى الاقليمي ، واقتراح التدابير لتحسين

وتعزيز الطاقات الوطنية العلمية والتقنية بما يتناسب
واحياجات التنمية في كل بلد .

ونظرا للحاجة المفترفة بها الى زيادة جهود
البلاد العربية ، زيادة كبيرة في مجال البحوث والتنمية
قد يرغب المؤتمر في :

أولا : دراسة دور البحوث والتنمية والمرافق
العلمية والتقنية المتعلقة بها في التنمية الوطنية .

ثانيا : اقتراح التدابير اللازمة لتعزيز الطاقات
الوطنية العلمية والتقنية باعتبار ذلك شرطا أساسيا
للمشروعات التعاونية على المستوى شبه الاقليمي
او الاقليمي او الدولي .

وقد يرى المؤتمر : عند بحث مجموعة المرافق
العلمية والتقنية المائدة او من المناسب (أولا) ان
تبرز أهمية مرافق الاعلام والتوثيق في مجال العلم
والتقنية باعتبارها عاملا رئيسيا لتطوير نشاطات
البحوث والتنمية ونقل التقنيات وتطويعها من البلاد
الأكثر تقدما الى البلاد الأقل تطورا ، و (ثانيا) ان
تناقش امكانيات إنشاء مراكز اقليمية للاعلام العلمي
والتقني في الدول العربية ، ويعتزم تقديم بعض
الاقتراحات المحددة فيما يتعلق بهذا الموضوع في
وثيقة مرجعية خاصة . وقد يرغب المؤتمر أيضا في
توجيه عناية خاصة للتبادل الدولي للمعلومات عن
تطبيق العلم والتقنية على التنمية ، وهو ما يجري
دراسته حاليا في اليونسكو وفقا للقرار 2 . 123 الذي
اصدره المؤتمر العام في دورته الثامنة عشرة في
1974 بشأن شبكة تبادل المعلومات عن السياسات
العلمية والتقنية . وثمة موضوع هام آخر قد يرغب
المؤتمر في مناقشته وهو الحاجة الى تحسينات هامة
في بعض المجالات كنظم المقاييس والموازين
والتوحيد القياسي ، حيث أنها لازمة للبحوث والتنمية
ولانتاج السلع والخدمات على حد سواء .

ج (الموارد البشرية لتطبيق العلم والتقنية على التنمية :

لما كان المؤتمر يدرك الدور الحيوي الذي
يؤديه العلماء والمهندسون الاكفاء في تقدم المعارف
وتطبيقها ، فإنه قد يرغب في دراسة أسئلة مثل : ما
هي مشكلات تعليم العلوم والتقنية على مستوى

الجامعية في الدول العربية 4- وما هي امكانيات تحقيق الانسجام بين النظم الجاسفية في الدول العربية في مجال العلوم الطبيعية والهندسية ؟ وما هو « المزيج » الملائم من العلماء والمهندسين الاكفاء ومن الاطر الواسطة من الموظفين العلميين والفنيين والتقنيين ؟ وما هي الطريقة التي ينبغي بها تحسين بني الجامعات ومناهجها في الدول العربية لمواجهة الاحتياجات الوطنية والاقليمية من العلميين والمهندسين ذوي التخصصات المناسبة ؟ وما هي امكانيات ومثطلبيات ادخال اللغة العربية بصورة تدريجية في تعليم العلوم والتقنية على مستوى الجامعة ؟

(2) مشروعات التفاون الاقليمي في البحوث العلمية والتقنية :

وفضلا عن المناقشة التي تجري في نطاق البند 7 من جدول الاعمال المؤقت حول المشكلات البارزة التي تتم بأهمية خاصة للمنطقة في مجال السياسات العلمية والتقنية قد برزت المؤتمر في بحث برنامج عمل في شكل مقترحات عملية ومحددة لمشروعات بحوث تعاونية ، وينبغي ان تتعلق مثل هذه المشروعات بالمجالات ذات الاولوية ، مثل الموارد الطبيعية والطاقة والموارد الغذائية ، ونوعية البيئة ، وهي مجالات حددتها اجتماع الخبراء التحضيري لمؤتمر وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية الكؤيت ، مارس 1975) واي قرار يتخذه مؤتمر الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية بشأن تدابير محددة تتعلق بمشروعات البحوث التعاونية يمكن ايضا رغبة البلاد العربية في التقدم بخطى اسرع على طريق التنمية العلمية والتقنية التي رسم خطوطها العريضة مؤتمر منظمة جامعة الدول العربية للتربية والعلوم والثقافة الاول للوزراء العرب المسؤولين عن البحث العلمي ورؤساء مجالس البحوث الوطنية في الدول العربية (بغداد ، 1974)

تضاف الى هذه النقط الرئيسية خمسة بنود فرعية للبحوث والدراسات التعاونية وهي :

- (1) دراسة الموارد المائية وتبدير شؤون المياه
- (2) ايكولوجيا الاراضي القاحلة وشبه القاحلة
- (3) الدراسات الجيولوجية والجيوفيزيكية
- (4) تنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية
- (5) المصادر غير التقليدية للطاقة

وجميعها تصل اتصالا وثيقا بقضايا التنمية الاوسع نطاقا كما حددتها اجتماع الخبراء التحضيري لمؤتمر وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية في سبيل التنمية المثار اليه اعلاه . وستركز مناقشة مجالات البحث والدراسة الخمسية هذه على مجموعة من الوثائق المرجعية تتعلق بمشروعات تعاونية محددة يمكن ان تؤدي الى قرارات محددة يتخذها مؤتمر وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية في سبيل التنمية .

ويمكن اختيار البنود الفرعية الخمسة اهمية مشكلات الموارد الطبيعية والبيئة بالنسبة لغالبية الدول العربية ، ولذلك ينبغي ان تتناول اهدافا دراسية دراسة علمية في المقام الاول المناظر الرئيسية للطفة - التربة السطحية ، الاراضي ، والمياه القارية ، والمحيطات وجوانبها الايكولوجية ، ومن ثم ينبغي التركيز على بعض فروع العلم كالكولوجيا والجيوفيزيكا وعلم التربة وعلوم المياه وعلم المحيطات حتي يتسنى فهم منسبا الموارد الثرائية ومدى توافرها بصورة افضل .

وقد يري المؤتمر ايضا لدى مناقشة هذه المشروعات دراسة المشكلات المعروفة اليوم بـ « مشكلات البيئة » والتي يرجع معظمها الى التدبير القطاعي غير الرشيد للموارد الطبيعية والى الآثار غير المرغوبة وغير المقدرة للتكنولوجيا على تنمية هذه الموارد ، ومن ثم فان مشكلات المحافظة على نوعية البيئة المادية والبيولوجية او اعادتها الى ما كانت عليه لا يمكن فصلها عن مشكلات الاستغلال الرشيد للبيئة .

(1) دراسة الموارد المائية وتبدير شؤون المياه :

تتميز معظم البلاد العربية بمناخات جافة أو شبه جافة ، ولا يمكن والحالة هذه تحسين ظروف معيشة الانسان الا عن طريق زيادة استهلاك المياه ولكن زيادة استغلال للموارد المائية يستتبع استنزافا المفرط واضمحلالها مما يعوق التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وتمثل الحل التاجع الوحيد للمشكلات الحالية المتعلقة بالموارد المائية في المنطقة العربية في اتجاه سياسة رشيدة لتبدير شؤون المياه ، ولا يمكن

تصور مثل هذه السياسة دون دراسة شاملة للموارد المائية المتاحة دون معرفة دقيقة بالعمليات التي تحكم توازن المياه وتحريكها وتحولها فوق سطح الأرض وتحتها .

وقد يرغب المؤتمر عند دراسة هذه المشكلات وغيرها من المشكلات العامة المتعلقة بالموارد المائية وتدير شؤون المياه . وكذلك الاقتراحات الجديدة بشأن البحوث التعاونية والتي يعتزم تقديمها في وثيقة مرجعية مفصلة ، ان يأخذ في اعتباره البرنامج أو الأنشطة الدولية الكبرى الجارية مثل برنامج اليونسكو الهيدرولوجي الدولي والعقد الهيدرولوجي الدولي ، والمؤتمر القادم بشأن المياه (بولني ايرس : 1977) والمؤتمر الاقليمي للمياه الذي ترعاه اللجنة الاقتصادية لاسيا العربية (يوليو 1976) .

ب) ايكولوجيا الاراضي القاحلة وشبه القاحلة :

هذا الموضوع الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة الموارد المائية وتدير شؤون المياه ، يستحق الاهتمام كموضوع له الأولوية . نظراً لان المنطقة العربية تواجه مشكلات ايكولوجية بالغة الخطورة ، وقد كانت بحوث المناطق القاحلة تشمل خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية اهتماماً من اهتمامات اليونسكو الرئيسية ، يشارك فيها منظمات أخرى مثل الفا ومعارج وبامبيئة وغيرها .

واهم القضايا التي يرغب المؤتمر في مناقشتها هي : كيف يمكن التخفيف من العسر البالغ الذي يعانيه سكان المناطق القاحلة وشبه القاحلة ؟ وكيف يمكن وقف التطور السريع الذي تتحول به الارض المنتجة الى ارض مجدية نتيجة زحف الفحولة ؟ وكيف يحسن تدبير استخدام مختلف التكنولوجيات الزراعية بما في ذلك الري والميكنة والمخصبات الكيميائية الخ ؟

ومثلير وثيقة العمل الرئيسية تفصيلاً عن اقتراحات محددة بشأن مشروعات تعرض على المؤتمر لبحثها ، الى برنامج اليونسكو عن « الانسان والمحيط الحيوي » (الماب) الذي يهيئ إطاراً مناسباً للتعاون الاقليمي ويمكن ولا شك ان يسهم في التغلب على بعض المشكلات ايكولوجية عن طريق البحث والتدريب

وتحديد الاساليب السليمة لاستغلال الاراضي وتديرها وتدارك العجز في خبرات تدبير المرامي .

ج) الدراسات الجيولوجية والجيوفيزيكية :

قد يرغب المؤتمر في ان يناقش في إطار هذا الهندس وسائل مشاركة البلاد العربية بصورة أكثر ايجابية في البرنامج المشترك اليونسكو / ادماج الاتحاد الدولي للعلوم الجيولوجية (المسمى « البرنامج الدولي للمطابقة الجيولوجية » اعطاجوا المشار اليه في وثيقة العمل الرئيسية . وتممة موضوع عام آخر هو اعداد خريطة جيولوجية للعالم العربي واقامة مكتباتية مركزية لهذا الغرض ، اذ اوصى المؤتمر باعداد مثل هذه الخريطة ، وقد يرغب المؤتمر ايضاً في بحث امكانية تنفيذ مشروعات بحوث تعاونية تتعلق بتقضي الموارد الطبيعية التي يمكن استغلالها اقتصادياً بالعلوم العربية وتنشيط ليزالز في المنطقة .

د) تنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية :

قد يرغب المؤتمر مواضعاً في اعتباره امتداد الخط الساحلي لمنطقة الدول العربية امتداداً هاماً والحاجة الى زيادة جهود البحث في مجال البيئة البحرية زيادة كبيرة حتى يمكن تنمية المنطقة الساحلية بطريقة منظمة رشيدة ، في ان يدرس على ضوء الفصل المعنى من وثيقة العمل الرئيسية مسائل مثل : كيف يمكن تنمية الموارد الساحلية وتنويعها ؟ كيف يمكن ان تلبي المؤسسات التي تشكل البنى الأساسية اللازمة في الدول العربية وكيف يكفل التوزيع الامثل لمؤسسات البحوث البحرية في المنطقة ؟ وكيف تقام شبكات شبه اقليمية لمراكز ومختبرات بحوث علوم البحار للاقتطاع بتنفيذ برامج منسقة ؟ وما هي المرافق التي يمكن انشاؤها بالاشتراك بين عدد من اقطار المنطقة وعلى اساس المشاركة في الإنفاق بها ، كسفن البحوث الكبيرة والمراكز شبه الاقليمية للمعلومات الاوقيانوغرافية ، والمراكز شبه الاقليمية لاقتناء المجموعات البيولوجية المرجعية وفرزها ، الخ ؟

وقد يلاحظ المؤتمر في مناقشة هذا الموضوع الصلة بينه وبين المشروعات الكبرى التي تتولى

تنسيقها اللجنة الدولية لعلوم المحيطات وتلك التي تجري في اقطار برنامج اليونسكو عن الانسان والمحيط الحيوي . وقد يرغب أيضا في بحث المقترحات المحددة لمشروعات البحوث التعاونية في هذا المجال والتي ستقدم في وثيقة مرجعية .

هـ - المصادر غير التقليدية للطاقة :

يمثل البحث في المصادر المختلفة للطاقة قضية متزايدة الأهمية وليس ذلك بالنسبة للدول العربية وحدها ، فضلا عن المناقشة العامة بشأن هذا الموضوع ، قد يرقب المؤتمر في اثناء غناية خاصة لبحوث المصادر غير التقليدية للطاقة ودراستها ، وخاصة الطاقة النووية والطاقة الشمسية . ويمكن في الواقع ان يبحث المؤتمر هذين المصدرين للطاقة بالنظر الى امكاناتها في تنمية منطقة الدول العربية في المستقبل . وعلاوة على مناقشة هذه القضية في وثيقة العمل الرئيسية ، يعتزم تزويد المؤتمر بوثيقة مرجعية تشمل اقتراحات محددة بشأن بحوث تعاونية قد يرغب المؤتمر في اتخاذ اجراء بشأنها .

التدابير الواجب اتخاذها لمتابعة قرارات وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية في سبيل التنمية :

يشفي الكنظر الى مؤتمر وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية لا على أنه ضرورة جهد

مشترك ، ولكن باحوى على انه نقطة بداية لتطبيق أوسع نطاقا وأكثر فعالية للفهم والتكنولوجيا من أجل تنمية اقطار المنطقة . فاذا كان يراد لهذا الهدف ان يتحقق فانه يشعين على السلطات الوطنية المختصة وكذلك على المنظمات الدولية داخل منظمة الأمم المتحدة وخارجها بذل جهود كافية لضمان متابعة فعالة بقرارات مؤتمر وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية في سبيل التنمية .

ويستطيع المؤتمر نفسه ان يسهم في ذلك بوضع توصيات ملائمة باتخاذ قرارات يعهد بمسؤولية تنفيذها الى السلطات الوطنية والمنظمات الدولية على السواء وقد يرغب المؤتمر في هذا الصدد ان يبحث نتائج دراسة بشأن انشاء مؤتمر دائم برعاية اليونسكو ، على مستوى الخبراء الحكوميين ، يضم بصورة دورية رؤساء هيئات وضع السياسات العلمية والتقنية بالدول العربية . وقد يرى المؤتمر كذلك ان يناقش اي تدابير او مبادرات ملائمة يمكن ان تتخذها المنظمات المالية والهيئات مانحة المعونة لكي تدرج في برامجها وميزانياتها ما يلزم من اعتمادات لإنشطة متابعة مؤتمر وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية على التنمية .



في شأن انظار المؤتمر الإفريقي الأول لأساتذة الرياضيات أجامعيين بكلية العلوم بالرباط

فيما اللقاء العلمي القيم : الذي ينظمه الاتحاد الدولي لأساتذة الرياضيات الجامعيين : تحت رعاية اليونسكو : سينعقد تحت شعار : « الرياضيات والتنمية الإفريقية » والحقيقة أنه يجب على الدول التي في طريق النمو : أن تعمل على ازدهار نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي : وإن أساس هذا النمو يقوم على تقدم التقنيات التي تركز بدورها على تطبيقات مختلف الشبب العلمية .

وفي عصرنا الحاضر : فإن الرياضيات تدخل في جميع الفروع العلمية : إما كوسيلة للتفكير : أو كأداة أو من الوجهتين السالفتين معا . وقد منح التغيير القائم : « الرياضيات سيادة العلوم وحدايتها » . فإذا أردنا التمسك بتنمية دولنا : علينا قبل كل شيء أن نطور الرياضيات وتطبيقاتها . وبما أنه لا يمكن أن يتحقق هذا النمو بسرعة إلا على صعيد القرارات : وجب على المؤتمر الإفريقي الأول الخاص بأساتذة

الرياضيات الجامعيين أن يضع نصب أعين تعاون علمي فعال بين أساتذة الرياضيات الأفارقة وغير الأفارقة .

تزيادة على المحاضرات التي ستنظم بهذه المناسبة والتي ستغطي الأولية فيها إلى مواد الرياضيات القريبة جدا من التطبيقات على العلوم الأخرى والتكنولوجيا : فإن هذا المؤتمر الأول سيعرض المواضيع الآتية :

ستنظم كلية العلوم التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط من 26 إلى 31 يوليوز 1976 أول مؤتمر إفريقي لأساتذة الرياضيات الجامعيين .

والجدير بالذكر أن السيد عبد اللطيف ببيد الخليل وزير التعليم العالي : سبق له أن ترأس يوم 23 أبريل 1975 بكلية العلوم الجلسة الافتتاحية للاجتماع التمهيلي للمؤتمر الإفريقي الخاص بأساتذة الرياضيات الجامعيين . وهذه المناسبة : التي السيد الوزير كلفه جاء فيها على الخصوص : « والحقيقة أنه لا أحد ينبغي أن الرياضيات تعتبر ميدانا تجلت فيه قدرة الإنسان بكل فعالية . ولا يتكر أحد كذلك أن الرياضيات بالإضافة إلى الدور الرئيسي الذي تلعبه في النمو الفكري والتقني تدخل في جميع الميادين العلمية . أن الرياضيات بازدهارها وقدرتها الخارقة في التطبيقات والأخص في علوم الهندسة والقياس والأعلام الآلي . وغيرها من العلوم لتعطي الأدلة القاطعة على دورها الفعّال » .

وفي حديثه عن الدور الذي يلعبه قطرنا في التنمية الثقافية على الصعيد الدولي : زاد السيد ببيد الخليل قائلا : « فمن واجب قارتنا الإفريقية أن تدرك المكانة التي ينبغي أن تحتلها في ميدان الإشعاع العلمي الدولي : وتقوم بالدور المتوطد بها . إن خلاصة الملك الحسن الثاني أثناء جميع لقاءاته مع رؤساء دولنا : ينادي دائما قارتنا أن تلعب هذا الدور : على أكمل وجه تحقيقا لمصلحة بلداننا » .

(1) تعليم الرياضيات بأفريقيا :

أ - التعليم قبل الجامعة : أنظمته ، برامجها ، وشواهدنا .

ب - التعليم العالي : شروط التسجيل ، تنظيم الدروس والامتحانات ، الرياضيات للمهندسين ، الرياضيات للمجولين في الشعب الأخرى :

— الاقتصاد ، الطب ، العلوم الاجتماعية والإنسانية .

ج - الاعتراق من طرف الجامعات الأفريقية فيما بينها بالدارسات والشواهد المتعلقة بالرياضيات .

(2) أحداث مركز أفريقي للرياضيات النظرية والتطبيقية يضم :

— مركز لتكوين الأطر

— مركزا للقائات العلمية

— مركزا للأبحاث الرياضية المتقدمة

(3) أحداث اتحاد أساتذة الرياضيات الأفارقة :

(4) مشاكل التعاون العلمي بين أفريقيا والقارات الأخرى وبالأخص في ميدان الرياضيات :

ومن الملاحظ أن عددا من أساتذة الرياضيات الجامعيين المشهورين عبروا عن رغبتهم في المشاركة في هذا المؤتمر الهام .

ومن جهة أخرى ، فإن اليونسكو وكذا المجتمع الرؤسي للعلوم تستمثليا وفود ميسلة ، وتيمثل اتحاد الجامعات الأفريقية كاتبها العام .

فاتمقاد هذا المؤتمر الأفريقي الأول الخاص بأساتذة الرياضيات الجامعيين ، في غضون شهر يوليو المقبل بكلية العلوم ، بعد الاجتماع الذي عقده في السنة الفارطة ، اتحاد الجامعات العربية ، ببيقبة خلال شهر ماي 1976 . مؤتمر جمعية الجامعات الإسلامية ، وفي غشت 1976 ، مؤتمر وزراء الدول العربية المشاركة في منظمة اليونسكو ، والمكلفين بتطبيق العلوم والتكنولوجيا على التنمية (كاستمر) ، الشيء الذي يبرهن على نشاط الجامعة المغربية ومساهمتها الفعالة في التنمية الوطنية ، في مختلف الميادين طبقا للتوجيهات الرشيدة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الذي يولي لشؤون التربية كل رعايته .



المؤتمر الثاني للجمعية

الجامعات الإسلامية

ومنتد تأسيستها تسعى الجمعية جادة الى تفتين
عري التعاون مع كافة الهيئات والمنظمات الاسلامية
واحياء الفكر الاسلامي في وسط المثقفين .

وستعقد الجمعية مؤتمرها الثاني بالرباط من 11
الى 18 جمادى الاولى 1396 ، وتتجلى اهمية هذا
المؤتمر الثاني في أهمية النقطة التي سيتولاها بالدراس،
ومنتها :

- رسالة التعليم الاسلامي وصلته بالتعليم العالي
- الدراسات العربية في الجامعات الاسلامية
- اعداد اساتذة الجامعات في العالم الاسلامي
- قضايا العالم الاسلامي وشؤون الدعوة الاسلامية
- توسيع وسائل النشر والدعاية للثقافة الاسلامية

وان جمعية الجامعات الاسلامية لسائرة على
هدى من الله في الطريق التي رسمها لها مؤسسها
وراعيا الاول صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله
ونصره ، وان مؤتمرها الثاني الذي سينعقد قريبا
بماصمة المملكة سيمكنها من الزيادة في تحقيق
الغايات المرجوة والاهداف المثلى التي تسعى اليها
جميعا .

في ظل المؤتمر الاسلامي التاريخي الاول الذي
انعقد بالمغرب سنة 1969 ، وفي خضم حركة البعث
الاسلامي المباركة التي يشهدها العالم الاسلامي ،
دعا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الى انشاء
جمعية الجامعات الاسلامية لتكون منظمة اسلامية
عليا تنضوي فيها معاقل الفكر الاسلامي من جامعات
وكليات ومعاهد اسلامية عليا في العالم الاسلامي .

وهكذا برزت الى الوجود هذه المنظمة التي
قطعت اشواطا موفقة في ربط الصلة بين المؤسسات
الاسلامية التعليمية ورعايتها والعمل على ازدهارها
وتنشيط شعاعها الحضاري والفكري ، وهي الاهداف
التي خطتها لها مولانا امير المؤمنين حين امر
بتأسيسها .

وانعقد المؤتمر التأسيسي للجمعية بقاس في
رجب 1389 (شتنبر 1969) ، تحت اشراق وعناية
صاحب الجلالة ايده الله ، وحضره ممثلوا اكثر من
عشرين جامعة ومؤسسة من مؤسسات التعليم العالي
بافريقيا وآسيا . وقد انتخب الرئيس والكاتب العام
من المغرب ، كما اختير المغرب مقرا للجمعية .

فهرس العدد السابع

صفحة

1 خطاب العرش ...

دراسات اسلامية :

8	العناصر الضرورية الصالحة لاستمرار حضارتنا الاسلامية	للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
16	مصادر مغربية في فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني	للاستاذ سعيد اعراب
22	يا عبيدي * والله ما هذا بملك	للككتور محمد عبد المنعم خفاجي
27	اشارات واعلام حول تاريخ الاتراك في الاسلام	للاستاذ محمد العربي الشاوش
31	لمحات جد عابرة حول المدلول التاريخي والانساني لعالمية العقيدة الاسلامية	للاستاذ المهدي البرجالي
34	من وحي البعثات العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الثمام	للاستاذ الحاج احمد البوعياشي
44	شيخوخة الفكر الماركسي	للاستاذ فاروق حمادة

أبحاث ودراسات :

48	مقامات	للاستاذ محمد بن تاويث
57	لفتنا الغالطة	للاستاذ محمد حمزة
76	الوجبات	للاستاذ عبد القادر زمامة

ديوان المجلة :

80	ملحمة التاريخ	للشاعر محمد بن المهدي العلوي
85	موكب النور	للشاعر عبد الكريم التواني
91	الملاحم الحسينية	للشاعر المدني الخمراوي
101	جل عند العرش ان يحضب ذكرى	للشاعر مفدي زكريا
104	ذانية الاسلام .. ذكرى مولد الرسول	للشاعر عبد اللطيف خالص
108	الاستعداد بمجد سيد الاسياد على نهج بآلت سعاد	للشاعر محمد محمد العلمي
111	قد بلغنا المراد في ظل عرش	للشاعر محمد بن علي العلوي
114	أصولي ذكرارك عيد لنا	للشاعر العلوي بدور حسن

دراسات مغربية :

118	ابو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي	للاستاذ محمد العلمي جمدان
122	العلامة الحاج محمد الهاشمي بن خضراء السلاوي	للاستاذ الحاج احمد معيشو
125	ابو القباس احمد بن عبد القادر التاوتي	للاستاذ محمد التاودي بنسودة
135	غرناطة في عصر ابن الخطيب	للاستاذ حسن السالغ

قصص العدد :

142	بلايل قرطبة	للاستاذ محمد احمد اشماعو
-----	-------------	--------------------------

من ثمرات الفكر :

147	الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي	تأليف الدكتور احمد محمود صبيحي عرض الاستاذ المهدي البرجالي
154	على هامش مؤتمر وزراء الدول العربية المكلفين بتطبيق العلوم والتقنية قصد التنمية	
159	في شان انعقاد المؤتمر الافريقي الاول لاساندة الرياضيات الجامعيين بكلية العلوم بالرباط	
161	المؤتمر الثاني لجمعية الجامعات الاسلامية	

حياة الحق

مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
والمشؤون الثقافية والفكر

تصدرها:
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
بالمملكة العربية



العدد السابع - السنة السابعة عشرة
رجب 1396 - يونيو 1976

ثمن العدد:
3 دراهم



العدد السابع
السنة السابعة عشر
رجب 1396
يونيه 1976
ثمن العدد 3 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية - ص. ب. 830 الرباط - المغرب .
الهاتف : 10-308
الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرقي 100 درهم
فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

**Daoud El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

أو تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة بريد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية - الرباط تليفون 10-308 - 03-327